

الفِرَقَاتِ
١٥

مملّحة الشيخ
الدكتور محمد الصادقي

الفُرْقَان

في تفسير القرآن
بالقرآن والسُّنة

الجزء الخامس عشر
سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

دار الفوائد الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بمبيرة، بيروت - لبنان

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ أُولَئِكَ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا (٥)﴾

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَ تَمَّ أَحْسَنَتْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

سورة مثلثة الأسماء : الأسرى . بني إسرائيل . سبحان : تتبني الرسالة الإسلامية بمقتضاياتها ومخلفاتها كقاعدة أصيلة ، بأصولها الثلاثة ، وما تتضمنه من ملاحم وبشارات وإنذارات مثلات ، بدايتها «سبحان» لتأكيد وتوطيد الرحلة المعراجية المنقطعة النظير ، ونهايتها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تسبيح يضرب الى الحمد فانه تسبيح بالحمد وبينهما متوسطات! وفي السورة قيلات خمس : إنها مكية إلا آيات : اثنتين او ثلاث او خمس او ثمان (١) ولا توحى هذه او تلك بمدنيتها ولا تلمح إذ نزلت نظائرها

(١) مدينتان كما في روح المعاني هما «وَإِنْ كَاذِبًا كَانُوا لَيَقْتُنُونَكَ...» «وَإِنْ كَاذِبًا كَانُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ...» وعن بعضهم إضافة : «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ...» وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ...» وعن الإخراج او منه الإخراج الى المدينة فهي مكية إذ تنبئ عن مستقبل ، وعن الحسن الا «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ...» «وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنِ...» «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...» «أَقِمِ الصَّلَاةَ...» «وَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...» وعن مقاتل .

في المكيات ، ثم هي بين دالة على مكيتها او غير دالة على مدنيتهما فقد تكون مكية كلها كما يقتضيه طبع الألفة والتأليف.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

هنا إجمال عن الرحلة المعراجية الى أقصى اعماق الفضاء ، وفي التكوير إجمال اخصر مما هنا : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ثم ينجم تفصيلها في النجم : ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ مثلث بارع رائع عن هذه الرحلة الرهيبة الخارقة ، يفسر بعضها بعضا وينطق بعضها على بعض ، مهما اختلفت فيها الروايات فلتعرض على القرآن لكي تنحو نحو القرآن.

«سبحان» خير بداية تتلو خير ختام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تبدأ بها سورة السبحان الأسرى . بني إسرائيل ، كألقي حركة نفسية نفيسة تتسق مع واقع الاسراء وجوه اللطيف ، وأخرى حالة روحية حيث يبلغ صاحبها إلى الأفق الأعلى المبين.

و «سبحان» علم للتسبيح منحصر في الله ومنحسر عن غير الله ، فانه التنزيه المطلق (١) ، فليختص بالتنزيه المطلق ، وليس مطلق التنزيه حتى يشمل من سوى الله من الكاملين ، وان في أعلى قمم الكمال

. الا «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ...» «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ...» «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ...» «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ...» «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...» وآية الاستفزاز تشهد أنها مكية كآية الإدخال وسواهما لا تشهد أنها مدنية. وعن قتادة والمعدل عن ابن عباس إلا ثنائي هي «وَإِنْ كَادُوا ...» الى «وَقُلْ رَبِّ ...».

(١) تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣ في العقد الفريد عن طلحة قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تفسير سبحان الله فقال : تنزيه الله تعالى عن كل سوء.

حيث الفقر ذواتهم ، والنقص كيانهم فأنى لهم سبحانه مطلق!

والله تعالى ذاته سبحانه وصفاته سبحانه وأفعاله سبحانه ، وهي هنا : سبحانه ذاته ان يعرج إليها عبده أي عروج كان ، في المكانة أو في المكان ، فانه مكن المكان فليس له مكان ، وحد الحدود والجهات فليست له حدود وجهات ، وهو المنهي للنهايات والمغبي للغايات ، فسبحان ذاته أن يكون منتهى العروج لعبده بأي معنى كان ، اللهم إلا قمة المعرفة الممكنة بالله : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾!

ثم وسبحان أفعاله ان يعجز عن معراج عبده بجسمه وروحه إلى سماواته ليريه بعض آياته ، كما يهرف به من لا يعرف قدرته تعالى على كل شيء.

وسبحان صفاته عن ان يضمن ويخل عن هذه المكرمة الغالية لأول العابدين وسيد الخلق أجمعين ، فسبحانه سبحانه عن اي رين وشين في هذا البين.

ثم و «سبحان» تتكفل . ككل . بيان سلبية الصفات غير اللائقات بجانب عزّه ، كما «الحمد» بيان للثابتات اللائقات بحضرة قدسه.

﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾.

«اسرى» من «السرى» : سير الليل . ولكنه مضمّن معنى الرفعة والعلو فسراة كل شيء أعلاه ، كسراة النهار : ارتفاعه ، رفعة حسية او معنوية : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (١٩ : ٢٤) رفيعا عظيما هو المسيح (عليه السلام) كما السر وشجرة مستقيمة رفيعة ، وقد تجمع «السرى» بين الرفعتين كما في سرى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سرى أرضية إلى القدس في سفرة جوية ، ثم سماوية الى الأفق الأعلى مكانة ومكانا.

وإذا كانت السرى سير الليل فلما ذا هنا «ليلا» وكما في ثانية ﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا
 إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٤٤ : ٢٣) وثالثة ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (١١ : ٨١) ومن ثم
 في رابعة تأتي دون ليل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٢٦ : ٥٢)؟؟.

نقول : إن جمع الليل الى السرى إذا كان مع عدم جمعه سيان كما في سرى موسى
 فالليل لمزيد الإيضاح ^(١). ام ولكي يعرف أنها في ليلة واحدة لا ليال. وإذا. لا. كما في لوط
 : ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قسم من الليل يؤمن فيه عن ملاحقة قومه ، لا كله أو أية قطعة منه
 حيث الخطر حادق والعدو حاذق ، فلهذه وتلك.

ام لهذه وسواها من نكات كما في الإسراء يجمعها : ١ . دلالة على ان السرى كانت
 في ليلة واحدة حيث الوحدة لائحة من تنكير «ليلا» لا في ليال ، حيث السرى وحدها أعم
 من ليلة او ليال. ٢ . وإشارة إلى انها كانت في قطع من ليالها دون تمامه ، حيث القطعة
 مشار إليها بالتنكير «ليلا» كما الوحدة ، فاستغرق الليل يقتضي «الليل» لا «ليلا» و ٣ .
 افادة للتعظيم حيث كانت ليلة العروج وكانت الإثنين وما ادراك ما الاثنين؟ انه (صلى الله
 عليه وآله وسلم) ولد يوم الاثنين وبعث الاثنين ، وعرج به الاثنين وخرج من مكة مهاجرا
 الاثنين ودخل المدينة الاثنين ، وارتحل الى رحمة ربه الاثنين ، اثنيان ست تعم حياته ،
 فسلام عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم عرج ويوم هاجر ويوم مات ويوم يبعث حيا ، ثم وهو
 هو الثاني في الكون والكيان بعد الحضرة الإلهية ، فالله هو الأول في مثلث الذات

(١) كما في «وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ». قصدا الى ان نفي الاثنينية كاثبات الوحدة مقصود
 ، دون ان يكون النفي هامشيا.

والأفعال والصفات ، واحمد هو الثاني ، واين أول من ثان بون بين الوجوب وأرقى الإمكان :
 ز احمد تا أحد يك ميم فرقست همه عالم در آن يك ميم غرقست
 وما هو موقف الباء في «بعده» بعد أن «أسرى» متعد بالفعال؟ هل إنها المزيئة؟ ولا
 تعرف إلا في خبر ليس! أم لتأكيد التعدية أن سرى عبده انما هي منه تعالى تماما لا ومن
 عبده؟ ولا يعهد هكذا تأكيد! وآياتها الاخرى في إسراء لوط باهله وموسى بقومه لا يناسبها
 تأكيد! أم ان مفعولها الأول محذوف كالذي عرج به كسفيتها الفضائية «البراق» والذي
 صاحبه كجبريل ^(١) إذا فما هو المفعول الأول في نظيرتها ﴿فَأَسْرِبْهُمَا﴾ ... **أَسْرِبْهُمَا**
 ... ﴿...﴾ ولا يناسبها محذوف في لوط وموسى! ام إن سرى واسرى بمعنى وهما متلازمان ^(٢) مع
 الفرق أن أسرى لأول الليل وسرى لآخره ^(٣) وقد كان سرى الرسول في الثلث الأول من
 الليل؟ . احتمالات : اخرها أولها وأولها آخرها وبينهما متوسطات.

ولماذا «بعده» دون «محمد» او «رسوله . نبيه»؟

عله لأن «محمد» دون وصف العبودية او الرسالة لا يحمل ما يتحمل هكذا معراج ،
 ولا يذكر حين يذكر إلا للتعريف الاسمي بالرسول النبي.

ثم هذا العروج لم يكن رحلة رسالية ، وإنما عبودية تتبى كما له في نفسه حيث ﴿دَنَا
 فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ...﴾ فالرحلة من الرب
 الى الخلق رسالة ، ومن الخلق الى الرب تكملة العبودية في ذاته لتكميل الرسالة.

(١) كما عن ابن عطية .

(٢) . كما عن أبي عبيدة .

(٣) . وقال الليث : اسرى لاول الليل وسرى لآخره.

ثم العبودية تزيل حجب النور وحجب الظلمة والرسالة هي هي من حجب النور ، وهو في مقام الدنو والتدلي يتخلى عن الحجب كلها ويتحلى بحلية العبودية في أعلى قممها ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ دون نبيه أو رسوله ، وحيا سرّيّا سرّيّا يخصه دون سواه فسرّى المعراج تقتضي سرى العبودية.

ومن ثم ما احلى صيغة «عبد» وصبغته وصياغته ان لو لم تكن هنا لك رسالة ، لم تكن هنا لاول العابدين صيغة أجدر من «عبد». ثم لا نجد في القرآن «عبدنا» و «عبد» إلا لصاحب المعراج ^(١) اللهم الا لداود وأيوب وزكريا ونوح ولكنه في زكريا في ظل رحمة ربك : ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (١٩ : ٢) وفي داود تسليية لصبره : **اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ** **وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ** (٣٨ : ١٧) وفي أيوب كذلك ذكرى لكي يصبر : **وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ...﴾ (٣٨ : ٤١) وفي نوح تصبرا على طول المدة ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ (٥٤ : ٩).**

فليس إذا «عبد» إلا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنه هو عبده لا سواه ، لأنه جامع مجامع العبودية فهو **﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾** كما وأنه هو رسوله لا سواه ، كما تلمح لها آياتهما وتأتي في طياتها.

ثم و «عبد» تقريراً في مقام الإسراء إلى الدرجات العلى ، ولكي لا تنسى هذه الصفة في زهوة الرحلة الفضائية وزهرة المعراج ، وليس لينساه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ولا يلتبس مقام العبودية بمقام

(١) «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» (٢ : ٢٣) «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ» (٨ : ٤١) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ» (١٨ : ١) تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ» (٢٥ : ١) «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» (٥٢ : ١٠) «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ» (٥٧ : ٩).

الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية.

وأخيرا «عبده» توحى بأن هذه السرى كانت بجزئيه : روحه وجسمه ، دون تقسم فلم يقل بروح عبده او بجسمه حتى يهرفه المهارفون ويخرفه الخارفون : ان المعراج كان روحيا ، او برزخيا في رؤياه ام ماذا؟ وإنما «بعده» فصاحب المعراج هنا «عبده» وفي النجم «صاحبكم» ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ وفي التكوير هو رسول كريم : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣).

أترى بعد ان «صاحبكم» «عبده» «رسول» هي فقط روحه ، وهو ما صاحبنا . فقط . بروحه ، وما رسالته . فقط . في روحه ، وما عبوديته . فقط . بروحه ، ان هذه إلا هرطقة هراء والله منها براء . ف «سبحانه سبحانه سبحانه من قيلات هي ويلات على الحق المبين فأين . تذهبون (١) .

ولماذا «ليلا» لا نهارا ، ام مزدوجا ، والنهار أبين للناظرين وأبعد إنكارا للناكرين؟ عله لأن الليل هنا كان نهارا هناك ولكي يرى من آيات ربه وضع النهار ، أم عله لأن الليل أهدء وأوقع لسرى المعراج ، وناشئته

(١) وما في دعاء الندبة «وعرجت بروحه» غلط من الناقل والمنقول عنه والصحيح «وعرجت به» كما في نسخة ثانية جعلها المحدث القمي فرعا ، والفرع أصلا . فأصله لا اصل له وفرعه هو الأصل! وقد يشبه أصله ما يروى عن عائشة «ما فقدت جسد رسول الله ولكن أسري بروحه» كما في الدر المنثور عنها . فقد كذبت مرتين : ان الاسراء كانت قبل ان يتزوجها بزمان فانها قبل الهجرة بسنة وزواجها بعدها بزمان ، وان الاسراء كان من المسجد الحرام لا بيت عائشة ام اي بيت ، ثم وأحاديثنا متظافرة بالمعراج الجسماني والروحاني معا دون تبغيض (راجع ج ٢٦ . ٢٣ . الفرقان ص ٤١٤ . ٤١٥ وقد وافق عائشته زميلها معاوية في نكران المعراج الجسماني ومعاوية كان يومئذ كافرا .

هي ﴿أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (٧٣ : ٦) وأية ناشئة طوال حياته (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) انشأ وانشط من ناشئة المعراج فلتكن ليلا ، ولا يحول الليل ولا أليل منه ظلمة دون رؤيته آيات ربه الكبرى بما أراه الله.

والسرى المعراجية تتبني عروج الرسول الى أعلى الآفاق المعرفية ، قبل ان تتبني اعجازها ، ولم يكن عروجه الى عمق الفضاء بالسرعة ما فوق الضوئية او عليها الجاذبية التي تفوق الزمان لم يكن بالذي يرى فيصدق بما يرى ، اللهم الا بما خبرهم بما رآه في سراه ما فوق الأرضية الى القدس من غير ام ماذا ^(١) فقد كان سرى الرسول سرى سرّيّا سرّيّا إلا فيما انبأ به ربه بما أنبأ والله اعلم بسراه.

ثم «ليلا» توحى بوحدة المعراج اللهم الا ان يهرف بتكراره في نفس الليلة ولم يخلد بخلد قط ، فالروايات الناقلة لتكراره تؤول او تطرح ^(٢) وروحه القدسية كانت عارجة دوما الى مقام قاب قوسين او ادنى

(١) في روضة الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما أسري برسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) أصبح فقعد فحدثهم بذلك فقالوا له : صف لنا بيت المقدس ، قال : فوصف لهم وانما دخله ليلا فاشتبه عليه النعت فأثاه جبرئيل فقال : انظر هاهنا فنظر الى البيت فوصفه وهو ينظر اليه ثم نعت ما كان من غير لهم فيما بينهم وبين الشام ثم قال : هذه غير بني فلان يقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق او احمر ، قال : وبعثت قريش رجلا على فرس ليردها ، قال : وبلغ مع طلوع الشمس ، قال قرطبة بن عبد عمرو : يا لهفا ان لا أكون لك جذعا حين تزعم انك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك» (نور الثقلين ٣ : ١٠٢).

(٢) كما أورده القمي عن محمد بن الحسن الصفار باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : عرج بالنبي مائة وعشرين مرة ...» أقول : وعليها إلا واحدة عروج روعي له (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) وقد كانت حياته بهذا المعنى معارج. وفي الكافي باسناده الى علي بن أبي حمزة قال : سئل ابو بصير أبا عبد الله (عليه السلام) .

اللهم إلا فيما تضطره رسالته ببلاغه وخلطه بالمرسل إليهم ، حيث الرسالة . على قدسيته .
من حجب النور ، وعله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يغان على قلبه ويستغفر ربه في كل
يوم سبعين مرة من حجب النور .

﴿... مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

منطلق المعراج مسجد هو أفضل المساجد في الأرض أم في الكون كله وقد جاء ذكره
في الذكر الحكيم (١٥) مرة بكل تبجيل وتحليل ثم المسجد الأقصى وهو أقصى المساجد الى
المسجد الحرام نجده مرة واحدة هي هاهنا بمواصفة واحدة : ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .
ومهما اختلفت الروايات ان مبدأ المعراج بيت عائشة (١) ام بيت ام هاني (٢) ام
المسجد الحرام (٣) فنص القرآن يؤيد ثالث ثلاثة فلا محيد عنه .

. فقال وانا حاضر : جعلت فداك كم عرج برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال : مرتين (تفسير البرهان
٣ : ٤٠٢) أقول : علّ المرتين هما كما قال تعالى : «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» «حيث الروية
المعراجية كانت مرتين لا اصل المعراج!

(١) كما نصت روايتها عن الدر المنثور «ما فقدت جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن أسري
بروحه» كذبة مزدوجة!

(٢) ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه ، وأخرجه الحاكم والبيهقي
عنه ورواه النسائي باختصار من رواية عوف عن زرارة بن اوفى عن أبي عباس .

(٣) تفسير القمي بإسناد عن أبي مالك الأزدي عن إسماعيل الجعفي قال كنت في المسجد قاعدا وابو جعفر (عليه
السلام) في ناحية فرفع رأسه فنظر الى السماء مرة والى الكعبة مرة ثم قال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى...﴾ وكرر
ذلك ثلاث مرات ثم التفت الى فقال : اي شيء يقولون اهل العراق في هذه الآية يا عراقي! قلت : يقولون اسرى
به .

واما منتهى سرى المعراج هنا ، فهل هو المسجد الأقصى الذي في القدس؟ وهناك مسجد الكوفة أقصى منه وعله أفضل! وبركات الله في المسجد الحرام أقدم من القدس وأكمل! وعرض المعراج في هذه الآية الخاصرة نصا والخاصرة تقتضي التصريح بنهاية المعراج وغايته : السدرة المنتهى في الأفق الأعلى ، دون متوسطه الأرضي فحسب ، الأقصى الذي في القدس! ثم ما هي «آياتنا» في القدس التي لم يرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في البيت الحرام؟ هل هي قبور الرسل الإسرائيليين؟ وليست من آيات الله ، وإنما الرسل هم آيات الله وقد أراهم الله إياه إذ أخذ ميثاقهم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾ (٣ : ٨١) وأراه إياهم إذ أمران يسألهم : ﴿وَسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٣ : ٤٥) ثم الآيات التي أريها هي آيات ربه الكبرى في عمق الفضاء ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فهذه الرؤية كانت في الأقصى التي في السماء عند السدرة لا التي في الأرض^(١).

. من المسجد الحرام الى البيت المقدس فقال : ليس كما يقولون ، ولكنه اسرى به من هذه الى هذه وأشار بيده الى السماء وقال : ما بينهما حرم (نور الثقلين ٣ : ٩٨) ومن حديث مالك بن صعصعة مطولا. ان المسجد الحرام مبدء المعراج متفق عليه. أقول : قد يعني هذه الأرض . وطبعا من المسجد الحرام . والى هذه : عمق المعراج عند سدرة المنتهى . وما بينهما حرم : ما بين المسجد الحرام والأقصى الذي في السماء حرم . او ما بين الأقصى في الأرض والأقصى في السماء حرم ام ماذا؟.

(١) وفيه ايضا عن سالم الخياط عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام ومسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت : والمسجد الأقصى جعلت فداك ، فقال : ذلك في السماء أسري اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : ان الناس يقولون : انه بيت المقدس؟ فقال : مسجد الكوفة أفضل منه. ومما يدل على وجود مسجد الكوفة حينذاك ما رواه القمي في تفسيره باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث فضل مسجد .

فلقد نرى أن المسجد الأقصى ، أقصى المساجد في مطلق الكون من المسجد الحرام ، ومنتهى المعراج عند السدرة المنتهى ، إذ «أَوْحِيَ ﴿إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (١٠) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨) بعد ما ﴿دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٨ - ٩) دنوا واقتربا من العلى الأعلى!

هذا هو المسجد الأقصى الذي بورك حوله بركات معنوية معرفية. واخرى سواها أمثالها ، فمن الأولى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ١٣ - ١٥. ومن الاخرى جنة المأوى وما ينحو نحوها من آيات ربه الكبرى.

ف «الأفق المبين - الأفق الأعلى - سدرة المنتهى - جنة المأوى» في التكوين وفي النجم - والبيت المعمور ^(١) في «الطور» علّها كلها تعابير عدة عن منتهى المعراج : المسجد الأقصى ، وقد يسمى الذي في القدس بالمسجد الأقصى لمحاذاته الأقصى الأولى ، وقد زاره الرسول (صلى الله

. الكوفة : «... حتى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اسرى به قال له جبرئيل : تدري اين أنت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أنت مقابل مسجد الكوفان قال : فاستأذن لي ربي حتى آتيه فأصلي فيه ركعتين ...» المصدر ٣ : ١٣٠ ، وأورده ابن سعد وابو يعلي والطبراني في حديث ام هاني مطولا «الكشاف ج ٢ ص ٥٠٥).

(١) للبيت المعمور مصاديق اخرى كالكعبة المشرفة ويقابله المسجد الأقصى في السماء السابعة فهو ايضا البيت المعمور كما في نور الثقلين ٥ : ١٣٦ عن علي (عليه السلام) كما وهو منزل القرآن (٥ : ٦٢٤) عن الصادق (عليه السلام) وفي الدر المنثور عن شعب الایمان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : البيت المعمور في السماء السابعة أقول : وأحاديث الفريقين مجمعة على انه في السماء السابعة ، فليكن هو المسجد الأقصى في السابعة ، عمر قبل عروج النبي ثم زادت عمارة بعروجه ، ثم ومن البيت المعمور بيت قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مضى عن علي (عليه السلام) فانه اشرف منزل للقرآن (راجع ج ٢٧ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ من الفرقان).

عليه وآله وسلّم) في رحلته المعراجية ^(١) إذا فالمسجد ان معنيان ب ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ فالذي في السماء أصل وغاية ، والذي في الأرض ممر إليه وليس غاية.
واية بركة عظمي وآية كبرى خير من الجنة المأوى. وما رآه في الأفق الأعلى من آيات ربه الكبرى! ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

(١) ثواب الأعمال عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) انه قال في وصية له : ... اني لما بلغت بيت المقدس في معراجي الى السماء ... (نور الثقلين ٣ : ١٢٢) ومن الملاحظ في الروايات التي تنقل مروره في معارجه بالقدس انها كلها تقول بيت المقدس ولا مرة واحدة : المسجد الأقصى.
(٢) تفسير القمي في حديث المعراج من لفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لعلي (عليه السلام) ... فكشط لي عن سبع سماوات حتى رأيت سكناها وعمارها وموضع كل ملك منها ... واما السادس لما أسري بي الى السماء جمع الله لي النبيين فصليت لهم ومثالك خلفي «نور الثقلين ٣ : ١٠٢» ومن الآيات التي أريها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عترته المعصومون واحد بعد واحد كما في عيون اخبار الرضا (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في حديث المعراج عن العترة ... يا محمد لو ان عبدا عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم اتاني جاهدا بولايتهم ما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي يا محمد أتحب ان تراهم؟ قلت : نعم يا رب! فقال عز وجل : ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا انا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري قلت : يا رب من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي وبه انتقم من اعدائي وهو راحة لاوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ... (نور الثقلين ٣ : ١١٩) وفي الدر المنثور (٤ : ١٥٣) اخرج ابن عدي وابن عساكر عن انس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا : لا إله إلا الله .

البصير ﴿: رؤية للمكون بقلبه بما لا فراق له ورؤية لكائناته ببصره لمتسع مملكته. وترى لماذا ﴿من آياتنا﴾ لا كلها لكي تستكمل الرؤية وتكمل الضيافة والإضافة؟ ... الجواب في النجم : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ف «من» تبعيض عن كل الآيات و «الكبرى» هي جل الآيات ، فقد اصطفى الرب لمصطفاه كبرى الآيات ومصطفاه ، وكفته رؤية الكبرى عما سواها : كبرى الآيات كيانا كالنبيين والملائكة الكرويين وكونا كسائر الآيات العظيمة الكونية ومنها سائر خلق الله في سائر العوالم من سكان السماوات وعمارها (١).

أترى ان غاية المعراج فقط ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ لا إثبات رسالته ايضا كأية من آيات ربه؟ ومن ثم ف «من» تبعض هذه الرؤية ، في حين أرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

إن الملكوت هي حقيقة الملك وماهية تعلق الكون بالله تعالى ، وللملكوت درجات كما للملك درجات ، وكما أن أهل الملك والملكوت درجات فلكلّ درجة تخصه دون سواه ، او تعمه ومن معه في درجته ، وصاحب المعراج أرى الكبرى من درجات الملكوت : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ و ابراهيم وأضرابه ممن دون صاحب المعراج أرى درجات أدنى

. محمد رسول الله أيدته بعلي«! . ومنها النبيون والملائكة الذين صلوا وراءه في البيت المعمور : كما رواه القمي باسناده الى أبي جعفر (عليه السلام) قال : كما أسري برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فاذن جبرئيل واقام فتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصف الملائكة والنبيون خلف محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (المصدر ١٣٠).

(١). مضى تحت الرقم ٢ ص ٧.

منها ، فانه (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ : كل ما يمكن ان يبان ، و ﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ : أعلى الآفاق المعرفية أماهيه لحد ما لها من سباق.

ثم ان من الملكوت ما ترى إذ ينظر إليها ، للناس كل الناس : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ١٨٥) ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ : ٨٨).

ومنها ما يختص بالمخلصين من عباد الله كإبراهيم : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ...﴾ (٦ : ٧٦) ان افول الأفلين دليل لا مردّ له على الفقر المطلق للكون وحقيقة تعلقه بالله ، إراءة ومعرفة على مدرجة ابراهيم الخليل (عليه السلام).

ومنها ما يخص صاحب المعراج حيث دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، إذ تخطى الكون بملكه وملكوته ، بعد ما اكتمل الرؤية والمعرفة فيهما وبهما ، واري من آيات ربه الكبرى بصرا وبصيرة ، ثم أراه ربه نفسه بأرفع درجات المعرفة الممكنة حيث دنى بالعلم^(١) وتدلى بالتجاهل عن نفسه «ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه»^(٢) وكما قال (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) : «قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى»^(٣) «فلم يزل عن

(١). الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال :

(٢) تفسير القمي باسناده الى الصادق (عليه السلام) أوّل من سبق الى بلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) وذلك انه اقرب الخلق الى الله.

(٣) تفسير روح البيان ج ٩ : ٣١٩ قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) : وفي .

موضع ولم يتدل بيدن» ^(١) «وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به الى السماء :
«تقدم يا محمد! فقد وطئت موطئا لم يطأ ملك مقرب ولا نبي مرسل...» ^(٢) فأين ملكوت
من ملكوت! واين رؤية من رؤية واين معرفة من معرفة! فلم يدن احد ما دنه الرسول (صلى
الله عليه وآله وسلم) ولا جبريل الذي صاحبه في شطر من سراه ^(٣).
انه لم تكن سرى المعراج إلا تشريفا للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
وللملائكة وسكان السماوات ولكي يريه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أراه ^(٤) ويوحى اليه
ما أوحاه.

. الدر المنثور (٤ : ١٥٨) : اخرج الخطيب عن انس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما أسري بي
الى السماء قربني ربي تعالى حتى كان بيني وبينه قاب قوسين او ادنى لا بل ادنى...».
(١). الاحتجاج للطبرسي في آية التدلي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام).
(٢). تفسير القمي عن الصادق (عليه السلام).
(٣) في كتاب كمال الدين وقام النعمة باسناده الى عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا (عليه
السلام) عن آباءه عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل يقول في آخره :
فلما انتهيت الى حجب النور قال لي جبرئيل : تقدم يا محمد! ان هذا انتهاء حدي الذي وضعه الله لي في هذا
المكان فان تجاوزته احترقت اجنحتي لتعدي حدود ربي جل جلاله فزج بي زجة في النور حتى انتهيت الى حيث ما
شاء الله عز وجل في ملكوته فنوديت : يا محمد أنت عبدي وانا ربك فياي فاعبد وعلي فتوكل فانك نوري في
عبادي ورسولي الى خلقي وحجتي في بريتي» (نور الثقلين ٣ : ١٢٥).
وفي اصول الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما عرج برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وانتهى جبرائيل به الى مكان فخلى عنه فقال له : يا جبرئيل! تخليني على هذه الحال؟ فقال : امضه فو الله
لقد وطئت مكانا ما وطأ بشر وما مشى فيه بشر قبلك» (نور الثقلين ٣ : ١٢٩).
(٤) في كتاب التوحيد للصدوق باسناده الى يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لابي .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ترى من هو السميع البصير هنا؟ ثم ما هي الصلة بين

السميع البصير والرحلة المعراجية؟

قد يكون هو صاحب المعراج ، فالأنه سميع يسمع الوحي الخاص في السدرة بأذن قلبه ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ويسمع محادثات الملاء الأعلى بسائر أذنه ، كما يبصر من آيات ربه الكبرى ببصره ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ويبصر ربه ببصيرته ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ لهذا وذاك أسري به ، حيث يسمع ما لا يسمعه غيره بسمعيه ، ويبصر ما لا يبصره غيره ببصريه.

وقد «لا» حيث الرسول وإن كان سميعا بصيرا ولكن «هو» الفاصل هنا توحى بالحصر ، ولا حصر في السمع المطلق وبصره إلا في الله ، وإن دخل في ضمنها رسول الله ، فلان الله سميع بصير يجعل رسوله سميعا في معراجيه بصيرا ، بما يسمع من تطلبه ، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ويبصر من تأهله لهذه الرحلة المقدسة.

ثم ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لله ليستا مثلهما في سواه ف «لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على

. الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لاي علة عرج الله نبيه الى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها الى حجب النور وخاطبه ونجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان ولكنه عز وجل أراد ان يشرف ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمتة ما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقول المشبهون سبحانه الله وتعالى عما يشركون «نور الثقلين (٣) : (٩٩).

المقدور...»^(١) ف «هو سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة ، بل يسمع نفسه ويصير بنفسه ، ليس قولي : «انه يسمع بنفسه ويصير بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولا ، وإفهاما لك إذ كنت سائلا ، وأقول : يسمع ب كله لا ان الكل له بعض ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا الى انه السميع البصير ، العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى»^(٢).

فلقد «سمي ربنا سميعا لا بجزء فيه يسمع به الصوت لا يصير به ، كما أن جزئنا الذي نسمع به لا يقوى على النظر ، ولكن أخبر أنه لا تخفى عليه الأصوات ، ليس على حد ما سمينا نحن ، فقد جمعنا الاسم بالسميع واختلف المعنى ، وهكذا البصر لا بجزء به ابصر كما أنا نبصر بجزء منا لا ننتفع به في غيره ، ولكن الله بصير لا يجهل شخصا منظورا اليه ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»^(٣).

وهكذا تكون صفات الله الحسنى كافة ، مجردة عما لمن سواه من حدود وقيود ، ما يجب سلبها عن الله ، إذ تختص بمن سواه.

(١). اصول الكافي باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٣٣).

(٢). التوحيد للصدوق عن أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٣٤).

(٣) المصدر عن الرضا (عليه السلام) وفيه باسناده الى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت : جعلت فداك يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر ويصير بغير الذي يسمع؟ قال : فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك ، انه سميع بصير ، يسمع بما يبصر ويصير بما يسمع ، قال : قلت : يزعمون انه بصير على ما يعقلونه؟ قال : فقال : تعالى الله . انما يعقل ما كان بصنعة المخلوق وليس الله كذلك.

ترى ولماذا يوصف ربنا بالسميع البصير دون الثلاثة الأخرى : الالامس . الشام .
الذائق؟ عله لأنها تختص بحواسها الثلاث دونهما حيث يعلمان حسيهما بعضويهما ودونهما
من السمع والبصر المجردين ، ثم السمع والبصر من كفايات العلم دون الثلاثة الأخرى الخاصة
بالحس ، حيث لا ذوق ولا شم ولا لمس وراء الحس .

فمن الأسماء ما يخصه لفظيا كمعناه : الرحمن . الخالق ... ومنها ما يخص خلقه فيها :
المريض . النائم . الذائق . الالامس . الشام ... ومنها ما نشارك ربنا في لفظه دون معناه : العالم
ـ القادر ـ الحي ـ الموجود ـ السميع ـ البصير .

والضابطة العامة في أسماءه أن تجرد عن معاني الخلق وصفاته الى ما يخصه إلهيا ليس
كمثله شيء .

ثم هذه الرحلة المنقطعة النظير للبشير النذير التي تفوق كل زمان ومكان رحلة مختارة
من اللطيف الخبير ، وهي آية عجيبة من آيات الله ، ليريه من آياته الكبرى ، مهما كانت
آية . في هامشها . للمرسل إليهم ، تفتح القلب على آفاق عجيبة في الكون ، وتكشف عن
الطاقات المخبوءة في كيان هذا الإنسان ، والاستعدادات الخارقة المنقطعة النظير التي يتهيأ بها
لاستقبال الفيض المطلق من السميع البصير انه لطيف خبير .

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ (٢) .

كتاب موسى هو التوراة ولماذا هنا الكتاب بدل التوراة؟ عله لمحة من «الكتاب» بما
كتب فيه وفرض عليهم . كما الكتاب ككل هو كل ما

يثبت ويثبت. وهل أوتيهِ موسى هدى لبني إسرائيل دون سواهم؟ وهو ثالث أولى العزم من الرسل حيث تعم شرائعهم كافة المكلفين من الجنة والناس أجمعين ، فكيف اختصت هدى موسى بعض الناس : بني إسرائيل؟

هذه الرسالة العظيمة كسواها من أولى العزم الخمسة الذين دارت عليهم الرحي^(١) تشمل المكلفين اجمع : ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ...﴾ (٦ : ٩١) ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلامِي...﴾ (٧ : ١٤٤) فرسالة موسى وهداه بكتابه هي للناس كل الناس ، والى فرعون وملائه : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (١٠ : ٧٥) استكبروا مجرمين الا جماعة من ملائه السحرة : ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٢٠ : ٧٠) وإلا رجل من آل فرعون سوى السحرة : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ^(٢) مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ...﴾ (٤٠ : ٢٨).

وعل تركيزه هذه الرسالة العامة على بني إسرائيل في الكثرة المطلقة من مواردنا ، لأنهم كانوا هم أضعف المستضعفين في الأرض ، والرسالات الالهية تقصد المستضعفين أولاً لتخليصهم ، ثم المستكبرين لإبعادهم عنهم ومن ثم هدايتهم أنفسهم . ثم من سواهم وهم القلة القليلة في تاريخ الرسالات.

ونرى في مثلث الدعوة للرسالات أن الزاوية الأولى هي القاعدة ، ثم الثانية للإبقاء على هذه القاعدة ثم الثالثة لعموم الدعوة ثم وتأثير الدعوة في

(١). راجع ج ٢٦ . الفرقان . ص ٧٣ في ضوء آية اولي العزم.

الأولى أولاً وفي الثالثة ثانياً وفي الثانية ثالثاً ، كما في سحرة موسى ورجل من آل فرعون.
ثم السنة الرسالية تقتضي تركيزها على قوم الرسول أولاً ثم منهم الى سواهم : ﴿وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٦ : ٢١٤) ثم أهل بلده ولا سيما الألد منهم ﴿وَتُنذِرْ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾
(١٩ : ٩٣) ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣٦ : ٦) ولا شك أن الرسالة
المحمدية عالمية كما تنص عليها آياتها وتدلنا عليه غاياتها.

فموسى وكتابه هدى لبني إسرائيل أولاً ^(١) ولفرعون وملائته ثانياً ، ولسائر الناس أخيراً.
﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾.

هل المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل؟ وغياهم في ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقتضي غياهم هنا
﴿أَلَا يَتَّخِذُوا﴾! ام للمسلمين المخاطبين متنا في وحي القرآن؟ وما هي الصلة بين هدى
موسى وكتابه والا يتخذ المسلمون من دون الله وكيلاً؟ وهدى موسى تختص أمته!
المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل الحضور زمن الخطاب وعلى طول الزمن بعده فان
رسالة موسى منذ بزوغه كانت هدى لبني إسرائيل السابقين على الدعوة الإسلامية ، ألا
يتخذوا هم ولا تتخذوا أنتم من دون الله وكيلاً.

والانتقال من الغيبة الى الحضور دأب يدأبه القرآن بمناسبات شتى.

وهل تختصر رسالة موسى وتختصر في ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾

(١) فضمير الغائب في «جعلناه» كما يرجع الى كتاب موسى كذلك الى موسى ، فموسى بكتابه وكتاب موسى
هدى دون انفصال.

وفي كتاب موسى أحكام أصلية وفرعية شتى؟.

أقول : ككل كلا ، وأما كأصل يركز عليه الكل فبلى حيث الآلهة (العدة المعدة) والوكالات الاخرى كانت في بني إسرائيل سنة دائمة ، فلذلك أصبحت ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ كأنها هدى موسى كلها لبني إسرائيل ، فان عليهم ان يتبنوها لهداهم ككل ، دون ان يتفلسف اصل من الشريعة عنها أو فرع.

ثم ولا تختص شرعة موسى بهذه الأصالة ، فإنها تعم الشرايع كلها فان الوكالات في أمر التكوين والتشريع ككل ، وفي سائر الوكالات كأصل إنما هي لله سبحانه وتعالى عما يشركون.

تأتي الوكالة بمختلف صيغها سبعين مرة في الذكر الحكيم ، مختصرة الربوبيات في الله تعالى : ان له الحكم لا سواه : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (١٢ : ٦٧) ٢ . وسعة العلم : ﴿وَسِعَ رُبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٧ : ٨٩) ٣ . والرحمة العامة : ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٦٧ : ٢٩) ٤ . والهداية : ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ (١٤ : ١٢) ٥ . والنصرة : ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣ : ١٦٠) ٦ . والعزة ٧ . والحكمة : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨ : ٤٩) ٨ . والمانع عن الضرر : ﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥٨ : ١٠) ٩ . وعن سيطرة الشيطان : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١٦ : ٩٩) ١٠ . وفي كل ما عند الله : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢ : ٣٦) ١١ . وفي رجوع الأمر كله اليه : ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (١١ : ١٢٣) ١٢ . وفي سعة القدرة : ومطلق الملك والملك : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤ : ١٣٢).

ففي هذه الأمور تكوينيا وتشريعيا ينحصر التوكل على الله منحسرا عن سواه ^(١). فلا توكل إلا على الله ولا اتكالية في الأمور على الله أو سواه ، ولا توكل في وكالة غير الله إلا ناقصا ينحو نحو وكالة الله.

حيث الاتكال على أي كان يعني تخلي الإنسان عن أية محاولة فيما يتكل فيه ، والبطالة في أي أمر للإنسان فيه حول وقوة محذور ، حتى وإن كان على الله ، كمن لا حراك له في الحصول على رزقه ويتكل على الله.

ثم التوكل على غير الله فيما يتوكل فيه دون اتكال يعني أن غير الله كاف وليس به أيا كان ، وإنما يتوكل على الله ، ولا يعني توكل غير الله لا توكلا عليه ولا اتكالا ، وإنما مساعدة لك فيما لا يسعه حولك أم قوتك ، ثم عليكما موكلا ووكيلا التوكل على الله فيما لا تقدران عليه أو تقدران! ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

ف ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ تعم الوكالتين : ١ فيما يختص بالله كما مضى في آياته ٢ . في كل أمر يعمل له لك متعاملا معك غير الله ، أن تراه مستقلا في حوله وقوته عن الله ، أم غير مفتقر في بلوغ الغاية إلى الله وحتى فيما يبلغه الإنسان دون حاجة ظاهرة إلى سواه.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ عله علة الأمرين ، ١ . أن الله حمل نوحا والمؤمنين معه ، ٢ . وأنه جعل دريته ومن حمل معه هم الباقين.

والشكور هي المبالغ في الشكر حسب المكنة والاستطاعة كالعبد الشكور حيث يشكر في غاية العبودية ، وهي المبالغ في الشكر بمقتضى الرحمة : ﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٤٢ : ٢٣) وأين شكور من شكور! على أن ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

(١) راجع ج ٢٩ . الفرقان . ص ٢١٧ على ضوء الآية : فاتخذ وكيلًا.

(٣٤ : ١٣) ولقد كان نوح صبارا شكورا أن عاش قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، قوما كفورا وهو صبار شكور! ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣).

«ذرية» منصوبة على الاختصاص ، أفهذه الذرية هم . فقط . بنو إسرائيل؟ إذ ﴿جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وهم محط الدعوة الموسوية؟ وليسوا هم . فقط . ذرية من حملنا ، ولا تخصهم الدعوة الموسوية ، وهم ذرية ممن حملوا مع نوح لا «ذرية من»!

أم هم بنو الإنسان من ذرية نوح طيلة الرسالة الموسوية؟ حيث ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ (٣٧ : ٧٧) : فإن بني الإنسان كافة بعد نوح هم . فقط . من ذرية نوح؟ وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) ولكنهم ذرية نوح ، لا ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وقد حمل معه من ذريته ومن آمن به : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (١٩ : ٥٨) فلو كانوا هم . فقط . ذرية نوح كان «ومن ذرية نوح» ك ﴿مَنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ فذرية آدم هم . فقط . ذرية آدم ، وذرية من حملنا مع نوح هم من ذريته وسواهم ممن حملوا معه : «قلنا احمل فيها من كل زوجين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل» (٤٠ : ١١) واللمحة

(١) في الدر المنثور (٤ : ١٦٢) اخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الانصاري (رض) ، قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ما كان مع نوح الا اربعة أولاد : حام وسام ويافت وكوش فذاك اربعة أولاد انتسلوا هذا الخلق.

المستفادة من ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ دون «من» تطارد احتمال أن بني الإنسان كافة بعد نوح إنما هم من ذريته. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ كانوا عقمًا! والرواية تحمل على المصداق الأوضح الأعرف ، وآية «الباقيين» لا تعني ذريته الأولاد فحسب ، وإنما من ركب سفينة النجاة : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) يا ترى هم فقط ولده وبعض منهم لم يكن من أهله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (١١ : ٤٦) والمؤمنون القلة الذين ركبوا معه قد نجوا ، فأهله هنا هم كل من حمل معه ، وهم كلهم ذريته ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) دون الهالكين : ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٨٣) فالأولون هم أهله وذريته والآخرين هم الهالكون وإن كانوا من ذريته^(١).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (٥).

قضاء صارم بفساد عارم الى بني إسرائيل طول التاريخ الاسرائيلي منذ البداية في الأرض مرتين تصحب أخراهما ﴿عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ ١ . فما هي القضاء؟ ٢ . وما هو الكتاب؟ ٣ . واين هي أرض الإفساد؟ ٤ . وما هما المرتان؟ والعلو الكبير؟ ٥ . ومن هم ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ حيث يجوسون في الأولى خلال الديار ، ويسوءون وجوههم في الثانية؟
إن القضاء ككل . هي فصل الأمر ، وقد يختلف الأمر بفصله حسب

(١) فلو كان أهله وذريته . فقط . من نسله لكان الآخرون الهالكون هم الكافرون مع المؤمنين القلة الذين حملوا معه!.

اختلاف التعلقات : قضاء . فيه . عليه . له . به . إليه . منه . بين .

وهي بين فصل الأمر تكوينا او تشريعا او فعلا او تحويلا لنباء : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (٤١ : ١٢) تكوينا . ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (١٧ : ٢٣) تشريعا . و ﴿إِنَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ (٢٨ : ٢٨) فعلا . و ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ (٣٣ : ٢٣) أجلا للموت وهو من فعل الله ، ثم القضاء فيه : في القضية التي تقتضيها . وعليه : على المحكوم فيها ، وله : المحكوم له . وبه : بالحكم المقضي ، ومنه . من القاضي ، وبين : بين المتقاضيين . سواء في التكوين او التشريع او فعل وأجل .

واما القضاء اليه : رابع الأضلاع لمربع القضاء . فقد ينحصر في تحويل أمر تكوينا كالأجل : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَيْ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ (١٠ : ١١) أو تحويل لنباء فصل محتوم ايحاء ، من مخلفات لسيئات : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ (١٥ : ٦٦) وقطع الدابر هذا من مخلفات اعمال قوم لوط المفسدين ، حيث جزاهم الله بما أفسدوا ، أو هو تحويل نباء فيه تحويل كما هنا : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ الحكم الفصل الإنباء إليهم في الكتاب : التورات فلا هو تشريعي ولا تكويني ، وانما قضاء علمي من أهم الملاحم التاريخية المنقطعة النظير يوحى إلى البشر النذير! وهل الكتاب هنا . فقط . التوراة حيث سبق ذكرها في ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؟ ام كل كتابات الوحي الإسرائيلي؟ او كل ما كتبه الله من كتاب قبل القرآن؟ نجد نبأ القضاء على مطلق الإفساد بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه في عديد من كتابات الوحي : في العهد العتيق والجديد

وسواهما وقد يأتي نبأه في ختام البحث.

وأرض الإفساد هي الأرض كلها ، دون اختصاص بالقدس او فلسطين ، حيث الصيغة الخاصة به هي ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٥ : ٢١) ام ولا اقل «أرضاً» حتى تخص جانباً من الأرض : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾ (١٢ : ٩) ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا﴾ (٣٣ : ٢٧) ام «أرضكم» او «أرضنا» او «أرضهم» حتى تدل على اختصاص ، دون «الأرض» والقائل هو الله خالق السماوات والأرض ، لا انسان الأرض الذي يسكن جانباً منها فيعني من «الأرض» سكناه او ما يملكه منها ام ماذا؟

فصيغة الأرض من صائغها الله ليست لتعني إلا الأرض كلها ، أم والأرضين السبع : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٦٥ : ١٢) اللهم إلا بقرينة حاضرة تخصها ، وليست هنا فلا اختصاص ، فهما إذا إفساد ان في المعمورة كلها.

وهل المرتان هما . بعد . قتل زكريا ويحيى (عليهما السلام) ^(١)؟ وقتل كل نبي إفساد! وفي أنبياء إسرائيل من هم أهم وأعظم منهما! فاذيعني الإفساد قتل نبي فلما ذا «مرتين» دون «الاف المرات»؟ وقد كانوا يقتلون

(١) ولم يرد فيه رواية في التفاسير الاثرية للفريقين إلا روايات عن بعض الاصحاب او التابعين او المفسرين دون اي دليل اللهم الا ما رواه عن علي (عليه السلام) كما في الدر المنثور ٤ : ١٦٣ . اخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله : لتفسدن في الأرض مرتين ، قال : الاولى قتل زكريا (عليه السلام) والاخرى قتل يحيى وهي على كونها رواية يتيمة لا توجد في كتب أحاديثنا مردودة بما ذكرناه في المتن.

في يوم سبعين نبيا ام ما زاد او نقص!.

فليكن الإفساد ان في الأرض شاملين كل المعمورة : إفسادا في الأنفس قتلا وإضلالا ، وفي الحرث والنسل : اقتصاديا ، ثقافيا . أخلاقيا . سياسيا وحربيا ام ماذا ، حيث يجعل المعمورة خربة باثرة لا تليق جوًا للحياة الإنسانية السليمة.

ان التاريخ الاسرائيلي على طوله هو تاريخ الفساد والإفساد ، كما في تلمودهم ^(١) الا بعض ما كان زمن سلطات الرسالات الاسرائيلية السامية كموسى ويوسف وداود وسليمان واضرابهم ، ففي الأكثرية الساحقة زمانا ومكانا وإنسانا كانوا مفسدين ليل نهار ، لا مرتين ولا آلاف فلا يحصيها الا الله!

ولكن الإفساد . كما الإصلاح . العالميين لا يتيسران إلا في منظمة وسلطة وقيادة قوية ، ولكي تعلق كافة النشاطات المضادة من حكومات وشعوب .

(١) واليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاءون ، يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم بما يختلقه ، جاء في التلمود وهو ملخص دين اليهود تفسيرا للتورات «ان الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم اننا شعبه وأبناءه وان العالم ، الانساني كله خدم لنا ، والإنسان كله برزخ بيننا وبين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات ، فعلينا ان نجعلهم متشاكسين متقاتلين متعادين وتدخل في سياساتهم ونجعلهم في حرب وخلاف دائمين لترجمهم في ضعفهم ، ونزوج بناتنا لعظمائهم وتدخل وتدخل في كل دين لنفسه على اهله وتكون لنا السيادة على هذا الإنسان الذي سخره الله لنا».

ولقد عملوا ما أملوا وبلغوا ما أملوا حيث أسسوا البلشفية في روسيا ومنهم لينين ، وماركس الالماني الذي هو اصل البلشفية يهودي . ورؤساء جماهير امريكا كلهم من اليهود او عملائهم ، وكذلك كفار الغرب والشرق الطواغيت وزعماء مستسلمين من المسلمين هم من عملائهم كما نراهم اليوم يعملون لصالح الصهيونية العالمية.

والصهاينة المجرمون كانوا . وقبل سنين . شذاذ الآفاق متفرقين في البلاد ، ليست لهم دولة او دويلة ، فما كانوا يستطيعون الإفساد في الأرض ، حيث كانوا تحت مختلف السلطات .

ولأول مرة في تاريخهم شكلت دويلة في فلسطين بما تآزرت الطاقات من شراذمة الآفاق والاستعمار الشرقي والغربي ، وبما تساهلت او ساعدت دويلات عربية حتى احتلت فلسطين لحد غربي نهر الأردن وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن ، أنتم شرقي النهر وهم غربيه»^(١).

فلقد اختلقت دويلة العصابات الصهيونية منذ زهاء أربعين سنة ، ثم احتلت بلادا اخرى ضمتها إليها بعد سنين بما فيها القدس ، ثم أخيرا أعلنت ان القدس عاصمة إسرائيل ، ثالث منحوس من إفسادهم العالمي الأول ، انطلاقا من فلسطين ، وإطلاقا الى المعمورة كلها وحتى متى؟ لا ندري.

هذه هي المرة الأولى من إفسادهم مرتين ، وطبعا بلا علو كبير . على علوه . فان كبيره للثانية ، وفي الأولى يساعدها او ينضم إليها او يستجيبها ويحرضها سائر سواعد الكفر والفساد في المعمورة ، لا سائر اليهود والنصارى وسواهم من الكفار والملاحدة والمشركين فحسب ، بل ، ومن يتسمون المسلمين

(١) الطبقات ٧ : ٤٢٢ عن السكوني قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقول : الدجال هنا هو إسرائيل شر دجال طول التاريخ ، ونهر الأردن بين فلسطين والأردن ، ونرى الآن ان غربي النهر محتل إسرائيلي والمسلمون في شرقيه ، ولم يسبق لحد الآن في التاريخ الاسلامي احتلال الاراضي الغربية لنهر الأردن من قبل غير المسلمين الا قبل سنين من قبل الدجال الاسرائيلي ومن الطريف جدا صدق الصفة الخاصة للدجال المعروف في قائد الحرب الاسرائيلي ب (موشي دايان) فانه ممسوحة العين.

وايضا : من دويلات خليجية أماهيه التي هي ويلات على الإسلام والمسلمين العائشين تحت نيرهم ، وكما نراهم يساعدون البعث الكافر ضد ايران المسلمة التي رفعت ولأول مرة في تاريخ الإسلام . راية الجمهورية المحيدة الإسلامية ، فجند الكفر جنوده من مشارق الأرض ومغاربها على الحدود العراقية الايرانية ولكي يربح صدام صدام على هذه الجمهورية المباركة وتتخلص من حكم الإسلام الصارم^(١).

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (٥).

وعد الأولى هو موعد الانتقام منهم في المرة الأولى من إفسادهم العالمي ، حيث تشمل زبانيته مشارق الأرض ومغاربها ،
وعلنا نعيش الآن في وعد الأولى ، في بداية قضينا فيها على المكينة الجبارة في ايران ،
وأخذنا في محاربة المستعمرين شرقيين وغربيين فأرسلوا علينا ذنبا من أذناهم أحرق واشرس عملائهم «صدام».

يا ترى من هم ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ غيرنا ومن يلحق بنا ويستجيبنا من

(١) لقد جاءتنا انباء موثقة من جيشنا الباسل الاسلامي في المحمرة : خونين شهر شهر ، وسواها من الحدود الايرانية العراقية ان المساعدات في شتى الحاجيات الحربية تأتي للعراق من (١٠٦) دولة ، وان المحاربين في خطوط النار ضد الجمهورية الاسلامية الان من (٢٥) دولة شرقية وغربية ،
نقل لي جماعة من هؤلاء اننا أسرنا في المحمرة (٣٥) منهم وكانوا من (١٧) دولة كمصر والأردن والسعودية والمغرب وامريكا وانكلترا وروسيا وفرنسا وإسرائيل ... ، وان المحاربين الاردنيين في الجبهات بلغوا زهاء ٤٠ / ٠٠٠ نفر ، وهكذا يجند الكفر جنوده ضد جمهوريتنا ، اللهم انصرنا عليهم بالمهدي وآبائه الطاهرين (عليهم السلام).

المسلمين الغيارى الأحرار؟ هل هم بعد بخت النصر الوثني مع جنوده الوثنيين ام هم من خيرة عباد الله الصالحين؟.

إن هذه الصيغة سائغة لعباد الله الخصوص ، مصوغة لمن يختصون عبوديتهم وعبادتهم بالله دون سواه ، ففي العباد المعصومين نجد هكذا فرادى ك ﴿عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ (١٩ : ٢) و ﴿عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ (٣٨ : ١٧) و ﴿عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ (٣٨ : ٤١) و «نوح» (٥٤ : ٩) وك «عبده» الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هنا ، وجماعات : ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٣٨ : ٤٧).

ثم ونجد «عبادا لنا» فيمن دون المعصومين صيغة مختصرة منقطعة النظير تخص هؤلاء المبعوثين مرتين لدحر السلطات الصهيونية ، طالما «عبادي» يعمهم وسواهم من المكرمين : ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٣ : ٦٨) ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٣٩ : ١٧).

وكما في مثلث العباد «عبادنا» هم المصطفون : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ. ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٥ : ٣٢) حيث السابق بالخيرات من العباد هم «عبادنا» والظالم لنفسه «عباد الشيطان» والمقتصد بين ذلك عوان. ونحن لا نجد في الطول التاريخي والعرض الجغرافي الإسلامي «عبادا لنا» خيرا من المسلمين الثوار الإيرانيين بمن يلحق بهم ويستجيبهم من سائر المسلمين في هذه المعركة المصيرية بين مطلق الإسلام ومطلق الكفر ، اللهم إلا بعضا ممن كانوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي والحسين (عليهم السلام) ام من ذا؟ ولكنهم عاشوا قبل

المرتين من الإفسادين العالميين ، ونحن نعيش المرة الأولى منهما ، فلنكن نحن «عبادا لنا» وقد يعبر عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) باخوانه فوق أصحابه! في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم لقني إخواني» ^(١) «ويا ليتني قد لقيت إخواني» ^(٢) وهم رفقاءه (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(٣) «الواحد منهم له اجر خمسين منكم» ^(٤).

(١) البحار ٥٢ : ١٢٣ . ٨ ير باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه : «اللهم لقني إخواني» مرتين . فقال من حوله من أصحابه : اما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال : لا . إنكم اصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني لقد عرفنيهم الله بأسمائهم واسماء آبائهم من قبل ان يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ، لأحدهم بأشد بقية على دينه من خطر القتاد في الليلة الظلماء ، او كالقابض على جمر الغضاء أولئك مصابيح الدجى ، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة».

وفيه (١٢٢) ٤ . ج عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة بعده . يا أبا خالد! ان اهل زمان غيبته القائلون بإمامته ، المنتظرون لظهوره أفضل اهل كل زمان ، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف ، أولئك هم المخلصون حقا وشيعتنا صدقا والدعاة الى دين الله سرا وجهرا ، وقال : انتظار الفرج من أعظم الفرج».

وفيه (١٢٥) ١٢ . ك : عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): يا علي! واعلم ان أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض».

(٢) (١٣٢) ٣٦ . جاء ، باسناده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم : يا ليتني قد لقيت إخواني ...».

ولئن قلت إن هؤلاء حسب النص يبعثون ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ وأني لكم انكم في زمن وعد الأولي وعقابها وإفساد هذه المرة بعد لم يشمل المعمورة كلها حتى يحين حين وعدها.

علة لأن المرة الأولى بادئة منذ زمن ، ولأن في وعدها يبعث «عبادا لنا» وتصدق هذه الصيغة لأول مرة علينا ، فلنكن نحن هم ، وإلا فليقل «عبادا لنا» كذا وكذا حتى لا يشملنا ، ثم البعث آخذ فينا موقعه لما قطعنا ذنبا طويلا من أذنان إسرائيل «الشاه» ونعيش الآن قطع أذنان أخرى حتى نصل الى صاحب الأذنان «إسرائيل».

فكما أن إسرائيل تفسد في الأرض بأذنانها ، بخيله ورجله ، برجاله ورجاله من مشارق الأرض ومغارها ، فليكن الانبعاث في ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ نابعا منا نابغا كأصل ، ومستأصلا كل الفساد بمن يستجيبنا من مسلمي المعمورة الأحرار.

لهؤلاء الثوار الأماجد حسب النص مثلث من الميزات : ١ . «بعثنا ...» ٢ . «عبادا لنا» ٣ . ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ والنتيجة : ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ حيث يحققون الوعد : ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾!

(٣) المصدر (١٢٩) ٢٥ غط باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): طوبى لمن أدرك قائم اهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه يتولى وليه ويتبرأ من عدوه ، ويتولى الأئمة الهادية من قبله ، أولئك رفقائي وذووا ودي ومودتي وأكرم امتي علي (وأكرم خلق الله علي).

(٤) الغيبة للطوسي (٢٩٠) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له اجر خمسين منكم قالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن؟ فقال : انكم لو تحملتم لما حملوا لم تصبروا صبرهم.

والبعث الرباني ولا سيما في جمعية الصفات «نا» يعني بعثا ربانيا ايمانيا صامدا صارما كالبعثات الرسالية. فالبعث الصهيوني في الإفساد العالمي يتطلب بعثا ربانيا يكافئه في الإصلاح العالمي : بعث عتيد فيه باس شديد! ، ومن قبل تأذن الله نوعية هذا البعث : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧ : ١٦٧) : سلسلة من عباد الله الصالحين في حلقات متواصلة متفاضلة طول التاريخ الإسرائيلي لمن يسومهم سوء العذاب ، ثم ويختص «عبادا لنا» بأخلصهم في هذا البين وأشدهم بأسا حيث يقضى بهم على الإفسادين العالميين.

فمن هؤلاء الخصوص؟ هم «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لآل محمد إلا أخذوه^(١) قتلوه^(٢) وتفجرة هذه البعثة المظفرة علّها من قم ف «هم والله اهل قم»^(٣) بمن يقودهم من رجله القائد الأعظم الحميني نصره الله وكما يروي عن الإمام الرضا (عليه السلام): «رجل من اهل قم ...»^(٤).

هؤلاء هم الأولون في وعد الأولى ، ثم الآخرون في وعد الثانية «هم

(١) تفسير البرهان عن العياشي عن الامام الصادق (عليه السلام) والوتر بفتح الواو وكسره : الفرد او ما لم يتشفع والذحل او الظلم فيه هو المقصود هنا.

(٢) تفسير نور الثقلين ٣ : ١٨ عن روضة الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا...﴾.

(٣) تاريخ قم تأليف حسن بن محمد القمي نقلا عن جماعة من اصحاب الامام الصادق (عليه السلام) قالوا : كنا حضورا عنده (عليه السلام) فتلا : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا...﴾ قلنا : جعلنا فداك من هؤلاء؟ قال : هم والله اهل قم.

(٤) يأتي تفصيل هذا الحديث.

القائم (عليه السلام) وأصحابه»^(١).

ف «عبادا لنا» يقتسمون الى من ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ومن ثم من ﴿لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ وكما الإفساد الثاني أقوى وعلوه أعلى من الأول واشجى ، كذلك ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ فيه هم أحق وأحرى ، كما أن قائدهم المهدي (عليه السلام) إمام لقائد المرة الأولى ولكافة المكلفين . اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه .

ثم لا نجد البعث في آياته إلا بعث الرسل او بعث الأموات فالثاني تكويني والأول تشريعي يعم المرسلين دون سواهم ، اللهم إلا من ينحو منحاهم كطالوت : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (٢ : ٢٤٧) ثم اللهم إلا من يسومهم سوء العذاب دوماً وأخيراً الا ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ أخصاء ثم لا بعث إلا رسالياً إلا في الغراب : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥ : ٣١) خارجاً عن الشرعة التشريعية .

وذلك البعث أيا كان ، رسولياً او رسالياً في غير الرسل يتضمن حركة قوية صارمة تقضي على الحياة العارمة ، فكما بعث الأموات يحييهم ، كذلك ذلك البعث يحيي ميت البلاد ، ويحرر مستضعفي العباد عن سلطان الطواغيت بصورته العامة المستمرة ب «من يسومهم» والخاصة بالمرتين ب «عبادا لنا» .

ثم «عبادا لنا» هي ك «بعثنا» تخصهم دون سواهم! وكذلك ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ إذ لا نجد لها إلا في الحديد : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (٥٧ : ٢٥) ام في بأس الله : ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (٤ : ٨٤)

(١) نور الثقلين عن تفسير العياشي عن حمran عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

اللهم إلا فيما يدعيه من لا يصدّقون : ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (٢٧) :
 (٣٣) وقد تبين أن بأسهم بائس أمام بأس سليمان (عليه السلام) وأخيرا من يحذّر المخلفون
 من الاعراب عنهم : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُوهُمْ
 أَوْ يُسْلِمُونَ...﴾ (٤٨ : ١٦) وهذا هو البأس الشديد لأعداء الإسلام منقطع النظير في
 التاريخ وعله بأس اليهود في المرتين ^(١) ، يقابله بأس شديد من ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ بأس شديد
 ببأس شديد ، واين شديد من شديد ، ثم لا نجد شديدا للمصلحين في تاريخ الرسالات ام
 للمفسدين إلا هذا وذاك.

فهذا المثلث المجيد ، المنقطع النظير بزواياه ، يقضي على الصهاينة المجرمين ، حيث
 يجوسون خلال الديار.

﴿... فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

فالجوس هو الطلب باستقصاء في تردد حتى يتوسط المطلوب ، وهؤلاء المؤمنون
 الأشداء يطلبون أولئك المفسدين في المرة الأولى باستقصاء وتردد خلال ديارهم وسائر الديار
 ، دارا بعد دار ليجازوهم ما أفسدوا ويستأصلوهم ما وجدوهم ، ونحن هم إنشاء الله! حيث
 لا ندع وترا لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أخذناه او قتلناه ، والصهيونية العالمية
 بمن معها من كفره البلاد او مسلميهم المستسلمين ، هم كلهم وتر لآل محمد (صلى الله عليه
 وآله وسلم) ونحن . بإذن الله . سوف نطأ ما فيها ومن فيها بلا تهيّب! وإننا في هذه المرة
 ندخل المسجد الأقصى

(١) راجع سورة الفتح الجزء ٢٦ من الفرقان ص ١٨٢ على ضوء آية البأس الشديد.

منتصرين وكما في آية الانتصار الثاني ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾!
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ
أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لَأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٧).

هذه الآيات من الملاحم الغيبية الثانية إنباء هاما عن آخر الزمن ، حيث الظلم
والفساد يعم المعمورة كلها على سلطة عالية صهيونية عالمية وعملائها وأذائها في مشارق
الأرض ومغاربها ، ومن ثم يقضى على هذه السلطة بفرقة ثانية هي أسنى وأسمى من الأولى
من «عبادا لنا» وهم القائم (عليه السلام) وأصحابه وتتحقق الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية
والى يوم القيامة.

إن لقيام صاحب الأمر شرطين اساسيين سلبا وإيجابا كما هما لهذه الدولة الإسلامية
ب «عبادا لنا» قبلها ، فالسلي هو سلب الحق والعدل عن المعمورة بمن يعيشون في الأرض
فسادا ، والايجابي هو تحصيل «عبادا لنا» تبلورا من مسلمي المعمورة المجاهدين المناضلين ،
ولكي يحصل جند المهدي الأصلاء العشرة آلاف ، وأصحاب ألويته الثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا حيث يقودون الوية الدولة المهدوية وهم من اقسام مملكته في كل المعمورة.
عمال الناحية السلبية لتأسيس هذه الدولة هي الصهيونية العالمية واضرابها وكما في
المررة الأولى ، وعمال الناحية الايجابية لها هم خيرة من «عبادا لنا» كما في الأولى ، أشداء
خيرين وجاه أشداء شريرين.

وكما ان الصهيونية العالمية تعمل وتتعامل في عيث الإفساد العالمي في

المرتين هاتين . وعلى طول الزمن . فضرورة المكافحة الإسلامية تقتضي النضال المكافح المتغلب من مسلمي المعمورة تبلورا في «عبادا لنا» في المرتين هاتين . وعلى طول الزمن . لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى : ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢ : ٢٥١) وإذا الأرض فسدت حيث «عبادا لنا» يستضعفون ولا يناصرهم أمثالهم من مسلمي البلاد ، فعليهم ان يثوروا ويفوروا جميعا ولكي يجوسوا خلال الديار ويسوءوا وجوههم ، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ .

فهناك على طول الخط ﴿مَنْ يَسْؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بعثا إلهيا الى يوم القيامة ، ثم «عبادا لنا» في مرقي الإفساد العالمي ، كما . علّنا . نعيش الآن أولاهما وتتلوها الثانية بقيام صاحب الأمر صلوات الله عليه .

وأنباء وملاحم السلطة الصهيونية في غلبهم وأنهم سيغلبون وفيرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الكرام ، نستعرض هنا منها نماذج :

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي فتعال فاقتله» ^(١) وهذا يشمل مرقي الوعد في إفسادهم العالميين .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي من ورائي فاقتله» ^(٢) .

وقال علي (عليه السلام) : «ثم ليستعملن عليكم اليهود والنصارى

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٨ والبحاري ٢ : ١٧١ .

(٢) سنن الترمذي ص ٣٢٥ .

حتى تنفوا . يعني الى أطراف الأرض . ثم لا يرغم الله إلا بآنافكم ثم والله ليعشن الله رجلا منا اهل البيت يملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا»^(١).

ولا واقع لهذه الملحمة طول التاريخ الإسلامي لمثناه الاستثمار والاستعمار اليهودي النصراني إلا عند احتلال فلسطين بما تناصرا وتعاضدا . وتخاذل المسلمون . حيث نفى الفلسطينيون الى أطراف الأرض ، ومن ثم سائر المسلمين بين منفيين عن أراضيهم او عن سلطاتهم الإسلامية ، عائشين تحت السلطة الصهيونية الصليبية ، ثم السلطة الإسلامية عليهما مرتان أخراهما هي العالمية الكبرى الدائبة ، كما الإفساد الثاني عالمي ، وهذه الخطبة تبشر بالثانية ، وسائر ما نقله من الملاحم شاملة لهما^(٢) . او تخص الثانية^(٣).

وكما الآيات الأولى أنذرت بالمرّة الأولى في الإفساد العالمي ثم بشرت ان «عبادا لنا» يجوسون خلال الديار كذلك هذه الثانية تنذر أشد من الأولى وتبشر ببشارة فوقها.

-
- (١) الكني للدولابي ج ٢ ص ١٥٧ عن شيخ من النخع سمعت عليا (عليه السلام) يقول وهو على المنبر : ...
 (٢) ومنها اضافة الى ما مضى في الرقم (١ و ٢) ما رواه احمد في مسنده (٢ : ٤١٧) عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يحتبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر او الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ...» .
 (٣) في الفائق (٢ : ٢١٩ - غر) خطب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فذكر الدجال وقتل المسيح له قال : فلا يبقى شيء مما خلقه الله تعالى يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا دابة فيقول يا عبد الله المسلّم هذا يهودي فاقتله الا الغرقة فانها من شجرهم فلا تنطق ، وترفع الشحنة والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليدة في فم الحنش فلا يضره» .

إنذارات وتبشيرات جزاء وفاقا والعاقبة للتقوى :

فمربع الإنذار : ١ . لتفسدن ، ٢ . ثم رددنا ... ٣ . وأمددناكم ... ٤ . وجعلناكم

...

ومربع : ١ . فجاسوا ، ٢ . ليسوؤا وجوهكم ، ٣ . وليدخلوا المسجد . ٤ . وليتبروا ...
هذا مربع التبشير بفضل الله ورحمته ، فترى كيف يضيف الله الى نفسه ثالولا من

الإنذار؟

عله حتى لا يقال أنهم غالبون على أمر الله حيث يكرون على «عبادا لنا» المبعوثون من الله ، ذلك بان الله لا يحول دون ثالوثهم جبرا عليهم في حولهم وحيلهم حيث الدار دار الاختيار وليس الإجبار ، ومجرد أنه لا يحول بينهم وبين كرتهم هذه يسمح بهذه الإضافة «رددنا ..» وكما في اضربها : ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُهُمْ أَرْأَى﴾ (١٩ : ٨٣) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ (٦ : ١٢٣) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (٦ : ١١٢) إرسال وجعل تكويني في اختيار دون إجبار^(١) لا تشريعي حيث الأمور كلها راجعة الى الله

(١) فإذا لا مؤثر في الوجود إلا الله فكل اثر وتأثير فيه اذن من الله ، فان كان خيرا فالأذن في مثلث : التشريعي .
التكويني توفيقا والتكويني في الجزء الأخير من العلة التامة ، وان كان شرا فالأذن خير فقط ، بعد ما قدم المكلف كل حوله وقوته ولم يبق من مقدمات فعله الا اذنه تعالى تكوينا ، فان لم يأذن إذا أصبح المكلف مسيرا مجبورا في ترك الشر ، وان اذن حيث يجعل المكلف مجبورا في فعل الشر كان ظلما ، والعدل العوان بين ذلك هو أن يكون اذنه تعالى بعد تكملة مشيئة المختار بما قدم من مقدمات اختيارية ، فهو تعالى يأذن هنا كجزء من اجزاء العلة التامة ، وما دام الفعل مسنودا الى اختيار من الفاعل وان كان واحدا بالمائة من مقدماته يعتبر ذلك الفعل اختياريا ، وان كان العقاب والثواب حسب درجات الاختيار فان أفضل الأعمال أحزمها.

وصادرة عنه ، وكما يليق بساحة قدسه دون تغلب لأحد على الله لا في خير ولا في شر .
 إن الإمهال الإلهي لعمال الإفساد امتهان واستدراج للمفسدين وامتحان للمؤمنين :
﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢١ : ٣٥).

وتلكم الكرة الأخيرة على «عبادا لنا» عليها ليست لأنهم يتساهلون في نضالهم . وإنما لتقللهم في عدتهم وعدتهم ، وتعلل من تتوجب عليهم نصرتهم من مسلمي البلاد من ناحية ، ثم من أخرى الانتفاضة العامة من الصهيونية المتبقية خلال الديار ، بمن يستجيب لهم من سائر الكفار ، حيث يجند الشيطان جنده ويجزب حزبه للمرة الثانية والأخيرة ويضاف الى الإفساد العالمي من الصهيونية العالمية علو كبير ، حيث الإفساد في الأرض مرتان والعلو مرة واحدة وهي في الثانية : **﴿لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾** لا علوين ، وهو في الإفساد الثاني ، إذ هم فيه **﴿أَكْثَرُ نَفِيرًا﴾** !.

وترى كيف بإمكان اليهود هذان الإفساد ان العالميان والعلو العالمي في الأخير ، وهم مضروب عليهم بالذلة والمسكنة؟ وهل الدولة القوية والسيطرة العالمية بعد ذلة ومسكنة ، وهم ممدود لهم بأموال وبنين وهم بعد أكثر نفيرا؟! والله تعالى يعد المسلمين في تصریحة قاطعة :
﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (٣ : ١٠٨)؟.

. إذ ينسب الله شرا الى نفسه لا يعني إلا سلبا وإيجابا : انه لم يحل بين العبد وشره **﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** .
 وإنه اذن له أخيرا في فعله تكويننا لا ينافي الاختيار ، فليس الله فاعلا لشره ولا معاوننا له شريكا في شره . وإنما لم يمنع اجبارا واذن له اختيارا : اذن في اختياره السوء ان يتحقق ما يريد باختياره السوء ، «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» .

بلى! إنهم مضروب عليهم بالذلة حيث ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الله ، و ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ولكن شريطة تحقيق شروط من الله وكما قال الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (٩٦) .. وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٩٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٩٨) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .. (٩٩) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .. (١٠٣) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. (١٠٧) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٠٨) ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا ثَقَّفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبِأَوْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣ : ١٠٩).

فهناك ذلة بترك الحبلىن ومسكنة على اية حال لكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فلو أنهم تمسكوا بالحبلىن لزالَت عنهم الذلة والمسكنة تماما ، أو انهم تمسكوا بحبل واحد وكما هم متمسكون الآن بحبل من الناس ^(١) لزالَت عنهم الذلة على حد تمسكهم وتماسكهم مع بعض ، ثم المسكنة هي حالة الاحتياج وان كانوا في

(١) وان كان حق التمسك بحبل من الناس ان يتبنى حبلا من الله ، ولكن لحبل من الناس متحللا عن حبل الله اثره وجاه تارك الحبلىن تماما.

غنى ظاهرية اقتصاديا وكما هم لزامهم هذه الحالة وان ملكوا ثروات العالم.
ثم المسلمون المخاطبون «لن يضروكم» انما هم المخاطبون بسابقة الآيات الصابغة لهم
بصبغة : ١ . الا يطيعوا الكفار ٢ . ويعتصموا بحبل الله جميعا وهو الاعتصام بالحبلين جميعا ٣
 . ويتقوا الله حق تقاته ٤ . ويعتصموا بالله ٥ . وتكن فيهم أمة داعية آمرة ناهية ٦ . ولا
يتفرقوا!!.

واما المسلمون المستسلمون أمام الاستعمار الكافر ، التاركون للحبلين ، ام ماذا؟ مما
خوطبوا به في هذه الآيات فلا يصدق لهم «لن يضروكم» فالمتمسك بحبل واحد وان كانوا
هودا يتغلب على تارك الحبلين وان كانوا مسلمين ، وكما انتصرت إسرائيل على المسلمين
العرب المستسلمين حيث انتكس هؤلاء عن حقيقة إسلامهم وتمسك اليهود بحبل من الناس
فيما بينهم أنفسهم بتدعيم الوحدة بينهم وسائر المستعمرين شرقا وغربا ، فلم يكن ذلك
الانتصار وتأسيس دويلة العصابات ، وتلكم الانتكاسة من المسلمين العرب الا جزاء وفاقا
لأولاء وهؤلاء والله من وراء القصد ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُجْزَ بِهِ ..﴾ (٤ : ١٢٣).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ كرة للصهيونية العالمية على «عبادا لنا» : رجوعا عليهم
بتغلب أشد من الأولى وأنكى ، حيث العدة والعدة لهم في هذه المرة أقوى : ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ : منهم ، ومنكم في المرة الأولى وليس إمدادهم بأموال
وبنين وجعلهم اكثر نفيرا حيث تسببا رد الكرة عليهم ، إلا مسارعة لهم في إساءة وجوههم :
﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ هُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٣ : ٥٦)
ولا إملاء لهم ليزدادوا إثما : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثْلِي هُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثْلِي هُمْ
لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٣ : ١٧٨).

كما وان جعلهم أكثر نفيرا في حربهم «عبادا لنا» ليس إلا إملاء لهم واملا لا ، وكل ذلك امتهاننا لهم ، وامتحاننا ل «عبادا لنا» ولأنهم قتلوا وأولئك كثروا ، وأنهم تخلى عن مناصرتهم مسلموا البلاد ، وأولئك تماسكوا أكثر من المرة الأولى و ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٣ : ١٩٧).

ثم ورد الكرة عليهم لا يعني القضاء الحاسم على «عبادا لنا» وانما قضاء مالدح قليل من الزمن ، حيث العلو الكبير يختصهم فلا يبقى لهؤلاء الأكارم إلا علوا دون الكبير ، حفاظا على كيانهم ، وتحللا عن السيطرة الإسلامية على المعمورة كلها ، عكس ما مضى في المرة الأولى ، حيث الجوس في البلاد ما عنى القضاء الحاسم على الصهيونية ، فلذلك تراها تنبو بعد ذلك وتنمو حتى ترد الكرة عليهم.

ثم ﴿لَيْسُوا إِلَّا وُجُوهُكُمْ﴾ في وعد المرة الآخرة ، راجع الى «عبادا لنا» مهما قضى نجه البعض منهم وخلفه آخرون من أجناسهم دون أشخاصهم ، فهذه الدولة الحققة التي يؤسسها «عبادا لنا» في المرة الأولى سوف تبقى ومن ثم تضعف برد الكرة ردحا من الزمن ، وتتصل بالدولة الأخيرة المهدوية وكما يشير الى ذلك باقر العلوم (عليه السلام): «كأنى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا الى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(١).

(١) غيبته النعماني ص ١٤٥ . ابو خالد الكابلي عن الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام).

وقد ينطبق تماما على ثورتنا الإسلامية المجيدة المظفرة في ايران حيث قمنا ثلاث قومات^(١) وفي الثالثة أقمنا الجمهورية المباركة الإسلامية بقيادة القائد الأعظم نائب الامام السيد روح الله الخميني أطال الله بقاءه ، وسوف لا ندفع هذه الراية المظفرة إلا الى صاحب الأمر الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليه وستأتيكم روايات كهذه وأوضح في انباء

. وفي ج ١٣ ص ٢٢١ ملحقات احقاق الحق شرح لآية الله العظمى المرعشي باب يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه أقول : وعلمهم هؤلاء الثوار المخلصون الذين يعبدون الطريق للمهدي عليه السلام ويناسب الثورة المباركة الاسلامية في ايران.

رواه جماعة من الاعلام منهم الحافظ وابن ماجة القزويني في سنن المصطفى ج ٩ ص ٥١٩ والعلامة الحموي في فرائد السمطين مخطوط والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٨ مكتبة القدسي بالقاهرة والعلامة السيوطي في الحاوي للفتاوى ص ٦٠ ط القاهرة والعلامة ابو عبد الله محمد بن عثمان البغدادي في المنتخب من صحيح البخاري ومسلم ص ١٨٣ مخطوط والعلامة النابلسي في ذخائر المواريث ج ١ ص ٢٩٢ مكتبة القدسي بمصر والعلامة النبهاني في الفتح الكبير ج ٣ ص ٤٢٠ ط مصر والعلامة القرطبي في التذكرة ط مصر والحافظ الكنجي الشافعي في البيان في اخبار آخر الزمان ص ٣١٤ ط النجف والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٩٨ ط عبد اللطيف بمصر والعلامة المولى على المتقي الهندي في منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٦ ص ٢٩ الميمنية بمصر والعلامة الشيخ عبد النبي بن احمد القدوسي الحنفي في سنن المهدي ص ٥٧٢ مخطوط.

(١) القيام الاول . في هذا الوجه . كان في الثاني عشر محرم الحرام . ١٥ خرداد ١٣٤١ حيث سقط من جرائه عشرات الآلاف من القتلى ، والثاني في عام ١٣٥٦ حين استشهد نجل نائب الامام السيد مصطفى الخميني واستشهد الآلف ، والثالث حين انتقل نائب الامام من النجف الى باريس واضطر محمد رضا بهلوي الى تسليم الأمر اليه ثم يبقى هو على عرشه دون اية مسئولية ، ولكن الامام لم يقبل منه حتى ثار الثورة الثالثة حيث فر الشاه ومن ورائه رئيس وزرائه وأسست الجمهورية الاسلامية بقيادة نائب الإمام روح الله الخميني.

وملاحم غيبته ان شاء الله تعالى.

وقد يناسبها ما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يفسر آية الكرة بقيام القائم (عليه السلام) ، ويفسر «عبادا لنا» بسلمان الفارسي ومن كان مثله ممن يوالي القائم بحقيقة المعرفة ^(١) وعمل دمج المرتين ببعض هنا وهناك يشير الى قلة الفصل بينهما ، وان الأولى : إفسادا او إصلاحا ، لتعبيد الطريق إلى الثانية ، اللهم عجل لنا الثانية بما تعبده في الأولى.

﴿.. إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾ (٧).

في هذه الفترة من الكرة. ﴿إِنَّ أَحْسَنْتُمْ﴾ «دون إفساد وعلو» ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ حيث لا يقفى عليكم إن أحسنتم فأصبحتم عدولا مسلمين ، ام بقيتم هودا مستسلمين ، ﴿وإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ وأفسدتم في الأرض بعلو كبير «فلها» حيث «عبادا لنا» لكم بمرصا صارم ف ﴿لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ﴾.

إنه ليست الحسنى بالتي تحسن حالة طائفة فحسب دون أخرى ، او

(١) كما في تفسير البرهان ٢ : ٤٠٦ . ابو جعفر محمد بن جرير في مسند فاطمة باسناده الى محمد بن خلف الطاهري عن زاذان عن سلمان . في تعريفه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأئمة الاثني عشر ، ثم محمد بن الحسن الهادي المهدي الناطق القائم بحق الله ثم قال يا سلمان انك مدركه ومن كان مثلك ومن توالاه بحقيقة المعرفة قال سلمان فشكرت الله كثيرا ثم قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! واني مؤجل الى عهده ثم قال يا سلمان اقرء ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا .. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ..﴾ قال سلمان : فاشتد بكائي وشوقي ثم قلت يا رسول الله بعهد منك فقال : اي والله الذي أرسل محمدا بالحق مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة وكل من هو مني ومعنا وفينا اي والله يا سلمان وليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الايمان محضا ومحض الكفر محضا حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والاثوار ولا يظلم ربك أحدا وتحقق تأويل هذه الآية : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ..﴾.

السيئة تسيء جماعة دون آخرين ، فالضابطة العامة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة ، والتي تجعل عمل الإنسان كله له دون سواه ، بكل ثماره ومخلفاته ، وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل ، انما ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ دوغما استثناء.

﴿.. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٧).

وعد الآخرة ، وما يدريك ما وعد الآخرة؟ إنها ليست الآخرة في الاخرى. بل هي الآخرة من مرتي الإفساد في الدنيا : الأرض كلها ، حيث تجمع الصهيونية العالمية بين الإفساد والعلو الكبير العالمي بأذناهما الكفار امن ذا؟؟ من بني الإنسان المتخلفين عن شرعة الله ، إذ تتذرع بئالوثها لتجعل الأرض فاسدة كاسدة لا تصلح فيها حياة انسانية إلا على تخوف وحذر. ثم لا يطول فسادهم العالمي الا ردحا من الزمن حيث تتفجر الجماعات البشرية ب «عبادا لنا» في وجه الظلم والطغيان ، وليحققوا مثلثا من النكال والإصلاح : ليسوؤا وليدخلوا . وليتبروا!.

وهذه هي المرة الثانية والأخيرة من دولة الباطل حيث يقضى عليها بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه . وعلى طول الخط . كما قضى عليها بأضربهم ردحا من الزمن ، وعلى الدولتين متصلتان على فترة في ضعف بينهما للأولى وهنا أوامر ثلاث يحققها زعيم الدولة الإسلامية الأخيرة بأصحابه الأكارم «فبه يملأ الله الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا».

﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ : كما اسأتم وجوه الإنسانية وأفسدتم وجه الحياة ، ف «عبادا لنا» من تبقى من المرة الأولى ومن يستحصل حتى المرة الثانية من أضربهم وهم أقوى واهدى سبيلا ، هؤلاء الأكارم مبعوثون مرة

ثانية بأمر الله أن يواجهوهم في وجوههم كل الوجوه وبكل الوجوه ، استئصالا لنائرتهم ،
واسودادا لوجوههم وسيادة لوجوه المؤمنين واشراقة دائبة لا تنقضي .

﴿لَيْسُوا أَوْجُوهَكُمْ﴾ قتلا وتشريدا وتنكيلا وتذليلا ، وليس قتل الإبادة فقط . إذ
يتبقى منهم جماعة لا حيلة لهم ولا حول ولا قوة ، عائشين حياة الذل والعداء فيما بينهم :
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٥ : ٦٤) وهذه لليهود ، ولا يعني سعي الفساد
منهم إلا لحد المرة الثانية من إفسادهم العالمين ، وسائر إفسادهم لهذا الحد ، حيث هم
كإخوانهم النصاري لا قوة لهم في هذه الدولة : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٥ : ١٤) فالتائفتان باقيتان على قلة من عدة وعدة الى يوم القيامة ،
عائشتان العداوة والبغضاء فيما بينهم ، ولكنهم تساء وجوههم في افسادهم الثاني ، فلا تضر
عداءهم بينهم الدولة الإسلامية العالمية.

وبعد ما ساءت وجوههم وشاقت وانهارت شوكتهم وعلوهم الكبير : ٢ ﴿وَلْيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ : يدخل «عبادا لنا» المسجد الأقصى دخولا لا خروج عنه ،
حيث يصبح مقرا لزعيم الدولة الإسلامية القائم المهدي (عليه السلام) ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ
مَرَّةٍ﴾ حيث ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ ، واين مرة من مرة؟!

فأول مرة من مررتي الإفساد التي . علّنا . نعيشها الآن سوف ندخل المسجد الأقصى
ونبقى فيه مسيطرين ردحا من الزمن ، ثم نخرج فنرجع اليه زمن المهدي (عليه السلام) مرة
ثانية وعلى طول الخط اللهم عجل فرج صاحب الأمر .

٣. ﴿وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا﴾ والتبر هو الإهلاك الكبير حيث لا يبقى ولا يذر وترا من المفسدين وليس هو هلاك عمال الفساد فحسب ، فانه هلاك فسادهم أيضا : تبارهم بفسادهم ومن تبار العمال : ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتَّبِعُوا﴾ (١٧ : ٧) ومن الأعمال : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧ : ١٣٩) وهؤلاء هم العاكفون على أصنام لهم.

وتبار الصهيونية في هذه المرة بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه هو تبار استئصال لهم بفسادهم وعلوهم الكبير ، هلاك كبير لعالين وعلو كبير ، ف «ما علوا» كما يعني علوهم^(١) كذلك يعني أشخاصهم في علوهم استئصالا للشرور والشريرين.

فقد يستأصل الشر بآثاره والشرير باق يجدده ، وقد يستأصل الشرير والشر باق بمخلفاته ، ﴿وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا﴾ ليس تتبيرا لأحدهما والآخر باق وإنما «تتبيرا» مستأصلا للشر والشرير معا بحيث لا يجدد ابد الآبدين ودهر الداهرين ، وكذلك تكون ثورة المهدي (عليه السلام) ودولته.

ثم هؤلاء الصهاينة المجرمون بمن معهم من أوتارهم واذنابهم وأحزابهم ، انهم يقتسمون في تبارهم أقساما ، فمنهم من يقتل ومنهم من يتوب ، ومنهم عوان بين ذلك : لا يقتل ولا يتوب ، وانما يستأصل شره

(١) و «ما» هنا مصدرية تؤول مدخولها الى المصدر «علوهم» والنتيجة ليتبروا علوهم . وكذلك هي موصولة : ليتبروا الذين علوا في الدرجة التي علوا . تتبيرا وهما معا هنا معنيان : تتبيرا لهم على علوهم وفسادهم . وانما «ما» دون «من» وذووا العقول يتطلبون «من» ؟ لا مرين : ان المصدرية هنا معنية كما الموصولة فلتكن «ما» وانهم اراذل لحد البهائم بل هم اصل فلا يستحقون «من» الخاص بذوي العقول.

وإفساده ، فلا تبقى عدائهم إلا فيما بينهم كما مضت آية إلقاء العداوة بين اليهود وإغرائها بين النصارى الى يوم القيامة ، ثم لا يعودون ولن الى إفساد عالمي :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَدَنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (٨).

فالرحمة المرجوة لهم تشمل رحمة الغفران بالايمن ، ثم رحمة الإبقاء لهم بلا ايمن ولا إفساد ، فان عادوا في الإفساد عاد لهم التبار الهلاك هنا ثم في الآخرة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ : سجننا يحصرهم.

الفصل بين الافسادين:

وترى هل الفصل بين الافسادين بالدولة الإسلامية طائل ام ماذا؟
 عله طائل لمكان ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ..﴾ حيث توحى بالتراخي ثم لا تراخي للإفساد الثاني لمكان «ف» : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ..﴾ فبين الوعدين بون متراخ للدولة الإسلامية الاولى التي نعيشها ، والدولتان متصلتان على فترة قصيرة حيث الإفساد الثاني ، فيها فتور للدولة الأولى ، وقوة للإفساد الثاني أقوى من الأول ، وكما يستفاد من أحاديثنا حول الافسادين والدولتين.

وترى كيف تجتمع الدولة الإسلامية الأولى مع الإفساد العالمي الثاني في فترته القصيرة؟
 انها تبقى لحد الحفاظ على اصل كيانها ، ولكي تستحصل البقية الباقية من جنود المهدي (عليه السلام) وأصحاب الألوية.

وكما أن دولة المهدي (عليه السلام) أقوى وأسمى وأشمل دولة الهية طول تاريخ الرسالات كذلك أصحاب ألويته هم سلالات وحصالات

الرسالات ، من أنبياء وأولياء وأصحاب الرسل وأفضل من تربى في حجور الرسالات.

فمن الرسل داود وسليمان ودانيال ام من ذا؟

ومن اصحاب الرسل يوشع وصي موسى وشمعون وصي عيسى (عليه السلام) ومن أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سلمان الفارسي ومالك الأشتر النخعي وابو دجانة الانصاري ام من ذا؟

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وهم خمسة وعشرون رجلا.

ومن هم وكم هم من قوم عيسى؟ لا ندري ...

ثم ومن هم وكم هم من امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم أو انهم اكثر الأمم ، ويستحصلون طول الرسالة الإسلامية حتى قيام القائم (ع). وقد يكون قائد ثورتنا الإسلامية السامية في ايران منهم ومن أفاضلهم بعد أنبياءهم وأئمتهم.

وحيث اللواء لغويا هو قائد الجيش ومتصرف اللواء ، فهؤلاء الثلاثمائة والثلاثة عشر هم قواد الجيش ومتصرفوا ألوية الدولة الإسلامية ، «فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره»^(١).

(١). بحار الأنوار ٥٢ : ٢٨٣ ج ١٠ . ك : السناني عن الاسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسيني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى ...

وفي سفينة البحار ٢ : ٧٠٣ عن عبد العظيم الحسيني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى (عليه السلام) اني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد (ص) صلى الله عليه وآله وسلم الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فقال : يا .

واصول الجيش بداية هذه الدولة هم عشرة آلاف ، قلوبهم كزبر الحديد يعطى لكل واحد منهم قوة أربعين رجلا ، ثم اللاحق الملتصق بهم لا ندري عدتهم وعدتهم ، ولكنهم كمجموع . هم دون ريب . أقوى جيش في تاريخ الرسالات والإنسان عدة وعدة إيمانية وحربية عادلة ، اللهم اجعلنا منهم.

انباء الدولة الإلهية وانبائها في الكتاب.

عل الكتاب في ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني عامة التورات لا خاصتها ، فهي كعامة تشمل العهد العتيق كله ، بما فيه كتابات الوحي التوراتي بتوراتها كأصل وبسائر أسفارها كفروع لها ، ام وكتابات الوحي الانجيلي ايضا أصولا وفروعا ، حيث الشرعة التوراتية والانجيلية شرعة واحدة اللهم إلا شذرا مما في الإنجيل من تحليل للبعض مما حرم على إسرائيل من محرقات ابتلائية مؤقتة ، او يعني الكتاب مطلق كتابات الوحي قبل القرآن. ومما تبقي من هذه الأنباء هي التي تؤكد قيام صاحب الأمر استئصالا

. أبا القاسم ما منا إلا قائم بأمر الله عز وجل وهاد الى دينه ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من اهل الكفر والجحود ويملاها عدلا وقسطا هو الذي يخفي على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكنيه وهو الذي تطوى له الأرض ويذل له كل صعب يجتمع اليه أصحابه عدة اهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من اقاصي الأرض وذلك قول الله عز وجل : «أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل فلا يزال يقتل اعداء الله حتى يرضى الله عز وجل ...».

لجذور الظلم والطغيان ﴿وَلْيَتَذَكَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾^(١) ما جاء في زبور داود مرارا وتكرارا كما في
تصريحه قرآنية : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ
فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢١ : ١٠٦).

و ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هنا ، هم من «عبادا لنا» ها هنا حيث يرثون الأرض بعد
إفسادها الثاني ، والزبور هو زبور داود (عليه السلام) فانه بعد الذكر : «التوراة» حيث تذكر
نفس البشارة بشقى العبارات ، ولقد كتب الله تعالى هذه البشارة الاسرائيلية من عتيقها
وجديدها.

ففي الزبور ٣٧ : ١ - ٣٤ . تتكرر هذه البشارة كالتالي :

فان الأشرار يستأصلون وأما الذين يرجون الرب فيأثمهم يرثون الأرض (١٠) ... أما
الآثمة فيعاقبون وذرية المنافقين تستأصل (٢٩) . والصديقون يرثون الأرض ويسكنونها الى
الأبد (٤٣) انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض عند استئصال المنافقين تنظر
(٣٤).

والآية الاخيرة بشارة لداود أنه من ورثة الأرض في الدولة الحقبة الأخيرة وقد يكون من
الثلاثمائة والثلاثة عشر أصحاب الأولوية ويحق له!.

القائم في اشعياء تصطلح في ملكه السباع :

كما في (اشعياء ١١ : ١٠ - ١٠) : ويخرج قضيب من جذريسي

(١) راجع الى كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) من ٢٥ - ٢٧٠ . تجد فيه تفاصيل ما جاءت في
كتابات الوحي منذ خمسين قرنا.

وينمي فرع من أصوله (١) ويستقر عليه روح الرب روح الحكمة والفهم وروح المشورة والقوة وروح العلم وتقوى الرب (٢) ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سماع أذنيه (٣) بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الأرض بإنصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه ويهلك المنافق بنفس شفتيه (٤) ويكون العدل منطقة حقويه والحق حزام كشحيه (٥) فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معا والأسد يأكل التبن كالثور (٦) ويلعب الموضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم (٨) لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر (٩) وفي ذلك اليوم اصل يسيء القائم راية للشعوب إياه تترجى الأمم ويكون مثواه جيدا (١٠).

هذه الآيات تفسرها التي سلفت من الزبور ، دالة على أن القضيب من جذريسي أبي داود ليس هو داود ، فان داود من أصحاب ألوته في دولته ، ثم ولم يعهد اصطلاح البهائم وامتلاء الأرض من معرفة الرب واستئصال الشر في اي زمن رسالي على طول الخط ولا اي ملك الهى ، اللهم إلا ما وعدناه ونرجوه زمن «القائم» من جذريسي حيث ينتسب من ناحية الأم الى يسي أبي داود (عليه السلام) ويضرب الأرض بقضيب فيه حيث يقوم بالسيف في آخر الزمن!.

وفي اشعياء ٦٥ : ١١ - ٢٥ . تنديد شديد بني إسرائيل لإفسادهم ويهددهم بالتبار وانتقال دولتهم الى «عبيدي» وهم «عبادا لنا» في الاسراء :

وأنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسي الذين يهيئون المائدة لجد ويعدون المزوج لمناه (١١) فأعينكم للسيف وتحتون جميعكم

للذبح. لأني دعوت ولم تجيبوا. تكلمت ولم تسمعوا وصنعتم الشر في عيني وما لم أشأ إياه
 آثرتم (١٢) لذلك هكذا قال السيد الرب : ها إن عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون. عبيدي
 يشربون وأنتم تعطشون (١٣) عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون. عبيدي يرغمون من طيب القلب
 وأنتم تصرخون من كآبة القلب وتولون من انكسار الروح (١٤) وتخلفون اسمي لمختاري
 ويقتلك السيد الرب ويدعو عبيده باسم آخر (١٥) فالذي يتبارك بهذا الاسم على الأرض
 يتبارك بآله الحق والذي يقسم به على الأرض يقسم بآله الحق لان المضايق الاولى قد نسيت
 وسترت عن عيني (١٦) لأني ها أنا ذا أخلق سماوات جديدة وأرضا جديدة فلا تذكر
 السالفة ولا تخطر على البال (١٧) بل تهللوا وابتهجوا الى الأبد بما أخلق فلإني ها أنا ذا أخلق
 أورشليم ابتهاجا وشعبها سرورا (١٨) وابتهج باورشليم وابشر بشعبي ولا يسمع فيها من بعد
 صوت بكاء ولا صوت صراخ (١٩) لا يكون هناك طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه
 لأن الصبي يموت وهو ابن مائة سنة والخابئ يلعن وهو ابن مائة سنة وبينون ييوتا ويسكنون
 فيها ويغرسون كروما ويأكلون ثمرها (٢١) لا بينون ويسكن آخر ولا يغرسون ويأكل آخر
 لأن ايام شعبي كأيام الشجر ومختاري يتمتعون بأعمال أيديهم لا يتبعون باطلا ولا يلدون
 للرعب لأنهم ذرية مباركي الرب وأعقابهم معهم قبل أن يدعوا أجيب وفيما يكلمون أستجيب
 (٢٤) الذئب والحمل يرعيان معا والأسد كبقر يأكل التبن. أما الحية فالتراب يكون طعامها
 ، لا يضررون ولا يفسدون في جبل قدسي (٢٥).

هذه الانباءات هي آتية في أنباء الإسلام للدولة المهدوية حذو النعل

بالنعل والقذة بالقذة^(١) ، وكما أجمل عن نبأها في آيات الإسراء . تأمل .

وفي (دانيال ١٢ : ١ - ٣) : وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان . وفي ذلك الزمان ينجو شعبك كل من يوجد مكتوبا في الكتاب (١) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والردل الأبدي (٢) ويضيء العقلاء كضيء الجلد والذين جعلوا كثيرين أبرارا كالكوكب الى الدهر والأبد (٣) ..

وفيها تصريححة الرجعة العامة وكما في الصادقي (عليه السلام)^(٢) ثم في الآية (١٣) «وأنت اذهب الى الانقضاء وستستريح وتقوم في قرعتك الى انقضاء الأيام» وعلّها اشارة الى كونه كداود من أصحاب ألوية الإمام المهدي (عليه السلام) الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلا .

أنباء وملاحم غيبته في الروايات الإسلامية :

من خطبة قصيرة لعلي امير المؤمنين (عليه السلام) حول مستقبل الفتن :

-
- (١) في أحاديثنا : ينزل المهدي الى بيت المقدس . تخرج له الأرض أفاليد . أفلاذ كبدها . تصطليح في مكة السباع . اقل الاعمار مائة سنة حتى ان الرجل ليرى مائة نسمة من نسله . يستأصل الفساد عن الأرض . وهناك انتقالان من بني إسرائيل الى بني إسماعيل . انتقال الشريعة بمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وانتقال الملك بالمهدي من آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية» .
- (٢) عنه (عليه السلام) يرجع من الأموات من محض الايمان محض من محض الكفر محضا .

«فتن كقطع الليل المظلم ، لا تقوم لها قائمة ، ولا ترد لها راية ، تأتيكم مزمومة مرحولة ، ويحفزها قائدها ، ويجهدا راكبها ، أهلها قوم شديد كلبهم ، قليل سلبهم ، يجاهدكم في الله قوم أذلة عند المتكبرين ، في الأرض مجهولون ، وفي السماء معروفون ، فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نعم الله لا رهج له ولا حس ، وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر»^(١).

ويروى عن جعفر بن محمد (عليه السلام) «... وأهل مدينة تسمى الزوراء. تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ويتقربون بغيضنا يوالون في عداوتنا ويرون حربنا فرضا وقتالنا حتما»^(٢).

و «لما رجع امير المؤمنين (عليه السلام) من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال : إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الحسف أسرع إليها من الود في النخالة»^(٣).
ومن خطبة له (عليه السلام) «... لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان ، فإذا فغرت فاغرت واشتدت شكيمته ، وثقلت في الأرض وطأته ، عضت الفتنة أبنائها بأنياهما ، وماجت الحرب بأمواجها ، وبدا من الأيام كلوحها ، ومن الليالي كدوحها ، فإذا أينع زرعه وقام على ينعه ، وهدرت شقاشقه ، وبرقت بوارقه ، عقدت رايات الفتن المعضلة ، واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم ، هذا . وكم يخرق الكوفة من قاصف ، ويمر عليها من عاصف ، وعن قليل تلتف القرون

(١) الخطبة ١٠١ من نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي له عن علي (عليه السلام)

(٢ ، ٣). ج ٢ ص ٥٦٧ سفينة البحار للمحدث القمي نقلا عن بحار الأنوار للمجلسي. له والزوراء هي بغداد.

ويحصد القائم ويحطم المحصود»^(١).

وعلى القرون الثانية هي القرون الإسلامية في دولة المهدي (ع) وقيل لها ب «عبادا لنا» التي نعيشها ، فالقائم (عليه السلام) يحصد ما زرعه الصهيونية العالمية من إفساد المعمورة ، ويحطم ما حصده . اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.

وقد تروى عنه (عليه السلام) غرة قد تنطبق على ثورتنا الإسلامية المجيدة ضد فورة العمالة الصدامية الصهيونية. في حديث سلسلة الذهب^(٢) انه قال (عليه السلام): «أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني ، فإن بين جوانحي علما جما ، فسلوني قبل ان تشجر برجلها^(٣) فتنة شرقية تطأ في خطامها^(٤) ، ملعون ناعقها وموليها وقائدها وسائقها والمتحرز فيها ، فكم عندها من رافعة ذيلها يدعو بويلها دجلة أو حولها ، لا مأوى يكنها ولا أحد يرحمها ، فإذا استدار الفلك قلت مات أو هلك ، وبأي واد سلك^(٥) فعندها توقعوا الفرج وهو تأويل هذه الآية : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا

(١) من الخطبة ١٠٠ نهج البلاغة للسيد الرضي عن علي (عليه السلام)

(٢) تفسير نور الثقلين ٣ : ١٣٩ في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته : ...

(٣) شجر الكلب برجلها ليبول بال ام لم يبل ، وشجر الرجل رجله للنكاح . شجرت الأرض لم يبق بها احد يحميها ويضبطها فهي شاغرة ، والشجر الإخراج والبعد ، وشجر البلد بعد من الناصر ، وارض شاغرة ، لا تمنع من غارة أحد لخلوها والتفرقة فيها ، وشجرت الناس برجلي علوت الناس .

(٤) الخطام كخطاب موضع الزمام من أنف البعير ام ما ذا.

(٥) سفينة البحار ٢ : ٧٠٢ عن عبد العظيم الحسين عن أبي جعفر (عليه السلام) عن آبائه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولات النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فمن ثبت منهم .

لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ... والذي فلق الحبة وبرىء النسمة ليعيش إذ ذاك ملوك ناعمين ، ولا يخرج الرجل منهم في الدنيا حتى يولد لصلبه الف ذكر ، آمنين من كل بدعة وآفة والتنزيل ، عاملين بكتاب الله وسنة رسوله ، وقد اضمحلت عليهم الآفات والشبهات».

الفتنة الشرقية

: علها او انها الفتنة الصهيونية الشرق أوسطية البادئة من إسرائيل في احتلال فلسطين والقدس ، المتعلقة بحبل من الناس النسناس شرقيا وغربيا.
ومن أذناها العملاء الفتنة الصدامية العفלקية من بغداد وما حولها ، كما نعيشها الآن.
تشعر برجلها . تطأ في خطامها.

. على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة امامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ...». وفيه عن أبي خالد الكابلي قال قال لي علي بن الحسين (عليه السلام) يا أبا خالد! ليأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو الا من أخذ الله ميثاقه أولئك مصاييح الهدى وينابيع العلم ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وإسرافيل امامه معه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نشرها لا يهوي بها الى قوم الا اهلكهم الله عز وجل».

وفي نفس المصدر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي بعثني بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني حتى يقول أكثر الناس : ما لله في آل محمد من حاجة ويشك آخرون في ولادته ، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني فقد اخرج أبويكم من الجنة من قبل وان الله عز وجل جعل الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون».

فتنة شاغرة بأرض شاغرة من مفتتين شاغرين ، وكأن أصلها إنسانة مجنونة تتخبط في مشيتها ، حيث تمشي مكبة على وجهها ، إذ ترفع هذه الإنسانة الحيوانة برجلها ، وبدل أن تطأ في أرضها تطأ في عرضها . في خطامها : أنفها الذي هو موضع زمامها ، فلا تتمكن من غارة أحد لأرضها لخلوها ممن يحميها والتفرقة فيها.

ترفع برجلها لتحتل أرضا أو أراض أخرى ، فإذا هي بوطنها خطامها تثبت في موضعها وتحتل أرضها ويهتك عرضها ، ولأنها رفعت رجلها الى غير حقها ، متخبطة في وطئتها ، ماشية مكبة على وجهها ، فلا تطأ وتذل إلا أنفها ، فتبتلى بخماسية لعنتها : ملعون ناعقها وموليها وقائدها وسائقها والمتحرز فيها.

كأن «ناعقها» الذي ينطق ويعربد لهذه الفتنة هو صدامها الصهيوني البعثي حيث أخذ يعربد لحرب وحشية شعواء عشواء على الجمهورية الإسلامية لصالح الصهيونية العالمية ، كأنفس ذنب عميل من أذنانها ، يردد ويبرق ولا يحرق إلا نفسه ، و «موليها» الذي يوليها ويتولاها كأصل لها هي نفس الصهيونية في إسرائيل ثم سواها ، حيث تتولى هذه الحرب بأرذل وأطول أذنانها في البداية ، ثم إلى أذنانها الشرقية والغربية الأخرى.

وعلى «قائدها» هو الامبريالية الأمريكية حيث تقود هذه الفتنة لصالح الصهيونية ، وهي هي من عمالها الأقوياء ، ومن ثم الإمبريالية السوكيتية ام ماذا؟.

و «سائقها» الذي يسوقها هو العمالة البعثية العقلية بناعقها «صدام» حيث تسوق هذه الفتنة الشاغرة العارمة في جنة وتخبط

ثم «المتحرز فيها» تحرز الحفاظ على كيانه من بأس الثورة الإسلامية وتحرز الفرار عن بأس البعث الصدامي ، علّها عديد من دويلات الخليج وأضرابها التي هي ويلات على الإسلام ، والمتحرزين فيها من شيوخ الخليج وملوكها إلا شذرا حيث يقدمون بالعدّة والعدّة ، تقوية لمطلق الكفر أمام مطلق الإسلام.

«فكم عندها من رافعة ذيلها» فتن جزئية هامشية عند الفتنة الأم ، ترفع ذيلها فرارا دون قرار لتنجوا من بأسها وبؤسها ولات حين فرار إذ : «يدعو بويلها» : الفتنة الأم وذرياتها «دجلة أو حولها» فدجلة «بغداد» عاصمة الفتنة الزوراء «أو حولها» من بلاد عراقية ثم دويلات من الخليج «يدعو بويلها» إذ ينادي بكافة وسائل النداء الإعلام مستصرخة مستغيثة قوات الكفر اجمع ف «لا مأوى يكنها ولا أحد يرحمها» حتى لا يبقى كن ولا راحم من جنود الشيطان لهذه الفتنة الا مخذولة مرذولة ، حيث ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ فلا تبقى لهم باقية ، فهنا لك تتم الدولة الإسلامية مسيطرة على دويلات الكفر في ويلات لها وويلات.

ثم يستدير الفلك برد الكرة عليهم فاستضعاف هذه الدولة الكريمة ردحا من الزمن ، فيجيء وعد الآخرة ليسوءوا وجوههم :

«فإذا استدار الفلك» وأصبح الياس بالشدة جارفا لحد : «قلتم مات» صاحب الأمر «أو هلك باي واد سلك» وإذا هو موجود هنا وقريب منا فكيف لا ينصرنا «فعند ذلك توقعوا الفرج» : النهائي الدائب ، بعد الفرج البدائي الذاهب ... (١).

(١) أقول : قد رويت هذه الخطبة بصورة أخرى كما في البحار ٥٢ : ٢٧٢ ج ١٦٧ . وبإسناده عن إسحاق يرفعه الى الأصبغ بن نباتة قال سمعت امير المؤمنين (عليه السلام) يقول للناس : سلوني قبل ان تفقدوني لأني بطرق السماء اعلم من العلماء وبطرق .

ويروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) ما . عله . يشير الى هذه الفتنة «ولا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة وذلك بعد فقدان الشيعة الثالث من ولدي»^(١) والفتنة الصدامية . كذنب للفتنة الصهيونية . هي أصم فتنة طول تاريخ الفتن حيث لا اذن لها يسمع الحق او يستمع اليه ، صماء عن كل قائل إلا قوله الصهيونية عمالة مجنونة لصالحها ، والصيلم : المستأصل الشديد ، هي الفتنة التي تنحو منحى

. الأرض اعلم من العالم ، انا يعسوب الدين ، أنا يعسوب المؤمنين وامام المتقين ، وديان الناس يوم الدين . الى قوله . الا ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فان بين جوانحي علما جما فسلوني قبل ان تشغل برجلها فتنة شرقية وتطأ في ختامها بعد موتها وحياتها وتشب نار بالخطب الجزل من غربي الأرض . رافعة ذيلها تدعو يا ويلها لرحله ومثلها فإذا استدار الفلك قتلتم مات او هلك باي واد سلك فيومئذ تاويل هذه الآية ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ...﴾
هنا تضاف شب نار بالخطب الجزل من غربي الأرض ، مساعدات حربية غربية تؤجج نيران الحرب في هذه الفتنة الشرقية تجنيدا لمطلق الكفر من شرق الأرض وغربها ضد مطلق الإسلام.
والخطب الجزل هو الياوس الغليظ العظيم منه والكثير وكأنه الاسلحة الفتاكة التي يؤتى من الغرب تقوية لهذه الفتنة الشرقية.

و «رافعة ذيلها» عليها الطائرات الحربية ، وهي تدعو يا ويلها من مدفوعات جبارة من الجمهورية الاسلامية الايرانية . وفي سير الاعلام ٢ : ٢٩٧ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اما أول الشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ورواه مثله عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في مختصر التذكرة ١٣٢ ومستدرك الحاكم ٤ : ٤٥٨ وفي الأخير : تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض الى مغاربها» أقول : ونرى صدق هذه الإنبئات حيث ظهرت نار وفتنة شرقية صهيونية صدامية.

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٧٠٣ باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في ذلك يج . يج ٣٨ ك عن احمد بن زكريا قال قال لي الرضا (عليه السلام) اين منزلك ببغداد قلت : الكرخ . قال اما انه اسلم موضع ولا بد من فتنة

...

استئصال الحق عن بكرته. ورغم انها «صماء صيلم» يسقط فيها كلّ من لها من «وليجة» هو «المتحرز فيها» و «بطانة» هو «ناعقها وموليها وقائدها وسائقها» ثم لا تبقى الا «عبادا لنا» في دولتهم الإسلامية المباركة!

ويروى عنه (عليه السلام) ايضا في قائد الدولة المظفرة الإسلامية قبل المهدوية العالمية . نائب الإمام الخميني نصره الله : «رجل من اهل قم يدعو الناس الى الحق ، تجتمع معه قوم كزير الحديد ، لا تزلهم الرياح العواصف ولا يملون من الحرب ، ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين» ^(١).

«رجل» تبناه كافة البطولات والرجولات الإسلامية «من أهل قم» تبنته هذه الحوزة المباركة حيث الأهلية هنا هي اهلية تلکم الرجولة لا الولادة «يدعو الناس الى الحق» إذ خذله مخالفوه وحملته . لا فحسب لفظا باللسان ، وانما بالأنفس والنفائس وبسيول الدماء «تجتمع معه قوم كزير الحديد» وهم علّهم «عبادا لنا» المبعوثون لاستئصال الفساد العالمي الصهيوني الأول : «لهم مربع الطاقات الجبارة : ١ . «لا تزلهم الرياح العواصف» التي تعصف شرقا وغربا حيث هم مؤمنون حقا والمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ٢ . «ولا يملون من الحرب» حيثما بلغت بهم نائرتها ٣ . «ولا يجبنون» من استشهاد ام ماذا؟ ٤ . ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ دون سواعد شرقية او غربية او مساعدات من هنا وهناك :

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : الدولة العاقبة لدولتهم . الاخيرة في دول التاريخ

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤٦ .

. للمتقين ^(١) وهم أولاء بتأسيسهم دولة الحق بزعامة نائب المهدي (عليه السلام) الخميني يعبدون الطريق لدولته المباركة العالمية التي تبقى مع الزمن حتى القيامة الكبرى.

وقد تعنى معناه خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول فيها :

«لا بد من رحى تطحن فإذا قامت على قطبها ، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدا عسفا : (عنيفا) خاملا أصله ، يكون النصر معه ، أصحابه الطويلة شعورهم ، واصحاب السبال ، سود ثيابهم ، اصحاب رايات سود ، ويل لمن ناوهم يقتلونها هرجا ، والله لكأنى انظر إليهم وإلى أفعالهم ، وما يلقي من الفجار منهم والاعراب الجفأة ، يسلطهم الله عليهم بلا رحمة ، فيقتلونها هر جا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلام للعبيد» ^(٢).

والعبد العسف : العنيف ضد الظلم الخامل أصله علّه هو نائب الإمام الخميني حيث كان خاملا طول عمره ، وبدا اشتهاره وبدء منذ قيامه ، وأصحابه الطويلة شعورهم اصحاب السبال كما نرى الكثير من الانقلابيين معه كذلك ... ولعل الرايات السود هي التي ترتفع عند موته او استشهاده حيث يرفعها أصحابه وينتصرون في حربهم ضد الكفر حتى يحققوا امر الله ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾!

وقد يعنيه ما يروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون

(١) العاقبة في هذه الآية صفة لمحذوف هي الحياة او الدولة ، تعني الحياة او الدولة الاخيرة في عالم التكليف للمتقين ، وليست الحياة الآخرة فحسب وان كانت منها :

(٢) البحار ٥٢ : ٢٣٢.

الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج»^(١).

قيام البهلوي من قزوين من علائم ظهور المهدي (عليه السلام) :
من الملاحم المروية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفصيل علامات ظهور المهدي (عليه السلام) «... فعندها يتكلم الروبيضة . فقال سلمان : وما الروبيضة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فذاك أبي وامي؟ قال : (صلى الله عليه وآله وسلم) يتكلم في امر العامة من لم يكن يتكلم فلم يلبثوا الا قليلا حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم الا انها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ثم ينكتون في مكثهم فتلقى لهم الأرض أفلاذ كبدها ... فهذا معنى قوله : ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٢).

(١) سنن المصطفى ص ٥١٧ حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا اقبل فتية من بني هاشم فلما رأهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اغرورقت عيناه وتغير لونه قال : ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال ...

أقول : وهذا الحديث يواطي ما مر عن الامام الباقر (عليه السلام) في نقل غيبة النعماني ص ١٤٠ مع بعض الزوائد هناك ، ولعل الرايات السود هي رايات عزاء الحسين (عليه السلام) في ١٢ محرم ١٥ خرداد ٤١ حيث قاموا لاختد حق الإسلام من الشاه المعدوم واسترجاع المرجع الديني الأعلى من السجن فلم يكن الا قتلا ذريعا فيهم.

(٢) تفسير القمي باسناده عن عبد الله بن عباس ، قال حججنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم اقبل إلينا بوجهه فقال : الا أخبرك بأشراط الساعة وكان ادنى الناس منه يومئذ سلمان فقال : بلى يا رسول الله .

والروبيعة عليها لا معنى لها في لغة ولذلك لم يفسرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا الا بعنوان مشير : «يتكلم...» وهي هي «رضا بهلوي» باختلاف ترتيب حروفها ، ولا ينافيه ما فسرته هو (صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية اخرى ب «الرجل التافه» ^(١) فانه حقا تافه.

وعن محمد بن الحنفية قال قلت له : . الإمام علي (عليه السلام) . قد طال هذا الأمر حتى متى . الى ان قال . : اني يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهلك ستورها ، ويكفر صدورها ، ويغير سورها ، ويذهب بيهجتها من فر منه أدركه ومن حاربه قتله ، ومن اعتزله افتقر ، ومن تابعه كفر حتى يقوم باكيان : باك يكي على دينه وباك يكي على دنياه» ^(٢) والزنديق هو البهلوي ^(٣) وقد كان قيامه من قزوين وصدقت عليه الافتعالات.

. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم). من أشرط الساعة ... الى ان قال ...».

(١) كما في البحار ٥٢ : ٢٤٥ ح ١٢٤ في باسناده عن ابن نباته قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول : ان بين يدي القائم سنين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويقرب فيها الماحل (وفي حديث) وينطق فيها الروبيعة» قال الجزري في حدث أشرط الساعة «وان ينطق الروبيعة في امر العامة . قيل وما الروبيعة ما رسول الله؟ فقال : الرجل التافه ينطق في امر العامة.

أقول : فالروبيعة إذا تصغير الرابضة العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن لبها وزيادة التاء للمبالغة.

ثم أقول : ما أجمل الجمع بين المعنى من الروبيعة : التافه . ورضا بهلوي حسب تأليف حروفها!.

(٢) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ج ٥٢ ص ٣١٢ ح ٦١ غط الفضل عن ابن أبي نجران عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية.

(٣) في مجمع البحرين : الزنديق هو البهلوي :

وعن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): يُخْرِجُ بِقُزُوبَيْنِ رَجُلٌ اسْمُهُ اسْمُ بَنِي يَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى طَاعَتِهِ الْمُشْرِكِ وَالْمُؤْمِنِ يَمْلَأُ الْجِبَالَ خَوْفًا» ^(١) و «بَنِي» تَصْغِيرُ «ابْنٍ» هُوَ «رِضَا» بَنِي الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي اسْتِعْرَاضِ عَلَائِمِ الظُّهُورِ «وَشُمُولِ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَوْفٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ قَرَارٌ» ^(٢).

وَفِي كَلَامِ لِعَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَتَحَمَّلُ الْإِيْحَاءُ إِلَى الْحَالَةِ الْمَوْجُودَةِ بَيْنَنَا بَيْنَ الْبَعْثِيَّةِ الصَّدَامِيَّةِ الْكَافِرَةِ.

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَا يَقُومُ الْقَائِمُ حَتَّى تَفْقَأَ عَيْنُ الدُّنْيَا وَتُظْهَرَ الْحَمْرَةُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْكَ دُمُوعُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَتَّى يَظْهَرَ فِيهِمْ قَوْمٌ لَا خَلَقَ لَهُمْ يَدْعُونَ لَوْلَدِي وَهُمْ بَرَاءٌ مِنْ وَلَدِي ، تَلْكَ عَصَابَةٌ رَدِيئَةٌ لَا خَلَقَ لَهُمْ ، عَلَى الْأَشْرَارِ مَسْلُطَةٌ وَلِلْجَبَابِرَةِ مَفْتَنَةٌ ، وَلِلْمُلُوكِ مَبِيرَةٌ ، يَظْهَرُ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ ، يَقْدَمُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدَ اللَّوْنِ وَالْقَلْبِ ، رَثَ الدِّينِ ، لَا خَلَقَ لَهُ ، مَهْجَنُ زَنْيَمٍ عَتَلٌ ، تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الْعَوَاهِرِ مِنَ الْأَمْهَاتِ مِنْ شَرِّ نَسْلِ لَأَسْقَاهَا اللَّهُ الْمَطَرَ فِي سَنَةِ أَظْهَارِ الْمُتَغَيِّبِ مِنْ وَلَدِي

(١) بحار الأنوار ... ص ٢١٣ غط ردي عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال ...

(٢) البحار ٥٢ : ٢٢١ ج ٨٥ شا. الحسين بن زيد عن منذر الجوزي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول. يزجر الناس قبل قيام القائم ...

صاحب الراية الحمراء والعلم الأخضر ، اي يوم للمخبيين بين الأنبار وهيت .
 ذلك يوم صيلم الأكراد والشرارة ، وخراب دار الفراعنة ، ومسكن الجبابرة ، ومأوى
 الولاة الظلمة ، وام البلاء واخت العار ، تلك ورب علي يا عمر بن سعد بغداد ، الا لعنة
 الله على العصاة من بني امية وبني فلان الخونة الذين يقتلون الطيبين من ولدي ولا يراقبون
 فيهم ذمتي ، ولا يخافون الله فيما يفعلونه بحرمتي ...»^(١).

(١) عن أبي عبد الله (عليه السلام) ٢٢٦ ج ٩٠ في باسناده عن عمر بن سعد عنه (عليه السلام) ...
 ومن الطرايف جدا خطاب الامام (عليه السلام) أخيرا لعمر بن سعد جد صدام عامل هذه الفتنة
 وعميلها ، بعد ما يصف عصابة البعث العفلق التي يقودها صدامها ، ثم يصفه لعنة الله عليه بسواد اللون والقلب
 . وقد جمعهما . وانه رث الدين مهجن زعيم عتل تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل ، ثم وعدا بيوم
 صيلم الأكراد والشرارة وخراب دار الفراعنة مسكن الجبابرة ومأوى الولاة الظلمة وام البلاء واخت العار تلك ورب
 علي يا عمر بن سعد! بغداد! :

وفي ج ١٣ ص ٣١٤ ملحقات احقاق الحق عن العلامة المولى على المتقي الهندي في كنز العمال ج ٧
 ص ٢٦١ طا حيدرآباد الدكن روى عن علي (عليه السلام) في خطبة له «وليكونن من يخلفني في اهل بيتي رجل
 يأمر بأمر الله قوي يحكم بحكم الله وذلك بعد زمان مكلف مفصح يشتد فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه
 الرشا فعند ذلك يبعث الله رجلا من شاطئ دجلة لأمر حزيه . يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر
 وغطاء فيقتل قوما وهو عليهم غضبان شديد الحقد حران في سنته يختنصر يسومهم خسفا ويسقيهم سوط عذاب
 وسيف دمار ثم يكون من بعده هنات وامور مشتبهات الا من شط الفرات الى النجفات بابا القطقطانيات في
 آيات وآفات متواليات يחדش شكها بعد يقين يقوم بعد حين بيني المدائن ويفتح الخزائن ويجمع الأمم ينفدها
 شخص البصر وطمح النظر وعنت الوجوه وكشف البال حتى يرى مقبلا مدبرا فيا لهفى على ما اعلم .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ

. رجب شهر ذكر رمضان تمام السنين شوال يشال فيه امر القوم ذو القعدة يعتقدون فيه ذو الحجة الفتح من أول العشر الا ان العجب كل العجب بعد جمادي ورجب جمع الشتات وبعث أموات وحديثات هونات هونات بينهن موتات رافعة ذيلها داعية عولها معلنة قولها بدجلة او حولها .

ألا إن منا قائما عفيفة احسابه سادة أصحابه ينادى عند اصطلام اعداء الله باسمه واسم أبيه في شهر رمضان ثلاثا بعد هرج وقتال وضنك وخيال وقيام من البلاء على ساق واني لأعلم الى من تخرج الأرض ودائعها وتسلم اليه خزائنها ولو شئت ان اضرب برجلي فأقول : اخرجني من هاهنا بيضا ودروعا كيف أنتم يا ابن هنات إذا كانت سيوفكم بأيمانكم مصلتات ثم رملتم رملات ليلة البيات ليستخلفن الله خليفة يثبت على الهدى ولا يأخذ على حكمه الرشا إذا دعا دعوات بعيدات المدى دامغات للمنافقين فارجات عن المؤمنين ألا إن ذلك كائن على رغم الراغمين والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين بن المنادي:

وأخرجه مثله في كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٦ ص ٣٥ ط الميمنية بمصر.

اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

للقرآن زهاء أربعون اسماً ^(١) هذا أكثرها ذكراً ^(٢) واشتهاراً ، وأغزرها معنى وازدهاراً إذ يعني جملة ما تعنيه هي تفصيلاً ، وهو يعني في مختلف معانيه : الجمع . الطهارة . التطهير . القراءة . الإبلاغ . الرؤية . اقتراب المغيب : معان سبعة كالسماوات السبع والأرضين السبع وايام الأسبوع السبعة ، حيث يشمل بمعانيه جملة وتفصيلاً الأزمنة والامكنة ومن فيهما . فانه طهارة . فتطهير . وقراءة وإبلاغ . ورؤية لما يمكن ان يرى بصراً وبصيرة ، وجمع لما لم يجمعه غيره من كتابات واقتراب لاغتراب غيره من

(١) وهي : القرآن . الفرقان . الكتاب . الذكر . الحديث . التنزيل . الموعظة . الشفاء . الهدى . الحبل . الرحمة . الصراط المستقيم . الحكم . الحكمة . الحكيم . المحكم . الروح . البيان . التبيين . المبين . الفصل . النجوم . القصص . البصائر . المثاني . النعمة . البرهان . البشير . النذير . القيم . المهيمن . الهادي . النور . الحق . العزيز . الكريم . العظيم . المبارك . بلاغ . سبيل . حياة

(٢) نجاه (٧٠) مرة اثنتان منهما قرآن الفجر : صلاة الفجر . واثنان : قرآنه : قراءته . والباقي هذا القرآن .

كتابات كما انه من آيات اقتراب الساعة ونبيه نبي الساعة.

وترى لماذا هنا وفي عديد غيرها ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ حيث توحى بان هناك قرآنا أو قرائين

أخرى ، وفي عديد اخرى «القرآن» والقرآن هو القرآن؟

لأن «قرآن» من الله هو جنس المقرو بالوحي كتابا على المكلفين ، شاملا كتابات الوحي كلها ، وأفضلها هذا القرآن ، فقد يعرف ب «هذا» ليدل على حاضره دون غايه ، و «هذا» في موارده كلها يتضمن ميزة او ميزات له عن سائر القرآن ^(١) وقد تدل على عمومته لسائر الوحي :

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ...﴾ (١٥ : ١٠) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣٤ : ٣١).

إذا فلا بد من تعريف به ليميزه عن غيره ب «هذا» او «العظيم» ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (١٥ : ٨٧) او تعريف اللام عهدا الى حاضره حيث يخاطبهم به : ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ...﴾ (٥ : ١٠١) او بضمير يعرفه : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ...﴾ (١٠ : ٦١) او وصف : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ

(١) ك «أَوْجِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» ١١٩.٦ «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ» ١٠ : ٣٧ «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ» ١٢ : ٣ «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا» ١٧ : ٤١ «قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ :» ١٧ : ٨٨ «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» ٢٥ : ٣٠ «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...» ٢٧ : ٧٦ «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» ٣٤ : ٣١ ...

مُبِينٌ ﴿١٥ : ١﴾ ام ماذا من إشارة تميزه عن سواه ويختص **﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾** هنا بما يعرفه أنه **﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾** من قوامات الوحي وقيامات صاحب الوحي والمكلفين به.

و «قرآن» مع كل ذلك علم لهذا القرآن ، لم يسم به غيره من قرآن وان كان يشمل له جنسه ، وهو أفضل وأكثر أسماء القرآن.

ثم هنا هاد ومهدي ومهدي له وبشارة لمن يهتدي وإنذار على من لا يهتدي ، فالهادي هو القرآن حيث الهدى طبيعته وحالته وصياغته لأعلى قمم الهدى ، دون إبقاء على هدى ممكنة إلا وهو يهدي لها غير قاصر ولا ضنين.

والمهدي هو على الإطلاق كل مكلف بحاجة الى هدى ، وبإمكانه أن يهتدي بلا حدود من زمان أو مكان أو أقوام وأجيال فانه هدى الله والهدى الإلهية في القرآن كاملة شامة.

والمهدي له ، وترى لماذا «له» دون «إليه» ام دون جار ك **﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** ؟ ... ثم «التي» بحذف الموصوف المتردد بين عديد ك : الطريقة . الشريعة . الملة . الرسالة . الولاية ام ماذا؟ ولا يحذف الموصوف الا المعلوم لحد لا يحسن ذكره بل ويحسن حذفه؟.

نجد الهداية في القرآن في هذا المثلث ، وليس «يهدي له» إلا هنا لكتاب الله ، وفي أخرى لله : **﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** ^(١) (١٠ : ٣٥) ثم لا ثالث لهما ، فإنما

(١) ومن الطريف ان «يَهْدِي لِلْحَقِّ» الخاصة بالله تتوسط «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» لغير الله أولاها «شركائكم» سؤال تعنت ، وأخراها لكافة الهداة الى الحق حيث تجمعهم «يَهْدِي

الله وكتاب الله يهدي له لا سواه ، فلتكن «الهداية له» خاصة بالله بقرآنه المبين.

ثم الله وإن كان يهدي بالقرآن من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم الى صراط مستقيم : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥ : ١١٦) هداية إياه وهداية اليه ، إلا ان أيا منهما لا يشمل مطلق الهدى ، والهداية له تشمله كله ، فالهداية «الى» دلالة الى الهدى الآفاقية البعيدة عن المهدي إذ هي خارج ذاته ، او الانفسية البعيدة عنها كالآفاقية لمن احتجب عن نفسه بعيدا ^(١) ، والهداية إياه إيصال الى المقصود آفاقية وانفسية او يقارب الإيصال لمكان القرب بين المهدي والمهدي له لحد الاتصال ^(٢). والهداية له تشمل الإيصال والدلالة الى الانفسية والآفاقية قريبة وبعيدة ، دلالة الى ما في النفس من هدى العقل والفطرة ام ماذا؟ وإيصالا الى حقها وواقعها ، ودلالة إلى ما في الآفاق تكوينا وتشريعا وإيصالا إليها فالهداية له . إذا . أتم وأطم من الهداية إليه وإياه ^(٣) فما الطفة التعبير عن الهداية المطلقة ب «يهدي إياه» وعن الدلالة المؤثرة وسواها

. إلى الحَقِّ» فليس تغيير صيغة الهداية مجرد تَفَنُّنِ التعبير وانما لخصوص المعنى من «له» و «إليه».

- (١) لان «الى» توحى لفصل بين المهدي والمهدي اليه ، والهدى الانفسية ليست بعيدة عن المهدي :
- (٢) حيث الهداية إياه توحى الى وحدة عريقة بين المهدي والمهدي له دون فصل بينهما ، اما حقيقيا ما الإيصال ويشارفه كالقريب القريب.
- (٣) حيث الهداية له ، واللام للاختصاص أعم من الدلالة الخاصة والإيصال الخاص الى مادة الهدى آفاقية وأنفسية ، فالهداية إياه هي «له» والهداية اليه كذلك «له» كما الهداية الآفاقية والأنفسية كلاهما «له» وان كانت «له» مراتب عدة.

ب «يهدي اليه» وعن مجموع الهدايا ب «يهدي له» الشاملة لكافة مراحل الهداية مستغرقة لها كلها!

ولأن هذه الآية هي الفريدة في نوعها للهداية الشاملة فلتشمل الهدى كلها ، دلالة وإيصالا للهدى أنفسي في هداية العقل والفطرة ، وآفاقية في هداية التكوين والتشريع ، فالقرآن نسخة كاملة للهدى كلها حيث يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام.

إنه هدى للكافرين كما للمؤمنين دلالة ، وهدى للمتقين في مزيد الدلالة ثم الإيصال الى حق الهدى ، ثم وهو هدى للإنسان وأضرابه آفاقيا وأنفسيا.

واما «التي» بحذف الموصوف فللايحاء بإطلاق المهدي له ، دون خصوص الملة او الطريقة او الرسالة او النبوة او الولاية اماهيه؟^(١).

فانه هدى بكل بنودها ومتطلباتها للإنسان وأضرابه كأفضل ما يمكن وأكمله في عالم الفطرة والعقل ، وفي التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه وبينه وبين ربه في علاقة المعرفة والعبودية . وبينه وبين الناس في علاقة العشرة ، وفي كافة زوايا الهدى ومتطلباتها وتنسيقاتها ومخلفاتها الحاضرة والمستقبلية.

﴿لَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فكتابات الله كلها قويمه قيمة لا عوج فيها ولا قصور ، ولكنها مؤقتة زمنيا ، محدودة بالمتطلبات المرسومة لزمانها ، والاستعدادات لطالبيها فيها ، وأما القرآن فهو يهدي للتي هي أقوم : قيمة

(١) كالسبل والآيات الآفاقية والانفسية (٣) والأخلاق (٤) والحياة (٥) واحكام الفطرة والعقل (٦) والايمن (٧) والإسلام (٨) والتقوى (٩) والزهادة (١٠) والمعرفة والمعجزة (١١) مواد الهداية التي تدعو إليها كتابات الوحي ، فكل هذه الموصوفات تصلح ان تكون للتي هي أقوم دون إبقاء على مادة من الهدى إلا وهي تشملها.

وقوامه واستقامته وقيامه^(١) منذ بزوغه ما طلعت الشمس وغربت ، فشمسه لا تغرب وما يحتاجه المهتدون به لا يعزب ، فلا يقعد عن هدايته ، ولا يفشل عن استقامته ولا ينقص عن قيمته وقوامته لأنه كتاب الزمن كله.

ف «هي أقوم» من غيرها على الإطلاق قواما وقياما : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا...﴾ (٦ : ١٦١) فيه كافة القوامات والقيامات لحد القيامة الكبرى ، لا أفول لشمسه ولا انقطاع لشرعته ، لا كتاب بعد كتابه ولا رسالة بعد رسالته ، حيث الأقوم يتطلب ختام الوحي بوحيه.

فهذه الآية إجمال عن مثلث الخاتمية : شريعة ورسالة وكتابا ، نجد تفاصيلها في آيات أخرى ، والتي هي أقوم يشمل هذا المثلث وما معها من ملة وطريقة وولاية ، والولاية المطلقة للقرآن ونبيه وأهل بيته هي أقوم الولايات طول الرسالات الالهية ، وهي كلها على هامش الولاية الالهية^(٢).

(١) فالأقوم تتحمل كونها من القوام والقيامة والقيمة ، والقرآن يهدي للتي هي أقوم في مثله دون اختصاص بأحدها.

(٢) في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير الآية قال : يهدي الى الولاية» أقول : وهي تشمل الولايات كلها ومنها ولاية الائمة التي هي ثالث مراتبها بعد ولاية الله والرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقد يفسر بولاية الامام بيانا لثالث مصاديقها لأنه مختلف فيها حتى يلحق بولاية الرسول ، ومن ذلك ما في حديث سلسلة الذهب ، يرويه ابن بابويه باسناده عن عياش بن يزيد مولى زيد بن علي ، قال حدثني أبي قال حدثني موسى بن جعفر ... وعن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : الامام منا لا يكون الا معصوما وليست العصمة في ظاهر الحلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوبا فليل له يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)! فما معنى المعصوم؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة فالإمام يهدي الى القرآن والقرآن يهدي الامام وذلك قول الله عز .

ثم القرآن ليس ليهدي للتي هي أقوم هداية المعرفة والإيصال الى الحق إلا لمن اتخذه دليلاً بحق وكما عن الإمام علي (عليه السلام): «أيها الناس انه من استنصح الله وفق ، ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم» : دليل المعرفة والعمل الصالح ثم يبشره : ومراتب الهدى القرآنية آخذة من العلمية الى العقيدية الى العملية التطبيقية. والاخيرة هي المبشر لها ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. ومراحل العلم القرآني «على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»^(١). ومراتب العقيدة اليقين ثلاث : علم اليقين . عين اليقين . حق اليقين. ومراتب العمل تنحو مراتب العلم واليقين. كلما ازداد ازداد وكلما نقص نقص. والدلالة القرآنية ثلاث : دلالة التعبير في مراتبها ، ثم دلالة الاهتداء ، ثم الإيصال الى المطلوب : الصراط المستقيم ... ومما توحى آية الأقوم أن هذا القرآن هو المتن الأعلى للإسلام وما سواه من أحاديث ليست الا

. وجل : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وروي تفسيره بالإمام باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) ايضاً.

(١) سفينة البحار يرويه الامام الحسين عن أبيه علي امير المؤمنين (عليه السلام).

على هامشه ان وافقه فليكن متنا متينا مكينا في الحوزات العلمية الإسلامية وفي كافة الحقول.
ومن التي هي أقوم في هدي القرآن إعجازها ، حيث الآية الرسالية فيه أقوم الآيات إذ
تعيش الزمن ويعيشها الزمن دون حاجة إلى آية أخرى.

ومنها السياسة القرآنية التي تقود دولة عالمية على طول الزمن كما يقودها القائم
المهدي (عليه السلام) في آخر الزمن.

ومنها الحقوق القرآنية التي تحلق على كافة الحقوق طول التاريخ ، وتكفي معونة الحياة
المتوسعة المتداخلة المتشابكة المتشاكسة.

ومنها الملاحم الغيبية والإنباءات المستقبلية التي توقظ التّوم وتنبيه الناهجين كي يكونوا
على أهبة وحذر لبناء المستقبل المجيد للدولة الإسلامية.

ومنها الإقتصاد القرآني وقد تكفي حلا لمشكلة الإقتصاد العضال آية وحيدة منه
﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

ومنها ومنها وقد تحدى القرآن فيما تحدى الانس والجن ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ : طول الزمان وعرض المكان.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩).

ييشر من آمن بالله واليوم الآخر وما بينهما على ضوء القرآن ، ويعملون الصالحات
التي تصلح نتيجة للإيمان وتصلح الحياة كل الحياة على ضوء القرآن ، ييشرهم قدر ما اهتموا
به وآمنوا وعملوا الصالحات ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ : لا ناقصا عما قدموا فانه عجز وبخل ،
ولا مساويا موآتيا له فانه مثل بمثل ، وليس الله مثالا لنا حتى يؤاتينا في ثواب اعمالنا ، وانما
فضلا

وإحسانا : ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أكبر مما قدموا وإن كان تسمية الثواب أجرا فضلا عن «كبيراً» هو أيضا اجر كبير ولطف غزير ، حيث العبد لا يستحق بإيمانه وعمله الصالح اجرا من ربه ، إذ لا يعود نفعه الا اليه لا الى ربه ، إذا فاصل الثواب فضل وتسميته اجرا فضل وصفته كبيرا ، فضل ، مثلث الفضل في قول فصل.

ثم القرآن لمن لم يتخذه دليلا لا يزيده إلا خسارا ، ولا سيما الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإن كانوا مؤمنين بالله ، حيث الايمان بالله دون الآخرة لا يلزم المؤمن به بما يلتزم به المؤمن بآخرته من عمل الصالحات ، ومجرد الأيمان بالله دون عمل لا ينفع حتى إذا كان إيمانا بالآخرة أيضا :

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٠).

لا يؤمنون بالحياة الآخرة ودلائلها في القرآن واضحة وفي الآفاق والأنفس لائحة! والإعتاد هو التهيئة ، والعذاب الأليم يشمل ذوقه يوم الدنيا في المعيشة الضنك وفي البرزخ بوجه أكد ، ثم في القيامة واقع لأليم العذاب : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...﴾ (٢٠ : ١٢٤) : عذابات معتدة في مثلث الحياة بما قدمته أنفسهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١).

تأنيب بهوى الإنسان العجول الجهول التارك لهدي القرآن حيث يدعو بالشر دعاءه بالخير فشتان شتان بين هدي القرآن وهدي الإنسان ، حيث

يهوى بعجلته فيهوي في هواة الضلال جهلا له او جهالة بمصادر الأمور ومصائرهما ، فاستعجالا بالشر فيما يأتي خيره باستمهال!.

والدعاء هي الطلب في مقال او حال او فعال ، فقد يدعو ربه الشر ^(١) دعاءه بالخير : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨ : ٣٢) كنضر بن حرث وقد أجيبت دعاءه فضرب عنقه ، ولو كانت هذه سنة دائبة لقضي عليهم باستعجالهم : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (١٠ : ١١).

او يدعو رسولا . يكذبه . بالشر لو انه صادق : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (٢٣ : ٤٧) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (١٣ : ٦) ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (٢٧ : ٤٦).

ف «لا تدعو على أنفسكم لا تدعو على أولادكم لا تدعو على أموالكم لا توافقوا الله ساعة فيها اجابة فيستجيب لكم» ^(٢) . و «اعرف طريق نجاتك وهالكك كي لا تدعوا الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن ان فيه نجاتك» ^(٣) .

وعلى الإنسان الذي يريد خيره أن يتطرق إليه بما يقدمه من خير على إمهال دون استعجال ، حيث الخير يخلف الخير كما الشر يأتي بالشر ، ولكنما

(١) الباء في هذا الاحتمال للتعدية حيث المفعول به فيه الله او الرسول ام غيرهما. ودعائه مفعول مطلق نوعي اي يدعو ... دعاءه بالخير بالشر. مدعوه الذي يحصل بسبب الخير يدعوه بالشر».

(٢) الدر المنثور ١٦٦ . اخرج ابو داود البزار عن جابر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣) نور الثقلين ٣ : ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : ...

الإنسان العجول الجهول قد يطلب خيره بالشر طلبه بالخير فيما هو حقا خير ، او يطلب ما يظنه خيرا وهو شر بالشر : شرا على شر او يطلب ما يراه شرا بالشر فهو في مثلث الشر^(١). فالمستعجل برزقه الذي لا محالة آتية بعمله قد يطلبه بالشر : سرقة او احتكارا او بخسا في المكيال ام ماذا؟ رغم أنه لا يصله إلا ما قدر له بعمله ، وإذا نا له زائد عليه بشره فلا يناله في فائدة له إلا فاسدة كاسدة.

ولكنما الإنسان المهدي بهدي القرآن كل دعاءه خير ويدعوه بخير ، وفيما يجهل خيره يحتاط مترويا مستشيرا عقله وعقلاء غيره ، متكلا الى ربه على كل حال ، في كل حل وتر حال ، وإذا يدعو ربه فيما يظنه أو يراه خيرا فانما يطلبه بتأديب دون إصرار وتأكيد.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ فعجلة الإنسان بطبعه وخلقه ، دون ان يعد لها فيعد لها إلى الأصلح متأنيا ، هو الباعث الأهم لدعائه بالشر دعائه بالخير لحد كأن البواعث الأخرى لا موقع لها مع ما لها من مواقعها ، وما هي الصلة بين عجلة الإنسان ودعائه بالشر دعائه بالخير؟ إنها تسرع الشر وسهولة الدعاء به ، وتأتي الخير وصعوبة الدعاء به فبدل ان يطلب مطلوبه الخير بالخير يطلبه بالشر استعجالا.

وفي مربع الطلب : شرا بشر - خيرا بخير - خيرا بشر - شرا بخير نرى العجلة لائحة في مقدمات الشر إلى خير أم إلى شر^(٢) وأما الخير الى الخير فلا

(١) الباء هنا للسببية اي يدعو بسبب الشر وواسطته دعاءه بسبب الخير او بدل دعاءه بالخير ، او كدعائه بالخير ف «دعائه» هنا منصوب بنزع الخافض وفي الاحتمال الاول مفعول مطلق نوعي.

(٢) فالأول على كون دعائه بالخير مفعولا مطلقا نوعيا والثاني منصوبا بنزع الخافض كدعائه . اي يطلب الشر بالشر كأنه يدعو بالخير.

تأنيب فيه ، والخير الى شر كتظاهر المنافق بالزهادة حتى يكيد كيده ، ففيه أشد تأنيب ولكنه لا تشمله الآية حيث تعاكسها ولا استعجال فيه.

و «الإنسان» هنا هو نوعه : من آدم وذريته ^(١) «وكان» حالة هذا النوع في كينونته العجل : فقد ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٢١ : ٣٧) وعجل العجل هنا لآدم «لما خلقه الله نفخ فيه من روحه وثب ليقوم قبل ان يتم خلقه فسقط فقال الله عز وجل : ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾» ^(٢) ثم ولذريته منيهم الذي يعجل حيث يدفع بعجل لحد سمي عجلا ، وهذه العجلة التي تتبى خلق الإنسان ليست الا لحكمة عجلة سيره في مسيرة كماله ، ولكنه يعكسها في دعاء شره او دعاءه بالشر دعاءه بالخير.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (١٢).

الليل والنهار آيتان من آيات الله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...﴾ (٤١ : ٣٧) حيث يدلان بتخالفهما واختلافهما تلو بعض دأبا دون تخلف ، يدلان على أن خلقهما مدبر باختيار وحكمة قاصدة ، كما وأن الليل في تحوله

(١) فلو كان المقصود هنا آدم لقال آدم فانه علم له ، ولو كان ذريته لقال بنو آدم ، وأما الإنسان او البشر فهو يشمل هذا الجنس من آدم أبي البشر ومن سائر البشر.

(٢) نور الثقلين ٢ : ١٤٢ عن تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) ... وفي الدر المنثور : ١٦٦ . اخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عساكر عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال : أول ما خلق الله من آدم (عليه السلام) رأسه فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال : يا رب! اعجل قبل الليل فذلك قوله «وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» وأخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد مثله.

الى نهار آية للحياة بعد الموت : ﴿وَأَيَّةٌ هُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٦ : ٣٧) فان سلخ النهار من الليل يواطى سلخ الروح من البدن ، ثم رجع النهار خلفه كرجع الروح الى البدن حذوا النعل بالنعل ، إذا فالليل والنهار آيتان تدلان على المبدئ والمعاد ، وفي كل حكمة تقتضيه الحياة سكنا وابتغاء من فضل الله فالليل للراحة والسكون الجمام ، والنهار للسعي والكسب والقيام^(١).

وترى ان آية الليل المحوطة وآية النهار المبصرة هما الشمس والقمر ، فإنهما آيتان في هاتين الآيتين : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ (٤١ : ٣٧) كما وأن اضافة الآية إليهما تقتضي اختلافها عنهما وأنهما آيتان فيهما؟ فالمذكور هنا كالمذكور هناك آيات أربع!

ام ترى انهما الليل والنهار أنفسهما ، فان آية الليل القمر ليست محوطة دائبا ، وانما عند الخسوف المطلق وآخر الشهر ، وآية النهار الشمس هي مبصرة يجعلها شمسا لا أن الشمس جعلت مبصرة : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...﴾ (١٠ : ٥) على أن الشمس ايضا تكسف كما القمر يخسف ، فلا يختصه المحو ويختصها الأبصار ، وان المذكور في الآية : ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ آيَتَيْنِ﴾ آية الليل هي الليل وآية النهار النهار!

او يقال إن آية الليل كلا القمر والليل ، وآية النهار كلا الشمس والنهار^(٢) فالليل محو مظلم ، وقمره لا يكفي نورا وان كان نورا ، على أن

(١) راجع ج ٣٠ : ١٨ من الفرقان تفسير الآية ٩ - ١١ من سورة النبأ.

(٢) فالمراد . إذا . من الآية جنسها ليلا ونهارا حتى تشمل الآيتين في كل منهما ، او ان آية الليل تعني كلا على حدة واستعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد سائع في القرآن حيث المشكلة الفعلية فيه ليس لله الذي له مقام جمع الجمع في العلم والقدرة.

نوره ليس نورا إلا زهاء ثلث الشهر مع ما يحويه خسفا مطلقا.

ولكن آية النهار بشمسها ونفس النهار مبصرة وإن أظلمت السحاب فأنمحي قرصها ،
فالنهار لا ينمحي ، إلا إذا كسفت وما أقله كما الخسف للقمر فليعن . إذا . من كل آية
مجموع الآيتين : الليل والقمر . الشمس والنهار .

او يقال : لأن الآية هي العلامة فالمراد بمحو آية الليل جعل ظلمتها مشكلة لا يفهم
معناها ولا يعلم فحوها لما استأثر الله تعالى بعلمه عن المصلحة المستسرة في ذلك ، وحقيقة
المحو طمس اثر الشيء من قولهم : محوت الكتاب إذا طمست سطوره حتى يشكل على
القارئ ويخفى على الرائي .

ثم وإبصار آية النهار أن جعلها مكشوفة القناع مبينة الأبصار على خلاف آية الليل
إذ جعلها مشرحة الغلاف بحيمة الأطراف .

وقد يعنى الجميع بتأويل ان القمر جعل ممحوا بالنسبة للشمس لا مطلقا ، فالشمس
تبصر وهي ايضا تبصر بضوئها ، والقمر يبصر ولا يبصر فانه نور وليس ضوء وقد يعنيه ما
تظافر في الاخبار ^(١) ثم الليل ممحو بظلامه

(١) تفسير البرهان ٣ : ٤١٠ . العلل ابن بابويه بإسناد متصل الى يزيد بن سلام انه سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال : لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئا فامر الله عز وجل جبرئيل ان يححو القمر فمحاه فأثر المحو في القمر خطوطا سوداء ولو ان القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح وما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا علم الصائم كم يصوم ولا عرف الناس عدد السنين والحساب وذلك قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ...﴾ .

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) فمحونا آية الليل قال .

وعدم ضوء الشمس ، والنهار مبصر بضوئها : «وجعل شمسها آية مبصرة

. هو السواد الذي في جوف القمر ورواه مثله عن أبي الطفيل عن الامام علي (عليه السلام) فقال له ابن الكوا فما هذا السواد في القمر؟ قال : أعمى سأل عن عمياء أما سمعت الله يقول ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فذلك محوها.

وفي الاحتجاج للطبرسي رواه مثل الأخير عن الأصبع بن نباتة قال قال ابن الكوا لأمر المؤمنين :
وفي الدر المنثور ٣ : ١٦٦ . اخرج ابن حاتم وابن مردويه بسند واه عن ابن عباس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث فأرسل جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ أقول : نتفهم هذا الحديث الا . وهو يومئذ شمس ثلاث مرات . وفيه اخرج البيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر عن سعيد المقبري ان عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن السواد الذي في القمر فقال : كانا شمسين فقال : قال الله ﴿... فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ...﴾ فالسواد الذي رأيت هو المحو واخرج مثله ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي يحاتم وابن الأنباري في المصاحف عن علي (عليه السلام) في الآية : قال : هو السواد الذي في القمر واخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) في الآية قال : كان الليل والنهار سواء فمحي الله آية الليل فجعلها مظلمة وترك آية النهار كما هي واخرج ابن عساكر عن علي بن زيد (رضي الله عنه) قال : سأل ابن الكوا علياً (رضي الله عنه) عن السواد الذي في القمر قال : هو قول الله تعالى : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾.

أقول : حاصل ما قد يصدق من هذه المجموعة ان الشمس والقمر في بادية خلقهما كانا نيرين كبعض مع اختلافهما في الحجم . حيث المحو هو محور النور لا الجرم . فمحي الله القمر من ضوئه حتى أصبح نورا وجعل الشمس ضياء : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (١٠ : ٥) فقد كانت شمسا دون هذه الضياء وكان قمرا دون هذا النور ، فضياء الشمس ونور القمر مجعولان .

وقد يناق محو القمر هكذا ان نوره مكتسب من ضوء الشمس ولا نور له من نفسه كما .

لنهارها وقمرها آية محوثة من ليلها وأجراها في مناقل مجراها وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما»^(١).

﴿... لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ﴾.

كأن ابتغاء فضل من الله ، ومعرفة عدد السنين والحساب كلاهما من مخلفات آية الليل والنهار وان كان فضل الله يبتغي في الأكثر نهارا ، ولكنه لا يخص المادي منه حتى يختص النهار ، فالمعنوي منه أهم وأكثره بالليل ، وان كان الليل حسب الأصل وأكثرها للسكن والنهار للنشور ولكن : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٣٠ : ٢٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٨ : ٧٣) وهذا جعل ثان ينوب الأول شيئا ما عند الحاجة وفيما لزم عكس الأمر وان كان الالتزام بالأول أخرى وأصلح لراحة الإنسان ، اللهم إلا في تمجد الليل فضلا روحيا.

. يقول العلم ، الا ان جعل القمر نورا منيرا ينافيه : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٢٥ : ٦١) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ (١٦ : ٧٢١) ولم يثبت اكتساب نور القمر من ضوء الشمس علميا قانونيا لا يتخلف ولئن ثبت كان معنى محو القمر محو الأكثر من نوره الآن اكتسابا من الشمس إذ كان بالإمكان ان يجعله الله بحيث يكتسب من الشمس نورا تواطى نور الشمس ، الا ان هذا لا يسمى محو اللهم الا إذا كان القمر بحيث يكتسب نورا من الشمس تواطىها ثم الله محاه ، اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا ، وقد يكون كيان نور القمر مما سكت الله عنه حيث احتمال هكذا محو في آية المحو لا يعد والاحتمال حيث الظاهر ان آية الليل هي الليل وآية النهار النهار ، وكون القمر نورا لا ينافي في انه يكسبه من الشمس ام ماذا؟.

(١) في نهج البلاغة عن علي امير المؤمنين (عليه السلام) ...

كذلك ومعرفة السنين والحساب من مخلفات آية الليل والنهار ، لا إحداها ولا النهار فحسب ، بل قد يكون الليل بآيته أخرى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠ : ٤) ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ (٦ : ٩٦) ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (٥٥ : ٥) أترى بعد ان الليل بآيته لا حساب له ولا حساب ، وهما زميلان متضائفان في الحساب؟!!

فلو كان الليل والنهار بآيتهما سرمدين لم يعلم عدد السنين والحساب ، ولكن خلفه الليل والنهار علم لهما ولليوم ، وسبعة اليوم للأسبوع ، ومنازل القمر لايام الشهر ، واثنى عشر الشهر للسنة ، فمحو آية الليل تدريجيا حيث قدره منازل هلالا وبدرا ومحاقا ، وابصار آية النهار ، انهما متعاونان في معرفة عدد السنين والحساب ، كما ان محو القمر حيث لا يضيء كالشمس يميّز الليل عن النهار.

وترى ما هو الفارق بين علم عدد السنين والحساب ، وعدد السنين من الحساب؟
عل الفرق بالعموم المطلق فان عدد السنين حساب وليس كل حساب عدد السنين ، فانه هنا عدد في السنة شهورا وفصولا وأسابيع وأياما وساعات ، فالحساب لما دون السنة فعلم عدد السنين . وطبعا القمرية . والحساب في أجزاءها من مخلفات محو آية الليل وإبصار آية النهار.

فالليل والنهار بآيتهما آيتان كونيتان تشيان بدقة الناموس الذي لا يصيبه خلل بأية علل فهما دائبتان حتى القيامة الكبرى ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ في كتابي التكوين والتدوين ، دون إجمال او تعطيل.
 فكل شيء هو من خلق الله فهو من آيات الله ، والله ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (١٣ : ٢) ﴿وَلِتَسْتَوِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦ : ٥٥) ﴿... وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧ : ٧٤) ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٠ : ٢٤) ﴿... لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٠ : ٢٨) ﴿... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠ : ٥).

والشيء في ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ هو كل شيء تكويناً او تشريعاً ومن الأشياء المفصلة أعمال الإنسان وأقواله وعقائده ونياته ، حيث هي مفصلة في عنقه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (١٨ : ٤٨).

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾ (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (١٤) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدِّدُ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا (٢١)

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقْبِهِ...﴾.

«الطائر» هو كل ما يطير أيا كان من شخص أو شيء أو عمل أو تفكير ام ماذا؟ ثم
الطائر البخت والحظ والنصيب ، والجاهلية كانت ولحد الآن تحرف بما لا تعرف أن الذي
قدّر لكل انسان هو تقديره وبخته الذي قدره الله له يطير إليه دون رباط له بعمله ، او
يستطير اليه خير او شر من عمل غيره ، او انه يشارك في حظه عمله وعمل غيره ، ام ماذا
مما يلحق الإنسان

نصيباً من خير أو شر يطير اليه من غيره ، ربه أو خلقه ، أو وأخيراً ، إذا كان عمل كل إنسان له خيراً وعليه شراً ، فعمله أياً كان يطير عنه الى الفناء فلا حجة تبقى عليه حتى تلزمه وتلجمه يوم القيامة.

والقرآن يطارد في طيات آيات هذه الغلطة الماردة ويلزم عمل كل انسان في عنقه كما هنا ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

يحصر الطائر مبدئياً بما مع الإنسان : ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) : تفألنا بكم شراً يطير منكم إلينا فأنتم شؤمنا وبؤسنا! ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِنْ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (٣٦ : ١٩).

ومن ثم يحصره جزاء بما عند الله : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٢٧ : ٤٧) ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ١٣١) ثم لا حالة ثالثة للطائر رغم ما يزعم!

فالعامل أياً كان ومن أي إنسان إنما طائره معه وعند الله ، لا يجاوزه الى من سواه ولا اليه من سواه ولا انه مقدر مسير عليه ، ولا انه يطير عنه الى الفناء دون ان يبقى حجة له او عليه ، فانما طائره في عنقه ثم عند الله.

إذا فتسميته العمل طائراً ليست الا مسايرة التعبير عن العمل ^(١) بما يطير الى غير العامل ، او استطارة من تقدير مسير من الله! او استطارة عن

(١) وكان العرب يقيمون بطيران الطائر الى اليمين ويتشأمون بطيرانه الى اليسار ، ولذلك جعل الطائر اسماً لمطلق ما يتمنى به ويتشأم ثم استعمل في مطلق سبب الخير والشر من الأعمال والأقوال والعقائد.

العامل الى الفناء!

اللهم الا استطارة الى الآفاق من ارضها واعماق فضائها ، حيث الأمواج الصوتية والصورية طائرة عن الإنسان الى الافاق وهي على ما هي عليه ملزمة في عنقه ، نسختان عينتان من مربع الأعمال يستنسخها الله في الآفاق وفي الأنفس ، وسيريهما الله يوم يقوم الاشهاد : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤١ : ٥٣) فمن هذه الآيات الآيات العينية من الأعمال المسجلة في الأنفس والآفاق وشره لله هو الشر المستطير : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧٦ : ٧) فان شر الآخرة المستقبل هو استمرار لشر الدنيا المستطير الماضي ، فشر الآخرة ثابت حيث ينتج عن شر الأولى المستطير. وحقيقة الاستطارة من صفات ذوات الأجنحة : البعثة على الطيران ، فشر الدنيا منبعث من قبل الله للطيران الى مسجلات الكون آفاقية وانفسية ، تيارات الشر وطياراته يوم الدنيا وإلى اعماق البرزخ والقيامة. فالقرآن يصدق من صيغة الطائر هذه السائغة التي صاغها الله ، ويكذب ذلك الثالث الخاطيء من استطارة الأعمال : من الله تقدير التسيير الى العمال ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ او منه إطارة منك الى سواك ، او منه إليك بنفسه او انتاجه ، او من الإنسان ككل الى الفناء ، كلا ثم كلا إلا إلزاما للعمل وعهدته في عنقه ^(١) ثم اطارة الى كتاب الآفاق ، فأية الطائر تصریحة بما بعدها أن الأعمال ملزمة في ذوات العمال وعهدتهم : «في عنقه» احياء ثنائيا يكسح خرافات الأوهام ، ثانيهما أن كل

(١) فان قال : في ذاته . لم يدل على عهدته . وان قال : في عهدته لم يدل على تسجيله في ذاته بصوريته.

عمل فإنما هو على عهدة عامله بخيره وشره في عاجله وآجله ، كما وأنه مسجل بصورته الصوتية والصورية في ذاته ، فالعنق عبارة عن الذات حيث الكيان الحيوي للإنسان به أكثر مما سواه ، وعبارة عن العهدة ، فالإزام طائر الإنسان في عنقه إحياء بهما جميعا ، فالعمل الزائن في العنق كالقلائد والاطواق ، كما العمل الشائن كالأغلال والأوهاق هما لزام عنقه مهما كانا خفيين يوم الدنيا ، فان الله يخرجهما يوم الاخرى كتابا يلقاه منشورا.

ثم والطائر تلويحة باستطارة نسخة عينية من الأعمال الى كتاب الآفاق ثم نجد تصرّحتها في آيات تحدث الأرض اخبارها.

﴿الْزَمْنَاهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ وعلّ إلزامه طائره يوحي بكون طائره لزام ذاته ككل ، و ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ بان ما يلزم ذاته هو على عهده ، فهو لازمه لا يفارقه ، لا يمكنه ان يتخلص عنه او يتملص منه ، لا نفس العمل ولا مخلفاته ، فهو كالطوق في عنقه بالزامه إياه والحكم عليه به.

فلئن اختص هذا الإلزام بعهدة العمل دون نفسه لكان التعبير «الزمننا طائره» دون «الزمنناه» ولو اختص بالإلزام العمل دون عهده لقال : «في ذاته» دون «في عنقه» فثنائية الإلزام لا محيد عنها في هذا الإجمال ، وكما تفصلها : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ ... أَفْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ ... وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ حيث الأولى لزام عمله ، والأخيرة لزام عهده يجمعهما : «خير وشره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل» ^(١) ف «يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٤ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني وأبي عبد الله (عليهم السلام).

الساعة»^(١) ف «اعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في أجلهم»^(٢). وفي القرآن آيات مفصلات في بقاء العمل وعهده^(٣) وفي الحديث تفسيرات وتأويلات للطائر^(٤).

فلا تعني «طائره» سعادته وشقاوته ، فإنهما ليستا بمقدرتين إلا حسب سعيه ، تقدير اختيار دون اجبارا^(٥) كما لا تعني انعدام عمله ولا سواه مما

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٤ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني وأبي عبد الله (عليه السلام) في الآية : : الى ان قال : فلذلك ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ :

(٢) نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) من كلماته القصار (٦) :

(٣) فالآيات في ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ لا لزوم العهدة ، والآيات في انعكاس الأعمال في نفس الإنسان وفي الآفاق لا لزوم نفس العمل في الآفاق والأنفس (راجع سورة الزلزال والقارعة من الفرقان) :

(٤) نور الثقلين ٣ : ١١٤ في تفسير العياشي عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) عن قوله : ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال : قدره الذي قدر عليه أقول : يعني قدر الاختيار حسب ما اختار من اعمال لا قدر الإجبار حتى يسير على قدره :

(٥) في الدر المنثور ٤ : ١٦٧ . اخرج ابن مردويه عن حذيفة بن السيد (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول في حديث تفصيل خلق الإنسان في الرحم :: ثم يقول الملك يا رب أشقي ام سعيد فان كان سعيدا نفخ فيه بالسعادة في آخر اجله وان كان شقيا نفخ فيه بالشقاوة في آخر اجله ثم يقول : اكتب اثرها ورزقها ومصيباتها وعملها بالطاعة والمعصية فيكتب من ذلك ما يأمره الله به ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول : علقه في عنقه الى قضائي عليه فذلك قوله ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ .

أقول : «أشقي : : وان كان شقيا» يوحى بالشقاوة الآجلة بعد التكليف بالاختيار كما في السعادة ، وكتابة الشقاوة والسعادة هي كتابة التقدير لما يتقدره المكلف ، وكتابة عمل الطاعة والمعصية تعني تقديرهما كذلك ، وانهما سيلزمان في عنقه إبقاء لهما وعهدة عليه :

خرفوا له او هرفوه ، اللهم إلا ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾!

وما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان طائره هو سعادته او شقاوته باعمالهما ليس ليعني إلا ما تعنيه الآية من إلزام العمل الملتزم بالاختيار دون إلزام الإجبار ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فلا قضاء أزليا يحتم على الإنسان سعادة او شقاء الا بما يحتمه الإنسان على نفسه كما يحتمه اختيارا دون إجبار.

وترى ان «طائره» يختص عمله بجوارحه؟ ام وقوله فانه من عمله الطائر ، ام وعقيدته ونيته فإنهما من اعمال الجوانح كما تلکما من الجوارح؟ وهما ايضا طائرتان؟ إن الطائر كطائر يعمها كلها ^(١) فانه يحاسب بها كلها ولا سيما طائر العقيدة فانها تحصل يوم يقوم الاشهاد كما يحصل غيرها : ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠٠ : ١٠).

ولا يعني التحصيل هنا إلا تكريس ما في الصدور كتابا يقرأ تفهما دون سماع او إبصار ، تحصيلاً لعقائد أو أفكار ونيات هي من طائر الصدور : ﴿قُلْ إِنْ تُخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُخَذَّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣ : ٣٠) : فيا للإنسان من نفسه مسجلة تسجل مثلث القول والفعل والسريرة كما قال او فعل او أسر ، ومهما غفل . لطول الأمد . عما نوى او اعتقد او قال او اعتمل كشف عنه غطاءه يومئذ

(١) فالعمل إذا قورن بالقول والعقيدة دلت قرينته على ان العمل بالأركان فقط ، وإذا اطلق دون قرينة شمل قرينيه ، واما الطائر الموحى الى كيان العمل اثباتا مصدقا ، او نفيا في مثلثته ، فهو طائر اللسان والجوارح ، والفكر والعقيدة دون إبقاء :

ليرى ما فعل : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾
(٥٠ : ٢٢) : بصر العين للمعاينة ، وبصر السمع للاستماع ، وبصر البصيرة لدرك ما نوى
او اعتقد!.

فإنسان القرآن شاشة تلفزيونية ومسجلة للصوت والصورة والسيارة والسريرة وكتاب
للصور والأصوات والسريرات :

﴿... وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾.

ولماذا «نخرج له» لا نخرجه؟ إن «له» هنا توحى بأن هذا الإخراج ليس إلا لعامله
شهادة عينيه فجاء وليس لله فانه يعلمه قبل الإخراج وهو الذي الزمه في عنقه! ولماذا «نخرج
... كتابا» دون «نخرجه كتابا» عله كيلا يتوهم ان الطائر يجعل كتابا يوم القيامة ولم يكن^(١)
فانما الكتاب هو الطائر والفرق بين نشأته انه في الأولى خفية مغفول عنها ، وفي الاخرى
ظاهرة محتج بها : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾
(٥٠ : ٢٢).

نخرج ما ألزمناه من طائره في عنقه ، نخرجه عنه يوم القيامة كتابا ... لم يكن ليمحى
بما اندرست أوراقه حيث بليت ورمدت أعضاء الإنسان وهي أوراق هذا الكتاب! حيث
استنسخه العلي القدير : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
(٤٥ : ٢٩) كتاب يحير عقول المجرمين : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (١٨ : ٤٨) وهو من أظهر

(١) فان الإخراج المركب يوحي بأن الحالة الثانية تختلف عن الاولى ، والإخراج غير المركب دليل الوحدة الحقيقية
بين الطائر والكتاب.

الصحف المنشورة ﴿إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (٨١ : ١٠) الصحيفة الذاتية المسجلة فيها أعماله!.

ان مثلث كتاب الأعمال هو كتاب الله بما استنسخه وسجله ﴿هَذَا كِتَابُنَا...﴾ وهو كتاب الإنسان نفسه بما عمله : ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ : هذا كتاب نفسه إذ سجله الله في نفس عامله ، يقرئه كما هو حيث ينشر كما صدر حالا او مقالا او افعالا ، قراءة تفهم الحال فكريا وعقيديا كأنه فكره او اعتقده في الحال ، وقراءة سماع المقال كأنه قاله في الحال ، وقراءة رؤية الأعمال كأنه عملها في الحال ^(١) وأوراق الكتاب هي نفسه في مثلث الأسطر التي استنسخها الله ، وكفته نفسه حسيبا عليه حيث تكتبها بحجتها العينية الحاذرة الحاضرة : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ كما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فلو كان هذا الكتاب ما يحبر بقلم ام ماذا؟ لم يكن نفس العامل ، فلم يكن نفسه فيه حسيبا ، ولا يكفي الكتاب المجر بقلم يحكي عن طائره حكاية وضعية ، لا يكفي عليه حسيبا إذ له نكرانه حيث لا يشهد شهادة عينية كافية وليس ليقروه إلا من تعلم القراءة قبلها.

وان كتاب النفس المنشور بما ينشره الله يقرأ بنفس اللغة التي صدرت لغة الحال والمقال والأفعال ، دون حاجة الى ثقافة اخرى سوى التفهم والسمع والبصر ، ثم هناك كتاب آخر يؤاياه هو الأرض بفضائها ^(٢) وكتاب

(١) ف «نفسك» هنا مجموع الروح والجسم حيث هما يشهدان الشهادة العينية في المثلث المذكور.

(٢) كما تدل عليه آيات الزلزال «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا...» راجع ج ٣ من الفرقان تفسير الزلزال.

ثالث هو ما يكتبه الكرام الكاتبون ^(١) ورابع هو ما يتلقاه الشهود ^(٢) اشهاد اربعة ومتوافقة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وان كان ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ^(٣) : دون حاجة الى الثلاثة الآخرين ولكن لتحيط بك الشهود نفسيا وافقيا فلا تبقى لك أية عاذرة!

في كتاب النفس نجد لسان المقال وجوارح الأفعال كما الجوارح تشهد بما كانوا يعملون إلقاء يوم يقوم الاشهاد كما شهدت تلقيا : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٤ : ٢٦) ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣٦ : ٦٦) ختما على الأفواه صدا عن تكلم الألسن اختيارا كما تشاء نكرانا لما قالته او عملته الجوارح وفتحا لأقوال الألسن المخرجة عنها يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، فالألسن المنفصلة عن ألسن القائلين تتكلم بما تكلمت طوال التكليف ، فشهادة الألسن على أصحابها قد تكون اختيارا ، ولا يختار المجرم كلاما على نفسه ، او اجبارا وهو بعيد غاية البعد عن الشهادة الحق من

(١) عله يدل عليه مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ : كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ راجع نفس المصدر ويعني الكتاب هنا أيضا ما سجله الله بعماله الكرام الكاتبين في انفس المكلفين والجو الذي يعيشون فيه ، او ان كتابهم عنا علمهم بأعمالنا بما علمهم الله كما قد يوحى به «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ».

(٢) تدل عليه آيات شهادة الشهود المبعوثين يوم يقوم الاشهاد كقوله تعالى : «يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ.» (١٦ : ٩٢) «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَبَّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ : وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» (٣٩ : ٧١).

(٣) قد تكون الباء في «بنفسك» زائدة للزينة كما يقال ، وقد تكون للتعدي السببية ان نفسك سبب الشهادة والحساب عليك.

القدير الرحيم ، على ان الأفواه مختوم عليها فلا كلام أيا كان من الألسن في الأفواه ، وانما الشاهد عليه هو لسانه المنفصل المخرج ، ان تنقل الألفاظ عن اللسان الى غير اللسان فيشهد بما قال : كمسجلات سجلت فيها ما قالت شهادة عليهم كما تشهد الايدي والأرجل شهادات عينية عادلة : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ... وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا بِمَا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤١ : ٢٣).

فالجلود تعم جوارح الإنسان بما فيها سمع الأذن وبصر العين ، كما وقد تشمل كل جسم الإنسان حيث هو جلد لروحه ، والسمع هو سمع القلب كما البصر بصره وإن كانا يشملان سمع الأذن وبصر العين ، ومن الجلود الألسن كما هما منها ، فالإنسان بكله ، بروحه وجسمه كتاب لمثلث الأعمال ، شاهدة عليه يوم يقوم الاشهاد.

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥).

ضوابط ثلاث تضبطها هذه الآية لا محيد عنها ولا مناص :

١ . إن الاهتداء والضلالة تنحصران نفعا وضرا بأصحابهما وتنحصران عن سواهما ، ف ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٧٤ : ٣٨) دون رهانة بما لم تكسب او كسبت غيرها ، فالعمل الطائر . رغم زعم الجاهلية . كما لا يطير عن عامله الى الفناء ، كذلك لا يطير عنه بتبعته الى سواه ، وإنما التبعة الفردية تربط كل انسان بنفسه : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ

مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠﴾ (١٠٨ : ١٠).

ترى إذا اختصت الضلالة والهدى بمن ضل واهتدى ، فكيف يؤمر المهتدون أن يهدوا ، وينهى الضالون ان يضلوا؟

الجواب : أن الحصر هنا نسبي يعني . فقط . نفي انتقال الهدى والضلالة بآثارهما الى غير أصحابهما ، كما تعنيه آية الطائر ، ولا يعني عدم بث الهدى ام ماذا؟

٢ . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إن الهدى والضلالة هما لزام أصحابهما ، ما من احد يحمل او يتحمل حمل احد ولا يحمله ولو كان ذا قربي : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِثْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٣٥ : ١٨) وإن وزرت كمثلها او تزيد إذا أضلت غيرها ، ولكنها ليست لتخفف في حمله حمل التي ضلت بإضلالها : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَاهُمْ وَأَتَقَالَا مَعَ أَثْقَاهُمْ وَلِيُسْئَلَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٩ : ١٣) فهؤلاء المضللون يحملون وزري ضلالهم وإضلالهم : أثقالهم وأتقالا مع أثقالهم دون ان ينقص من أوزار من ضلوا بهم شيء : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (١٦ : ٢٥) ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ...﴾ (٤ : ٨٥)^(١) تعني هذه الضابطة فيما تعني أن أولاد الكفار . الصغار . لا يعذبون

(١) حديثه متظافر وراجع تفسير آية الوزر في ج ٢٧ ص ٤٥٠ - ٤٥٧ سورة النجم من الفرقان ، ترى فيه حوارين حول آية السعي والوزر جوابا عمار بما يسأل حولها.

بكفر آباءهم^(١) كما أن أولاد المؤمنين لا يثابون بإيمانهم ، وإن كانوا جميعا من اهل الجنة ، لطفًا بهم حيث لم يذنبوا ، وعطفًا زائدًا بآباء مؤمنين. حيث الاجتماع لهم بأولادهم الصغار حظوة لهم ورحمة^(٢) ومختلف الحديث حول العذاب^(٣) والألّا عذاب معروض على الآيات الناكرة لعذابهم ، حيث

(١) الدر المنثور ٤ : ١٦٨ . اخرج قاسم بن اصبغ وابن عبد البر عن انس (رضي الله عنه) قال : سألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أولاد المشركين قال : هم خدام اهل الجنة.
أقول : لماذا خدامهم وليسوا منهم كما هم؟ لأنهم لم يعملوا اعمالهم فليسوا في درجاتهم وخدمتهم لأهل الجنة لا تكلف فيها وهي رحمة لهم وأولاء.

وفيه واخرج ابن سعد واحمد وقاسم بن اصبغ وابن عبد البر عن خنساء بنت معاوية الضمرية عن عمها قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة.

(٢) راجع ج ٢٧ من الفرقان تفسير الآية (الحقنا بهم ذريتهم) تجد فيه بحثًا فصلا حول الموضوع.
(٣) في الدر المنثور ٤ : ١٦٨ بإسناده الى الصعب بن جثامة (رضي الله عنه) قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اني قضيت في البنات من ذراري المشركين؟ قال : هم منهم . أقول تطرده آية الوزر وأمثالها ، ولا يصلحه المروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت سألت خديجة (رضي الله عنها) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أولاد المشركين فقال : هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال : الله اعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحکم الإسلام فنزلت ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فقال : هم على الفطرة او قال : في الجنة.

أقول : وهذه فرية وقحة على الرسول انه حكم على خلاف العقل والعدل ان أولاد المشركين معهم ، دون سناد الى وحي ، ولم يكن الرسول يحكم الا بوحي ، ولا حتى بعقله المنير الذي فاق العقول فكيف يحكم بما يخالف العقل والوحي معا وحتى إذا كان السؤال قبل نزول آية الوزر فليصبر حتى يحكم الله ، او يحكم بما نزلت قبل من آيات تنص بعدل الله وفضله ام على اقل تقدير يحكم بعقله!.

﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ثم وبالموت ينقطع التكليف فلا يكلفون بشيء في الأخرى^(١).
وترى القاعدة الفقهية (الدية على العاقلة) هل تعرقل قطعية هذه الضابطة ، وهي من
العمومات الآتية عن التخصيص؟.

الجواب ان لا ذنب للقاصر حتى يؤخذ به عاقلته ، ثم وغض النظر عن الدية إجحاف
على صاحب الحق ، والقاصر لا يملك الدية ، وإن ملكها فالعاقلة أخرى بتأدية الدية ، إذ
كان عليه تربية القاصر والحفاظ عليه كيلا يجني جنايته ، فإذا وقعت الجناية كان أقل ما يؤخذ
عليه العاقلة . الدية ، فالعاقلة إذا وازرة وزر نفسها!.

أو أن الدية ليست وزر الجناية ، إنما هي بحكم الله على العاقلة . كما عليه نفقة
القاصر ، حفاظا على حق المجني عليه ، ولا أحق هنا من العاقلة ولاية له على القاصر .
او ان الدية جامعة الأمرين دون أن يكون هناك وزر على القاصر ، اللهم إلا وزرا
على العاقلة بما له ولاية ، وهذا الجمع أجمل.

ثم ترى ان مواصفة النفس بالوازرة حيث لا تزر وزر أخرى هلا تخرج نفسا غير وازرة
وهي العادلة المعصومة عن الوزر وإذا لا فلما ذا «وازره» وإذا بلى فلتكن غير الوازرة وازرة وزر
أخرى او أهلة ان تتحمل حملها!

علّ الوازرة هي التي تحاول ان تزر وزر أخرى وان لم تكن وازرة لنفسها ، ثم إنَّ
المعصومة كيف تزر ولماذا؟ فهل تزر وزرا أخرى تبرء لها بتحمل وزرها فتعصي بعصيانها
وتعذّب بعذابها؟ وهذا خروج عن العصمة ثم وخروج عن حكم الآيات الناكرة لهذه النيابة
النكدة ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ

(١) فالروايات القائلة انهم يمتحنون بما يكلفون يوم القيامة مؤله او مضروبة عرض الحائط.

عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢ : ٤٨﴾.

ام تزرر إبطالا لعقوبته عن الاخرى وعن نفسها ، وهذا غفران دون سبب وليس الغفران بسببه ايضا إلا لله «وهل يغفر الذنوب إلا الله» ثم وليس هذا حملا لحمل اخرى!

﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

ترى ما هو العذاب المنوط ببعث الرسول؟ وهل إن بعثه دون وصول بلاغه كاف في استحقاق العذاب؟

هل يعني هذا العذاب مطلق العذاب ، حتى المستحق بالتخلف عن وحي الفطرة والعقل ، او عن وحي الشعور لغير ذوي العقول؟ وإن عذاب ربك لواقع في اي تخلف! ف ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٦) ولا يعني حشرهم الى ربهم إلا جمعهم اجمع الى ربوبية الجزاء الثواب او العقاب ، لا سيما في العصيانات الظالمة الفاحشة ، فالله أعدل من ان يترك الظالم ولا يأخذه لا في الدنيا ولا في الآخرة (١) : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

(١) نور الثقلين ١ : ٥٩٢ عن الفقيه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال : اين صاحبها؟ مروة فليستعد للخصومة.

وفي المجمع عن أبي ذر قال : بينا انا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا انتطحت عنزان فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أتدرون فيما انتطحا ، فقالوا : لا ندري قال : ولكن الله يدري وسيقضي بينهما.

وعن الكافي باسناده الى الكلبي النسابة قال قلت لجعفر بن محمد (عليه السلام) ما تقول في المسح على الخفين؟ فتبسم ثم قال : إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شيء الى شئيه ورد الجلد الى الغنم فترى اصحاب المسح اين يذهب وضوءهم!

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ... ﴿١٤ : ٤٢﴾ مهما كان الظلم يشعر بشعور ، ام بفطرة او عقل ، ام بوحى النبوة ، وان كانت تختلف بمختلف مراتب الإدراك.

والقاعدة الاصولية العقلية «قبح العقاب بلا بيان» لا يصح أن تعني خصوص بيان وحي النبوة ، فإن وحي الشعور بيان ، ووحى الفطرة بيان ، ووحى العقل بيان ، وإن كان بيان الشرع أشمل ، كما وان تكليفه أعضل.

والآيات التي تعذر العذاب لو لا بعث الرسل ، لا تعني إلا العذاب الناتج عن عصيان هؤلاء الرسل ، لا مطلق العذاب المستحق بعصيان سائر الرسل : شعورا وفطرة وعقلا! وإنما ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٤ : ١٦٥) حجة أننا كانت لنا هدى فوق ما تهدينا إليها عقولنا بالرسل فلما ذا لم تبعث إلينا رسولا ، ثم وحجة ألا عقاب في عصيان الرسل ولم تبعث الرسل! بل ولا عصيان إذا في خلافهم قبل بعثهم ، بل لا يحصل إذا خلاف.

او تعذر عذاب الاستيصال الناتج عن التخلف الفاحش المتهم للرسالات.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (٢٠ : ١٣٤).

علّه أو انه المقصود هنا فحسب ، أو هو القدر المتيقن كما توحى له «ما كنا» ك **﴿لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾** حيث تعطف الى العذاب الماضي وهو الاستئصال في الدنيا ، احياء برحمة رحيمية في سنة دائبة إلهية ألا عذاب في الأولى حتى يبعث رسولا ثم يعصى بما لا تتحملها رسالة ولا حياة انسانية ، وكما توحى له التالية المقررة لظرف هكذا عذاب : **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...﴾** **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا...﴾** ان إهلاك القرى لا يراد إلا في هكذا عصيانات.

إذا ففي عصيان وحي الشعور . كما للطير والدواب . عذاب قدره يوم الحشر قليلا ، دون الدنيا والبرزخ إلا قليلا ، وفي عصيان وحي الفطرة والعقل كذلك وأكثر قد يكفيه عذاب في البرزخ . وفي عصيان غير فاحش لوعي النبوة عذاب في البرزخ أو في الحشر ، ثم وفي عصيان فاحش لوعي النبوة حيث يهدم أركان بناية المجتمع عذاب الاستئصال في الدنيا ثم وفي البرزخ والحشر عذاب دائم اليم ، فالمعذب في الدنيا للعصيان الطغيان يعذب بالأحرى في البرزخ والأخرى ، وليس كل معذب فيهما يعذب في الأولى .

وقد تشمل «ما كنا» عذابي الأولى والآخرى في نطاق التكاليف الرسالية ، لا مطلق العذاب وإن في نطاق التكاليف الثلاثة الأخرى ^(١) ولا خصوص الأولى ، فكما العذاب الأدنى في التخلف عن وحي الشعور ليس إلا في حاضر الشعور ، ثم أعلى منه في الفطرة ، فأعلى في العقل ، كذلك الأعلى تخلفا عن وحي الشريعة في العصيانات العادية ، ثم التخلف القمة في الأولى قبل الأخرى عذاب الاستئصال والتدمير ، وليس إلا في حاضر الرسالة . للقاعدة العقلية «قبح العقاب بلا بيان» الشاملة له ولما قبله .

فلا تعني ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إلا بيان الرسالة ببلاغها ، إن للمترفين الطاغين فعذاب الاستئصال هنا أم للناس أجمعين فعذاب في الأخرى ، وإن كان القدر المتيقن هو الأولى وفي هامشه الأخرى ،

ثم العصيان في أية رسالة من الرسائل الخمس يخلف وجوب العقاب إذا كان ظلما وتعديا على الخلق أيا كان ، أو جوازه إذا كان تقصيرا بحق الخالق دون خلقه ، ولم يكن في تركه تسوية ظالمة بين المطيع والعاصي ، فالسماح عن بعض المعاصي هو قضية الفضل والرحمة الواسعة كما في المستضعفين ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا

(١) شعورا وفطرت وعقلا .

يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

(٩٩ : ٤) هذا السماح ليس ظلما وتسوية ، واما السماح عن اي ظلم بالنسبة للخلق دونما أي مقابل فهو ظلم بعيد عن ساحة العدل الرباني.

و ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ تعني الرسالة البالغة الى المكلفين بأحد شطريها ، ثم الثلاث الاخرى كذلك البالغة الى مكلفيها ،

ففي كل رسالة بالغة على حدها حجة ، وفي التخلف عنها جواز او وجوب العذاب ، من دنيوي بسيط الى برزخي بمراتبه ، إلى أخروي كذلك ، وإلى عذاب الاستئصال في الدنيا اضافة الى الاخرى.

ثم وبعث الرسول يحمل أمرين : بلوغ المرسل إليهم وبلاغ الرسالة ، حيث الرسالة الى غير البالغ قاصرة المفعول ، والرسالة غير البالغة الى البالغين ليست رسالة ، وكما للبلوغ درجات كذلك للرسالة الى البالغين درجات ، والثواب والعقاب يقدران على قدر الدرجات : ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٦ : ١٩) : بلغ هو وبلغته الرسالة.

والبلاغ يتطلب أمرين : بلوغ المبلغ إليه عقلا فتكليف ، ووصول الرسالة اليه واضحا وبلغا ، لذلك فمن الناس من ليس عليه اي تكليف كالجانين ، ومنهم من يكلفون تكاليف حسية دنيوية كما يعقلون ، كالصغار العقلاء ، ومنهم من يكلفون كذلك وقسما من الأخروية دون إطلاق كالسفهاء وسائر المستضعفين ، والأخيران عسى الله ان يعفو عنهم إذا لم تكن السفاهة والاستضعاف بذات أيديهم وتقصير منهم ، حيث التقصير أيا كان يتطلب جزاء على قدره ف ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤﴾ (٩٩ : ٤).

فالرسالة غير البالغة الى المكلفين دون تقصير منهم ، او البالغة الى غير البالغين كالمجانين ثم البله ثم المستضعفين القاصرين ، هذه الرسالة لا تحتم أي عذاب في نطاقها وكما لا تجوزه خلافا لما يروى ^(١).

كما وان البيان الرسالي كلما ازداد إزداد تحتم العقاب وقدره ، كالحاضرين بلاغ الرسالة ، والذين منحوا عقلا او علما زائدا «فإنما يداق الله العباد يوم القيامة على قدر عقولهم» ^(٢) : وعيهم للبلاغ ثم ويعاكسه كلما نقص البيان الرسالي او انتقصه المرسل إليهم قصورا ، كالغائبين البعيدين عن بلاغ الرسالة ، والذين لم يمنحوا عقلا راجحا او علما زائدا ،

(١) في الدر المنثور ٤ : ١٦٨ باسناده عن الأسود بن سريع ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفطرة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما اسمع شيئا واما الأحمق فيقول : رب جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبرع واما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما اعقل شيئا واما الذي مات في الفطرة فيقول : رب ما اتاني لك رسول فيأخذ موائبهم ليطعنه ويرسل إليهم رسولا ان ادخلوا النار قال : فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا وسلاما ومن لم يدخلها اسحب إليها.

وفيه عن انس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤتى يوم القيامة باربعة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفطرة والشيخ الهرم الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم ابرزى ويقول لهم كنت ابعث عبادي رسلا من أنفسهم واني رسول نفسي إليكم فيقول لهم : ادخلوا هذه ، فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أندخلها ومنها كنا نفر ، قال : واما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الرب قد عانيتموني فعصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

(٢) الكافي باب العقل والجهل عن الإمام الصادق (عليه السلام).

فقضية العدل الرباني هو العقاب قدر التخلف وكيانه واثره ، مع ما تقتضيه الرحمة الالهية لانتقاص العذاب او تركه ما لم يخالف العدل ، فالثواب من آثار الفضل والرحمة والعقاب من آثار العدل والرحمة.

والأحاديث المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن المعذورين هنا يكلفون يوم القيامة فيثابون إن أطاعوا ويعذبون إن عصوا ، إنها تخالف الضرورة الإسلامية القائلة : «إن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل» المستفاد من آيات بينات وتواتر الروايات .
ثم لو اعطوا هنا لك عقولا كافية لم يكونوا ليعصوا الله تعالى وهو رسول نفسه دون حجاب الرسالات الاخرى . وهو يوم تكشف الحقائق وهم يرون مع ما يرون . الجنة والنار ! .
ثم ان «وما كنا» ^(١) إنما تنفي عذاب الاستئصال ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ان جواب هكذا عذاب ليس الا في ظرف بعث رسول ، لا أن بعث رسول وعصيانه أيا كان يقتضي هكذا عذاب ، وإنما إذا أمر المترفون ففسقوا ، ف ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ...﴾ بيان لنظر عذاب الاستئصال

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦).

(١) قد تكون «كنا» هنا منسلخة عن اي زمان؟ والعذاب واللاعذاب وبعث الرسل زماني! ... او انها منسلخة عن مضيتها فتشمل مثلث الزمان ، فهي إذا تنفي مربع العذاب في مثلث النشآت ، الناتج عن عصيان الرسل؟ وهذا اشمل الاحتمالات وأجملها! ... او انها تعني خصوص الماضي دون نفي للمستقبل ، ان السنة الإلهية مستقرة في اللاعذاب الاستئصال في ماضي الاولى او مستقبلها ، ثم الاخيرة هي القدر المتيقن والمورد للآيتين بعدها ، الا ان بعث الرسل بمجرد التخلف عنهم أيا كان لا يقتضي عذاب الاستئصال ، اللهم الا ان يعنى ظرف الاستئصال انه بلاغ الرسل فعصيانهم المتهم كما توحيه آية المترفين.

أسئلة عدة تطرح حول مواضيع من هذه الآية إذ كثرت الأقاويل حول الاجابة عنها :

١ . كيف تتقدم ارادة الإهلاك على موجبہ ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ وموجب الإهلاك ليس إلا قبل إرادته ، فإن كانت متعلقة بعذاب مستحق بغير هذا الفسق لم تكن لها صلة بهذا الفسق ، وإن كانت به نفسه فكيف تتقدمه ، او انها إرادة لإهلاك قرية دون صلة لها بأي فسق؟ ثم كيف يتخلف مراد الله عن ارادته . وهي نافذة . بما يقدمه من تقدير للفسق؟

أقول : إنها إرادة للإهلاك بفسوق القرية عامة ، حيث الآية السالفة بينت مورد استحقاق العذاب انه في ظرف بعث الرسول وعصيانه ، فهنا استحقاق قاطع لعذاب الاخرى ، واستحقاق جائز لعذاب الأولى لا يتطلب إلا ارادة الإهلاك دون إمضاءه فتحقيقه ، ومما يوحي بذلك واو العطف في ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ حيث تعطف إرادة العذاب هذه الى بعث الرسول فعصيانه.

وارادة الله منها حتم ومنها دون ذلك ، فحتمها لا مردّ لها ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ (١٣ : ١١) ودونه فيه مرد وبداء وهي التي لم تكمل بعد معداتها ، ولا مرد في إرادة التكوين حيث هي حتم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٦ : ٨٢) وقد يكون مرد منه او تصبر حتى يحصل منجزاتها فيما دون هكذا تكوين كإهلاك قرية فاسقة لم تتم منجزات استئصالها كفسوق مترفيها عما أمروا به فيها.

فهنا إرادة للإهلاك بعدها تقدير لتحقيقها : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ فقضاء : ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ فإمضاء : ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ كما وقبلها مشية وعلم ، وقبل هذه المشية ايضا تقدير لها هو عصيان القرية للرسول حيث يتطلب عذابا محتوما في الأخرى وآخر غير محتوم في الأولى.

فقد علم الله ان اهل هذه القرية فسقت ومن ثم يفسق مترفوها إذا أمروا

فيها ، فشاء أن يهلكهم فأرادهم ، فقدر ما أراد بما أمر مترفيها ففسقوا فيها ، فقضى ما قدر بما حق عليها القول ، فأمضى ما قضى ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١).

وكما سئل الإمام الباقر «عليه السلام» كيف علم الله؟ قال : علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشية ، وبمشيته كانت الإرادة وإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدم على المشية والمشيئة ثانية ، والإرادة الثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء^(٢).

إنّ مشيئته تعالى هي همه بالشيء وهي ابتداء الفعل ، وإرادته هي إتمامه على المشية والثبوت عليها ، وتقديره هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ، وكما يروى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)^(٣) فلكل ارادة

(١) فلمشيئة العذاب وإرادته تقدير هو عصيان عامة القرية ، ولتحقق كلمة العذاب. تقدير هو ان يؤمر مترفوها فيفسقوا فيها.

(٢) التوحيد للصدوق رحمه الله.

(٣) محاسن البرقي عن أبي الحسن (عليه السلام) ليونس : لا تتكلم بالقدر ، قال : اني لا أتكلم بالقدر ولكن أقول : لا يكون الا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر فقال : ليس هكذا أقول ولكن أقول : لا يكون الا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ثم قال : أتدري ما المشيئة فقال : لا . فقال : همه بالشيء (ابتداء الفعل) او تدري ما أراد؟ قال : لا قال : إتمامه على المشيئة (الثبوت عليه) فقال او تدري ما قدر؟ قال : لا قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ثم قال : ان الله إذا شاء شيئاً اراده وإذا أراد قدره وإذا قدره قضاء وإذا قضاه أمضاه الحديث. ورواه مثله من «ان الله» في محاسن البرقي عن أبي عبد الله (عليه السلام).

وفي اصول الكافي ١ : ٤٨ ح ٣ عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن (عليه .

تقدير حتى تنتهي إلى إرادة محتومة فقضاء وإمضاء والقضاء هو حق القول : تحت كلمة العذاب ولم تكن قبل هذا التقدير محتومة وإنما جائزة^(١).

ثم الإرادة حتما ودونه هي صفة فعل حادثة وليست أزلية وكما في حوار الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي قال (عليه السلام): ألا تخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...﴾ يعني بذلك أنه يحدث إرادة؟ قال : نعم . قال : فإذا أحدث إرادة كان قولك : إن الإرادة هي هو أو شيء منه باطلا ، لأنه لا يكون ان يحدث نفسه ، ولا يتغير عن حاله تعالى الله عن ذلك! قال سليمان : إنه لم يكن عني بذلك أنه يحدث إرادة قال (عليه السلام) : فما عني به؟ قال : عني فعل الشيء ، قال (عليه السلام) : ويليكم كم تردد في هذه المسألة وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشيء محدث ، قال : فليس لها معنى! قال (عليه السلام) : قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له؟! فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم : إن الله عز وجل لم يزل مريدا! قال : إنما عنيت انما فعل من الله تعالى لم يزل ، قال (عليه السلام) : ألا تعلم ان ما لم يزل لا يكون مفعولا وقديما وحديثا

. (السلام) اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق؟ قال فقال : الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل واما من الله تعالى فأرادته احداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فارادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له : كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما انه لا كيف له.

أقول : يعني (عليه السلام) كما انه لا كيف لذاته كذلك لا كيف لفاعليته وان كان مفعوله مكيفا بكيف فانه فعله ، فأرادته من حيث هي لا كيف له كذاته ولكن مراده مكيف فافهم.

(١) ان كلمة العذاب هنا جائزة حين أراد الله إهلاك القرية ولكنها حقت حين فسق مترفوها.

في حالة واحدة؟ فلم يجر جواباً^(١).

٢. وترى ما هو الأمر هنا؟ وبماذا؟ ولماذا يخص متزفيها؟ : فان كان هناك شرع عم المتزفين وسواهم وإلا فلا أمر شرعياً للمتزفين؟! الأمر هنا كما في أضرايه تشريعي لا تكويني كما يهرفه من لا يعرف مواضيع الكلام^(٢) وهو أمر بالتقوى وترك الطغوى للمتزفين ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ : خرجوا عن الطاعة وخالفوا أمرنا ، فالنص «أمرنا ففسقوا» لا «أمرناهم بالفسق ففسقوا» وفسق الأمر هو عصيانه والتخلف عنه ، و ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ...﴾ (١٦ : ٩٠) ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ٢٩) فإنما ذلكم الشيطان ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ١٦٩) وما اقبحه واهرفه فرية على الرحمان بما يأمر به الشيطان^(٣)! وثم إذا كان أمرا بالفسق . عودا بالله . فليكن تطبيقه طاعة تستحق الثواب ، فلما ذا ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾؟ إذا فليس إلا فسقا عن أمر هام يتطلب هكذا تدمير!.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٥ في عيون اخبار الرضا في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي بعد كلام طول قال الرضا (عليه السلام) : ...

(٢) في امر التكوين تسييرا إجبار بالفسق وما أظلمه إذا تعذيب المتزفين بفسق اضطرهم الله فيه ، وامره تخييرا وهو الاذن في حصول الفسق كجزء أخير للعلة التامة الحاصل بعد ما قدم المختار كل اختياراته في عملية الفسق ، هذا وان كان صحيحا في نفسه ولكنه هنا لا يصح حيث يعم الفساق متزفين وسواهم دون اختصاص بالمتزفين.

(٣) وكيف يأمر الله بالفسق ، وثم إذا أطيع في امر الفسق يدمر ، وما ربك بظلام للعبيد.

وأما اختصاصه بالمترفين؟ فلان الأوامر تختلف حسب الظروف والقابليات والمتطلبات فردية وجماعية ، والمترفون وهم المتوسعون في نعمة حيث يبدلوها نعمة ونقمة ، في دولة او دولة ، في مال او منال في أنفس أو أموال أو احوال ، هؤلاء هم البغاة الطغاة في الأغلبية الساحقة ، فالأوامر المتجهة إليهم هي غير ما يوجه إلى غيرهم ، إذ لا يؤمر بشيء إلا من عنده ذلك الشيء وليس لغير المترفين ترف حتى يؤمروا في ترفهم سلبا لطغوى الترف وإيجابا لتقواه ، ففي ائتمارهم اعتمار القرى وتعميرها ، وفي فسقهم اضطرابها وتدميرها.

فالمترفون هم الذين وسع الله عليهم في نعم امتحانا وامتهانا إذ كذبوا بقاء الآخرة : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيعَادِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢٣ : ٣٣) فلا يترف في نعمة إلا من يتطرف في اللامبالاة ثم يزداد عتوا ونفورا : ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١ : ١١٦) كانوا قبل ان يترفوا مجرمين ، مجتنبين ثمرات الحياة الى الحيوانات فاتبعوا ما أترفوا فيه فكانوا أظلم وأطغى ، فهم الناكرون دوما للرسالات : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤ : ٣٤) ... ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٤٣ : ٢٤) ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ (٢٣ : ٦٤) فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ. لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَا كَيْكُم لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ (٢١ : ١٥).

٣. وترى هؤلاء المترفون يستحقون بفسقهم التدمير ، فما ذنب سائر اهل القرية يشملهم عذاب التدمير ، وهناك قرى يخص تدميرها بمتريها : ﴿... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١ : ١١٦)؟.

إن عذاب التدمير الاستئصال لا يشمل إلا الظالمين ، فإن كانوا مترفين فحق لهم أصليا ، وإن كانوا مستضعفين يفسحون مجالات لفسوق المترفين ، متخاذلين أمامهم ، لا يدافعون عن حقوقهم ولا يمسكون على أيديهم ، وبذلك يعم الفسق ، تحللا للقرية الظالمة بمترفيها وسائر من فيها ، وترهلا لها فتأهلا لعذاب شامل ، فليس المسؤول فيها هنا فقط المترفون ، بل والمستضعفون المتخاذلون حيث فسحوا مجالات لهم وتساحوا عما أترفوا وأفسدوا ... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٨ : ٥٣) وليس الله ليمنع المجرمين عما يجرمون والمستضعفون يسمحون لهم ويتساحون : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٢٨ : ٥٩) سواء أكانوا من أصول الظلم الطواغيت والأكابر المجرمين ، ام من فروعه المستضعفين ، حيث يتقبلون فيستقبلون الظلم فهم إذا ظالمو أنفسهم وسواهم : ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤٣ : ٨) ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ. فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٧ : ٥) ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ...﴾ (٢٢ : ٤٥) : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بَدُوءٍ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْيَةً آخَرِينَ﴾ (٦ : ٦) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾ (٢٠ : ١٣٤).

والرأس الرئيس في معارك الدمار هو فسق المترفين المبشرين : تكذيبا للرسول : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦ : ١٢٩) والإجرام الفاحش المتهدم : ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٤٤ : ٣٧) ولا سيما المتمكنين المسرفين : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ...﴾ (٦ : ٦) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ

وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلِكُنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٢١ : ٩﴾.

إذا فعذاب الاستئصال إنما يخص المترفين المبشرين إذا لم يسايرهم المستضعفون حيث يتشاركون أصلاً وهامشا في التخلف عن مواضيع من أوامر الرسالات الإلهية ، ما تتهدم به بنايات المجتمع وتنقسم به عراه ، فتدمر به قراه.

هذه سنة الله الدائبة السارية لسائر القرى أنها هالكة بما تهلك نفسها بالسبعة أبواب الجحيم التي يفتحها المترفون : استكبارا واستعمارا واستثمارا واستحمارا واستبدادا واستخفافا واستضعافا! ثم المستضعفون المترذلون يدخلون هذه الأبواب تحاذلا وتكاسلا فيحنون ظهورهم لهم ليحتنكوهم فيركبوههم وإلى جهنم وبئس المصير.

هكذا نتمشى في تفسير هذه الآية الغرة واضرابها كما تعنيها ، دونما تحميل عليها ما لا تتحملها من احتمالات : معنويا أو قراءة تختلف عن هذه المتواترة في كتب القرآن ، كأن يبدل أمرها بتأمرها «أمرنا» ^(١) فرارا عن أمره تعالى . في زعمهم . بالفسق إلى تأميره الفساق ، ك ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦ : ١٢٣).

ام ان ﴿أَمْرُنَا مُتْرَفِيهَا﴾ هي صفة القرية وصلتها ، لا جوابا ل ﴿إِذَا

(١) كما في نور الثقلين ٣ : ١٤٥ . العياشي عن حمزان عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية : أمرنا مترفيها مشددة منصوبة تفسرها كثرنا وقال : لا قرأتها مخففة وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) قال : تفسرها أمرنا أكابرها ، وفيه عن المجمع أمرنا بالمد عن علي (عليه السلام).
أقول : في تعارض الروايتين تساقطهما ، وفي إرجاعهما إلى كتاب الله تصديق للثانية ثم تكذيب للثالثة ، إضافة إلى ان التأمير جعل للأمير وليس للتكثير!.

أَرَدْنَا ﴿كَمَا مَضَى ، فَتَبَقَى «إِذَا» إِذْنٌ بِلَا جَوَابٍ حَاضِرٍ ، لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ بِنَفْسِ الْكَلَامِ :
﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١).

أو ان «أمرنا» تكويني بحيث لا ينافي الاختيار ، إذنا وإرادة من الله في فسق المترفين كجزء أخير للعللة التامة بعد توفر الإختيار لمعدات الفسق المختار^(٢).

وهذه كلها من غثها وسمينها في نفسها ليست الآية لتعنيها ، فالقرآن حمال ذو وجوه فاحملوها الى احسن الوجوه ، وأحسنها ما يحملها دون تحميل كما أحسنه ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، دون الأمر التكويني الذي يسير المترفين الى الفسوق دونما اختيار ، ولكن الأول هو الأول فانه احسن الوجوه لفظيا ومعنويا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(١٧).

القرن زمنيا أجزاء من الزمان مقتزنة ببعض اعتبارا كمائة سنة ، وحقيقة كسائر الزمن يوم الدنيا ثم البرزخ ثم الآخرة ، ومن حيث الأنفس : القوم المقتزنون في زمن واحد ، وعل وحدة الزمن هنا تعني الوحدة النوعية ، وقرن زماني هو الأكثر لبقاء نسل يخلفه آخرون.

وهنا قرون هالكة بما أهلكت حيويتها ، وفسحت مجالات المترفين المتزهدين فيها ، هلكة عن هلكة طبقا عن طبق ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾! سنة مضت في الأولين من بعد نوح قرونا تترى ، في ذنوب وتبعات لتخلفاتهم التي

(١) والمعنى إذا : إذا أردنا ان نهلك قرية من صفتها وحالتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها . فدمرناها تدميرا ، والجواب المدلول عليه هذه دون «فاء» : دمرناها تدميرا.

(٢) حيث الأمر ظاهر في التشريعي وهكذا تكويني وان كان في نفسه صحيحا ولكنه يعم عموم الأفعال خيرا وشرا دون خصوص الأشرار المترفين.

لا تتحملها الحياة الإنسانية فيجب القضاء عليها بقسطاس العدل يوم الدنيا قبل الاخرى ، ولكي تصلح الحياة في تداومها ، وتسمح للأحياء أن يمشوا سويا على صراط مستقيم .

وترى لماذا ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾؟ وقد هلكت البشرية الخاطئة النكدة زمنه! أو تهلك قرى قبله لكي تختص الهلكات من بعده؟

﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ حيث تعني من بعد قرن نوح ، توحى ان قرنه هو أول القرون هالكا ، كما هو أهمها وأعمها للهلاك ملاكا : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ... فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ (٢٣ : ٤٥) : آيات ترى في عرض قرون هالكة من قرن نوح الى موسى ، تطوي هلكاتها بطياتها طيا ، ثم لا نجد في القرآن آية تتحدث عن قرن هالك منذ آدم حتى نوح ، وعله لأن البعثات الأصلية الرسالية آخذة منذ نوح ، فلم تكن قوة في بعثة قبله حيث ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ...﴾ (٢ : ٢١٣) فكانت البشرية في الفترة السابقة ، على سداجة الفطرة المتأيدة بعقلية الوحي من غير اولى العزم من الرسل كآدم ومن قبل نوح من المرسلين فلم تستحق إذا ما استحقته القرون منذ نوح ، إذ لم تفعل . ولم تكن لتفعل . فعلتهم ، ولم تكن حجتهم كحجتهم .

إن القرون الهالكة من بعد نوح مستعرضة في القرآن بتفاصيلها الأصلية كعاد وشمود وتبع وأصحاب الأيكة وقوم فرعون وأصحاب الرس وقرون بين

ذلك كثير ، وقد تستحق الهلاك قرون بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا عصوا هكذا ولم يستغفروا ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨ : ٣٣).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨).

العاجلة هنا هي الحياة العاجلة الدنيا وزينتها بحيواناتها وشهواتها : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ (١١ : ١٨) وتقابلها الآجلة الاخرى ، و ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ هو المتداوم في هذه الإرادة البئيسة التعيسة حيث يحب العاجلة فيرفض كرها الآجلة : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٧٦ : ٢٧) ﴿كَأَلَّا بَلَّ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٧٥ : ٢١).

١ . فحب العاجلة حيث يتم في القلب فيطمه دون إبقاء لحب الآجلة ، هذا الحب الحاصر يخلف إرادة حاصرة للعاجلة ، فلا محاولة إلا لها ، ولا تفكير ولا سعي إلا إليها ، كأن لا حياة إلا هيه ، فله في الآجلة نار حامية : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ !

٢ . وهناك مريدون للعاجلة كذريعة للآجلة ، وهذه إرادة للآجلة لا العاجلة.

٣ . ثم ومريدون للآجلة تاركين للعاجلة حتى كذريعة ، والدنيا مزرعة الآخرة! وكلما توفرت الزراعة خلفت وفرا للنتيجة ، فهذه . إذا . إرادة ناقصة جاهلة للآجلة.

٤ . ورابعة لا للعاجلة فقط ولا للآجلة ، مذبذبين بين ذلك في مثلث : من . ٤ .

عوان بينهما ، او ترجيح لإحدهما على الاخرى (٥ . ٦).

فرق ست بين العاجلة والآجلة لا سابع لها خلوا عن أية إرادة ، حيث المرید لا یخلو عن أية إرادة ، اللهم إلا ميتا لا حياة له! ومرید عمل الآخرة للدنيا ليس إلا مرید الدنيا ^(١).

وآية العاجلة المهتدة بصلي جهنم إنما تعني الأولين حيث يختصون همهم بالحياة العاجلة ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣٠ : ٧) ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّٰ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَىٰ﴾ (٥٣ : ٣٢) ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١ : ١٨) ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (٤٢ : ٢٠).

وترى إن مرید العاجلة يؤتاها كما يريد وكيفما يريد ، إن بعمل أو دون عمل؟ إذا لفست الأرض حيث الارادة الخاطئة هذه لا حد لها ، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؟ كلا! وإنما ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ لا ما يشاء ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ لا لمن يريد ... و ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ لا «إرادتهم فيها» و ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ لا «نؤته إياها»!

(١) فمن يريد عمل الآخرة للدنيا فهو لا يريد . في الحق . الآخرة وإنما صورة الآخرة في سيرة الدنيا للدنيا ، إذا فهو ممن كان يريد العاجلة وأضل سبيلا ممن لا يتظاهر بالآخرة.

وفي نور الثقلين ٣ : ١٤٥ ح ١١٤ مجمع البيان وروى ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لا يريد وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك ان الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه.

فما كل من يريد العاجلة يؤتاها ، فقد يريد لها ولا يؤتاها خسرانا للأولى والأخرى
﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٢٢ : ١١).

وما كل من يؤتى يؤتى ما يشاء وإنما «ما نشاء» حسب المساعي لها والمصالح النوعية
فيما يؤتاها : ﴿تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾.

وترى إن بين آية البخس وآية العاجلة تهاوتا فيمن لا يشاء الله أن يعجل له ما يريد؟
حيث الأولى توفي لمريد الدنيا أعمالهم فيها دون بخس وآية العاجلة لا تعجل ما يريد منها إلا
من يشاء الله كما يشاء؟

أقول كلا! حيث التوفية في آية البخس للأعمال فقط لا كل ما يريد أهل الدنيا منها
وإن دون عمل ، وآية العاجلة تعجل ما يشاء الله لمن يريد : ولا يشاء هذا التعجيل إلا
للساعي لها قدر سعيه ، ثم لا يعجل لكل ساع اللهم إلا من يريد ، فمن الساعين من يحرمه
الله بعض سعيه أو كله لأن سعيه إلى الفساد حيث لا يحتمله المجتمع ، وعدم بخسهم أعمالهم
فيها محدد شيئا ما بما إذا لم تكن في توفية عمل ما بخس على الآخرين ، فأية البخس تحدّد
التوفية بما يسعى ، وآية العاجلة تعجل قدر السعي كما يقتضيه العدل ، إذا فها متجاوبتان.

فطالب الدنيا يؤتاها بسعيه وقد ينقص أو يزيد عدلا وحكمة ، دون فرق بين ناكِر
الله ومصدقه : ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ. وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا
كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢ : ١٩٩).

فالطالب حسنة الدنيا طالب للآخرة ، وطالب الدنيا ومريدها للدنيا ما له في الآخرة من خلاق ، كما وان طالب الدنيا بعمل الآخرة ماله من خلاق .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.

هنا لك في النار من يصلاها خالدين فيها ابدا وهناك من يصطلي بها دون أبد ، وسوف يفنى من يصلاها بفناء النار فلا تبقى إذا لا نار ولا أهل نار ، ومن يصطلي بها خلودا دون أبد يخرج عنها بعد ما ذاق وبال أمره جزاء وفاقا .

فصلي النار إنما هو إيقادها ممن هم حصب جهنم ووقود النار ^(١) ، لا كل داخل فيها خلودا مؤبدا أم ماذا؟

ومصلي النار قد يكون ألده الكفار كما هنا ، وقد يكون ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦٦ : ٦) يصلون النار بحطبها ووقودها الكفار ، فالأول يصلاها مذموما مدحورا ، والثاني يصلاها ممدوحا محبورا!

لا نجد في سائر القرآن من يصلي النار إلا ألد الكفار : ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٩٢ : ١٥) ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (٨٨ : ٢٢) ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ هَبٍ﴾ (١١١ : ٣) اجل إنهم صلي الجحيم وحصبها : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ...﴾ (٢١ : ٩١) وحطبها : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (٧٢ : ١٥) ووقودها : ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (٣ : ١٠) .

(١) لسان العرب الصلاة والصلى اسم للوقود تقول : صلي النار ، واصطلي بالنار استدفاً .

هؤلاء هم أسس النار ثم سائر أهل النار يصطلون بصلاحهم ويئس المصير كما أراد موسى أن يصطلي أهله بقبس مما ظنه نارا ونعم المصير : ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٧ : ٧) ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٨ : ٢٩).

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩). ترى ما هو الفارق بين ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ . ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ ولماذا تقيّد إرادة الآخرة بـ ﴿سَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ دون إرادة العاجلة؟.

إن ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ توحى باستمرار كينونة الإرادة ، وهؤلاء هم صالوا النار مدحورين ، وأما «من أراد العاجلة» فقد ينجو بما يتوب قبل الموت ، او إذا لم يتب فإرادة العاجلة دونما استمرار تجمع إرادة الآجلة ﴿وَأَخْرُوزَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ...﴾ (٩ : ١٠٢).

واما ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ فهي وإن كانت لا توحى باستمرار هنا ، إلا ان ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تصرّحتان بهذا الاستمرار ، وكما توحى له ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٤٢ : ٢٠).

وقد تعني ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ...﴾ شمولها لمن أرادها آخر حياته أن يريد لها ويسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فهو ايضا مشكور سعيه قدر سعيه وإيمانه.

فالسعي المشكور في الأخرى تتبناه إرادة الآخرة في الاولى وأن يسعى

لها سعيها وهو مؤمن ، فمن أرادها دون أن يسعى لها سعيها وإن كان مؤمناً ، أو أرادها ساعياً هكذا دون إيمان ، أم أيا كان دون هذه الدعائم الثلاث ، لم يكن سعيه مشكوراً إذا كان له سعي دون شروط ، فكيف إذا لم يكن له سعي.

وقد يجمع هذه الثلاث قول الصادق (عليه السلام) «لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بالنية ولا قول ولا عمل إلا باصابة السنة»^(١).

ثم الشاكر لهذا السعي المشكور هو الله تعالى شأنه العزيز ، ولا يعني شكره لساعي الآخرة جزاء عما قدم لصالح الربوبية : ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِيَّ عَنِّي كَرْيَمٌ﴾ (٢٧ : ٤٠) وانما ﴿نِعْمَةٌ مِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٥٤ : ٣٥) ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٧٦ : ٢٢) ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (٤ : ٤٧) ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٥ : ٣٠) يعاملهم معاملة المستأجر الشكور ولا يرجع الشاكر بشكره الى صالحه.

فقد يريد مرید الآخرة دون إيمان صالح ، أن يسعى لها سعيها في تقديره المتخلف عن تقدير الإيمان ، أو هو مؤمن صالح في عقيدة الإيمان ولكنه لا يسعى للآخرة سعيها الصالح لها حيث يتخلف عمل عن إيمان ، أو أنه مؤمن يسعى لها سعيها كقالب يخطئ ارادة الآخرة حيث يريد الدنيا كلاً أو بعضاً بسعي الإيمان ، ام إنه يخطئ أو يتعمد ترك أو تكميل قاعدة واحدة ام ماذا من هذه الثلاث ، فأولئك لم يكن سعيهم مشكوراً ، وإن كانوا . أحياناً . لا يجرمون عن شكور على غرار ما سعوا وما كان عطاء ربك محظوراً.

(١) اصول الكافي باب العلم.

ف ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ إرادة خالصة صادقة فعليه أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن ، حيث الإرادة دون سعي ، أو سعي لا يناسبها ، إنها ليست إرادة ، فانما هو تمّن دون أسباب صالحة تحققه ، فالإرادة الصادقة تحمل من يحملها على أداء تكاليفها والنهوض بتبعاتها وإقامة سعيها كما تطلبها ، دون ان تحرمه من لذائذ الدنيا اللهم إلا من هزأها ، فانما تمده إرادته الصادقة للآخرة الى آفاق أعلى وأغوار من يم الكون تتم وتطم في استخلاصه عن هزأها الدنيا وكما عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «جزناها وهي خامدة»!. «ومن أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدنيا»^(١).

﴿كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠).

«نمد» من الإمداد وأغلبه في المحبوب : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٢ : ٢٢) والمد في المكروه : ﴿وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٣ : ١٥) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٧ : ١٠٢) فقد تكون «نمد» هنا جمعا بينهما بتغليب الإمداد ، أو انه الإمداد فقط مع اختلاف المحبوب ، فحب الدنيا ظرف للمد واقعيا وللإمداد كما يريد أهلكها ، وحب الآخرة ظرف للإمداد واقعيا وكما يريد أهلكها.

«كلّا» ممن يريد العاجلة والآجلة «نمد» : نعينه ونزيد له كما يريد ويعمل لعاجلة ام آجلة زيادة على ما يعمل ويأمل سواء «هؤلاء» المريدين للعاجلة ام «هؤلاء» المريدين المؤمنين الساعين للآجلة ، وهذا الإمداد ليس استحقاقا مطلوباً لأهلكه ، وإنما ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فنعمة الدنيا هي عطيته كما نعمات الآخرة هي عطيته واين عطية من عطية!

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٦ ح ١١٥ .

ولماذا يمد أهل العاجلة؟ لأنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ومريد العاجلة يؤتاها وافية كما يسعها ، وليس الله بمانع يحظر أهل الشر تكوينيا عما يريدونه من الشر ، كما لا يخطر . وبأحرى . أهل الخير فهذه سنته الدائمة : ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾!

عطاء هي محبورة غير محظورة أيا كان ، ولكنها الجزاء هي في العصيان عدل جزاء الوفاق ، إذا فالعذاب محدود بحدود العصيان ، وهي في الطاعة لا مقطوعة ولا ممنوعة عطاء غير مجذوذ ، إذا فالثواب غير محدود قدرا وزمنا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

ليس ان الله يمنع أهل الآخرة من عطاء الدنيا أن يخصها أهل الدنيا ، وانما يعطي هؤلاء وهؤلاء وإن اختلفا في ابتغائها لعاجلة فالى نار ، ام لأجلة فالى جنة ، ولكنه لا يعطي أهل الآخرة في الأكثر كثيرا من نعم الدنيا كيلا ينغمسوا فيها غافلين.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١).

فضلنا مريدي الآخرة على مريدي الدنيا ، دون فوضى ، وانما كلا حسب ما أراد وسعى ، فطالب الفضيلة فضلناه على طالب الرذيلة ، ومهما كانت للدنيا درجات الشهوات والحيوانات ف ﴿لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ بل ليست درجات الدنيا بجنب الاخرى إلا دركات تخلف في الاخرى دركات : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (٢٠ : ١٢٦)

مشكلة الخلود : (١).

إن الخلود أو الأبدى منه لمن يصلى النار الكبرى قد يفسر بالبقاء اللانهائي الحقيقي في النار ، فتد عليه مشاكل عقلية ومن حيث العدالة الإلهية ، وانه يسبق رحمته غضبه أم ماذا.

فالمشكلة العقلية هي أن ماله بداية لا بد له من نهاية ، والخلود أيا كان هو امتداد تركيبي من أجزاء الزمان ، وكما الأجزاء هذه محدودة فالخلود المركب من المحدود لا محالة محدود ، ثم وإذا لم تكن لهذا الخلود نهاية فتلك الزيادة أو النقصان من بدايته لا تزيد ولا تنقص من الخلود لأنه لا محدود ، واللامحدود لا يقبل لا زيادة ولا نقصان ، فلا خلود . إذا . لا نهائيا ، لا في الجنة ولا في النار!

والجواب الحاسم لهذه المشكلة هو أن الذي لا يقبل زيادة ولا نقصان هو اللامحدود المطلق وليس إلا الله تعالى شأنه ، فلا أول له ولا آخر حتى يحد بأول أو آخر ، ولا يقبل كيانه لا زيادة الزمان ولا نقيصته لأنه خارج عن محور الزمان.

واللامحدودية المطلقة هي لزوم الأزلية التي لزامها الأبدية حيث الأزلية ليست إلا ذاتية إذا فهي تلازم الأبدية الذاتية ، وأما الأبدية فهي بين ذاتية هي استمرار ذاتي للأزلية وغيرية هي استمرار بإرادة الأزلي.

هنا محدودية مطلقة كالاعمار في الدنيا والبرزخ فان لها بداية ونهاية ، وهنا لك لا محدودية مطلقة كما هو لله تعالى شأنه لا سواه وبينهما لا محدودية نهائية في حد بدائي ، أم بدائية في حد نهائي . في امتداد فعلي حاصل ، او

(١) لقد فصلنا البحث عن الخلود في هذا التفسير ج ٣٠ ص ٤١ - ١٥ وفي «عقائدنا» ص ٣٠٦ - ٣٢٢.

امتداد شاني تحصل أجزاءه تلو بعض.

والمستحيل من هذه الأربع ثلاث : هي اللامحدودية في الامتداد الفعلي الحاصل بداية او نهاية للمشكلة الماضية ، وكذلك في الامتداد الشأني بداية ، دون الشأني نهاية ، والخلود اللانهائي في الجنة او النار شأني يتدرج دون نهاية ، فهو محدود بداية ولا محدود نهاية ، فالبداية بفعل الله ، واللانهاية ايضا بفعل الله ، وليس هنا ما يمنع عقليا هذه اللانهاية لا فاعلا ولا قابلا ، فالله تعالى هو المعطي عطاء غير مجذوذ ولا راد لفضله ، ولا نهاية لعطاءه ، والأزمنة الآتية الى غير النهاية هي كالسافة كلها بإرادة الله ، ولا مانع في هذا البين من هذه العطاء غير المجذوذ لا فاعلا ولا قابلا.

إنه لا مشكلة عقليا في مثل هذه اللانهاية ولكنها مستحيلة في العذاب بميزان العدل والنقل القرآني ومن ثم بمقتضى الرحمة الإلهية.

إن الجزاء الوفاق لا توافق اللانهاية في العذاب لعصيان محدود في زمن محدود من عاص محدود وفي أثر محدود ، ولبث الأحقاب حيث اعتبر الجزاء الوفاق للطاغين برهان لا مرد له على حد العذاب ، وكما الآيات في أن الجزاء هي العمل ^(١) او بالعمل ^(٢) تحدّد العذاب بقدر العمل ، لا أكثر من العمل وإن كانت آيات الثواب تربي الجزاء على العمل تتخطاه الى نية الخير ايضا.

وقد تزعم دلالة الآيات التالية على اللانهاية الحقيقية في العذاب : ١ ﴿لَمْ يَلَمْ يَمُوتْ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٨٧ : ١٣)؟ ولكنها لا تنفي موت الخالدين إلا في النار وهنا لك موت مع النار أو بعد النار لا ينفيان. والآية تدل على

(١) «إِنَّمَا يُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥٢ : ١٦).

(٢) «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» (٤ : ١٢٣).

المساوات بين حياة النار والآبدية في النار! فكما أنها تلائم الابدية اللانهائية كذلك تلائم المحدودة ان تنفي النار بمن في النار مع النار ، لا سابقا عليها حتى تنافي ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾.

٢. وكذلك ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (٣٥ : ٣٦)

ف «لا يقضى» إنما تنفي الموت في النار الا يعذبوا بأن يموتوا مع بقاء النار! «ولا يخفف» تنفي تخفيف العذاب ما داموا ودامت النار ، ولا تنفي موتهم مع خمود النار.

٣. كذلك ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (٤ : ١٢١) اي : محيدا ومفرا ، ولا فرار عن

النار إلا مع بقاءها ، وأما ان يموت أهل النار مع خمود النار فليس محيصا عن النار ، وإنما هو مع بقاءهم وبقاء النار ونجاتهم حينذاك عن النار.

٤. كذلك ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

(٢٢ : ٢٢) والخروج عن النار حيث يعني بقاءه خارج النار مع بقاء النار ، انه غير الموت مع خمود النار.

٥. كذلك ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ

... وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ (٤٣ : ٧٧) حيث الإبلas هو

الحزن المعترض من شدة البأس إذ لا يفتّر عنهم العذاب والمكث هو المقام قدر الاستحقاق ، وتفتّر العذاب منفي ما دام العذاب دون دلالة على الاستمرارية اللانهائية للعذاب.

٦. وكذلك : ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٢ : ١٦٧) إذ لا ينافية موتهم في النار

مع خمود النار ، فلا هم خارجون إذا عن النار ولا أحياء بعد خمود النار.

ثم هنالك احتمالان : ١ . فناء من في النار مع النار فلا نار إذا ولا اهل نار . ٢ . فناء النار وبقاء من فيها دون رحمة ولا عذاب وان في فترة قصيرة ، وإذ تصرح آيات أنه لا يفتّر عنهم العذاب فبأحرى لا ينفي عنهم سواء مع بقاء النار أم فناءها ، فلا نحتمل إذا إلا فناء النار بمن فيها على سواء ، يثبت له لزوم انتهاء العذاب وعدم خروجهم عن النار ألا عذابا عنهم.

٧ . وكذلك : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٤ : ٥٦) ف «كلما ، لا تدل على استمرارية العذاب اللانهائية ، وإنما التبديل هو ما دام النضج ، وأما حتى متى يدوم النضج فلا دلالة فيها على أمده من أبدية حقيقية اما هيه.

٨ . وكذلك : ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٧٤ : ٢٨) فإنها ما تبقى ويبقى فيها من يصلى . طبعاً . لا تبقى من يصلها حيا مرتاحا حيث تظلم عليه حياته ولا تذر ، فلا يموت فيها ولا يحيى.

٩ . وكذلك ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ٨٠) حيث الأيام المعدودة المكذوبة هنا ليست هي مطلق المحدودة ، وإنما القليلة التي يعدونها شهرا أو سنة ام ماذا ، فليست ايام عذابهم معدودة كما يزعمون وإنما هم مع أحزابهم فيها خالدون : ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢ : ٨١) ثم وعدم مسيس النار إلا أياما معدودة يوحي ببقاء النار . في زعمهم . وهي لا تمسهم بعد أيام معدودة بأن يخرجوا عنها ، أو لا يعذبوا بعد وان ظلوا هم فيها.

١٠ . وكذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ...﴾ (١١ : ١٦) حيث

الحصر ليس حقيقيا ينفي عنهم كل شيء حتى الموت ،

انه نسبي بين الجنة والنار فليس لهم في الآخرة الا النار ، فلا ينافيه فناءهم بفناء النار .

١١ . وكذلك ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (١٧ : ٩٧) فإن خباء النار ليس خمودها وإنما هي سكون لهبها بغطاء الرماد وغشائه ، وأما أنها لا تحمد مع موت من فيها فلا إشارة لها .

١٢ . وكذلك ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٢٥ : ٦٥) يعني لازما ولا يعني غرام العذاب إلا عدم انفكاكه عن أهل النار ، دون دلالة على الابدية اللانهائية . وإنما عدم انفكاكه عنهم وهم أحياء فيها أم خارجون عنها .

هذه تمام الآيات التي قد يظن دلالتها على الابدية اللانهائية في النار ولا دلالة فيها ولا اشارة ، ثم ادلة العقل والعدل والآيات في تسوية العقاب والعصيان وآية الاحقاب ام ماذا؟ كل ذلك تحدد أمد العذاب وتفسر ابد العذاب ، ثم ولا يصغى الى أحاديث مختلقة هنا تخالف هذه البراهين ^(١) .

(١) البحار ٨ : ٣٤٦ في الصادقي انه بلغنا انه يأتي على جهنم حين يصطفق أبوابها فقال لا والله انه الخلود ، قلت : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ، فقال : هذه في الذين يخرجون من النار . وفي العلل (١٧٧) عنه (عليه السلام) سئل عن الخلود في الجنة والنار فقال : انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها ان يعصوا الله ابدا ما بقوا فالتنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى : قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته . وروى فضالة عن عمر بن ابان قال سمعت عبدا صالحا يقول في الجهنميين انهم يدخلون النار بذنوبهم ويخرجون بعفو الله .

وفي التوحيد للصدوق عن الصادق (عليه السلام) عن آباءه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : جاء يهودي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسئل عنه يا محمد! ان كان ربك لا يظلم فكيف يخلد في النار ابد الأبد من لم يعصه الا أياما معدودة؟ قال : يخلده على نيته فمن علم ان نيته إنه لو بقي في الدنيا الى انقضاءها كان يعصي الله عز .

ولو ان الخلود يعني البقاء دون زوال ، فلان آيات الخلود انما تدل على الخلود في النار
لا خلود النار ، فلا دلالة فيها الا على الخلود فيها ما دامت

. وجل خلوده في ناره على نيته ونيته في ذلك شر من عمله الى ان قال : والله عز وجل يقول : قُلْ كُلُّ
يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُئُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (لتوحيد باب الأطفال ص ٣٩١).
أقول : ان النية التي تتبع العقيدة او العمل فالجزاء باعتبارهما لا النية واما النية الخالية عن العمل ففي
خيرها ثواب وليس في شرها عقاب.

هنا نية وعقيدة وعمل ، والعمل مرتبط بالعقيدة والنية ، واما النية بلا عمل فلا عقاب عليها وان كان
فيها ثواب ولا نجد في القرآن سببا للثواب او العقاب الا الايمان والعمل الصالح والكفر والعمل غير الصالح ، ومجال
النية انما هو العمل لا غير.

وفي ج ٢ علم اليقين للفيض الكاشاني ص ١٠٨٢ عن البخاري تفسير سورة مريم ج ٦ ص ١١٨
والمسند ج ٣ ص ٩ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فينادى فيقال :
يا اهل الجنة هل تعرفون الموت فينظرونه فيعرفونه فيقال لأهل النار : تعرفون الموت فينظرونه ويعرفونه فيذبح بين
الجنة والنار ثم يقال : يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت فذلك قوله عز وجل : ﴿وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ، وعن الباقر (عليه السلام) ما يقرب منه (البحار ج ٨ باب ذكر الموت).

قال الفيض : لا خلاف بين اهل العلم ان الكفار مخلدون في النار الى ما لا نهاية له كما هو ظاهر
الكتاب والسنة.

وفيه ما رواه العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها
الجرجير وفي المحاسن (٥١٨) نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الجرجير فقال : كأني انظر الى بيته في
النار.

وفي التوحيد (٤٠٦) عن الصادق (عليه السلام) من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن أوعده
على عمل عقابا فهو فيه بالخيار.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة فجعل في
الأرض منها رحمة بما تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض والطير وأخر تسعة وتسعين الى يوم
القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة (ابن ماجه كتاب الزهد الباب ٣٥ ج ٢ ص ١٤٣٥).

موجودة فلا تنافي فنائمهم بفناء النار!.

وقد يقال إن العصيان من حيث المعصي اللامحدود في العظمة والكمال لا حد له
فجزاءه الوفاق ايضا لا حد له!

ولكنما العصيان له وجهات ثلاث : من حيث العاصي ، ظرفا ومحتدا عائقا ودافعا أم
ماذا ومن حيث نفسه أثرا سيئا ، ومن حيث المعصي ، والمقياس في العقوبة إنما هو موقف
العاصي بأثر عصيانه ، فإنه قضية العدل أن يعدل العصيان بالعاصي المتناهي لا المعصي غير
المتناهي ، فان رعاية الضعيف فيما له مقاييس أولى من رعاية القوي ، على ان درجة المعصي
ليست باختيار العاصي ولا انه يلاحظ ويواجه هذه الدرجة لكي تزيد في عقابه. ثم لو كان
المقياس هو المعصي لا صبحت جميع المعاصي كبيرة دون أية صغيرة ، ولبطلت الحدود
والديات والتعزيرات المقررة لحدود الجنايات ومواقف الجنات ، ولأصبح كافة العصاة مخلدين
في النار أبدا على سواء.

ثم إذا شككنا في المقياس فلا لنا أن نأخذ بالأشد عقوبة والقرآن يحدد العقوبات على
قدر السيئات : ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (٤٢ : ٤٠) مماثلة بين نفس السيئة وجزاءها ، لا
بين المعصي فيها وجزاءها ، وهذه المماثلة مستحيلة فان الله تعالى سرمدي وسرمدية العذاب
مستحيلة وإن أمكنت أبديتها اللانهائية.

كلّا! وانما مماثلة بين السيئة والعقوبة : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ (٦ : ١٦٠) وما أظلمه من يقيس عصيانه بنفسه وهو أعلى دون العاصي وهو
أدنى!

ثم الآيات في أن الجزاء هو العمل او بما يعمل يحدد موقف العقوبة أنها على حد
العمل لا المعصي : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٦ : ٧) ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ (٢٧ : ٩٠) ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ

تَكْسِبُونَ ﴿١٠ : ٥٢﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٦ : ٥٤) ومماثل المحدود عاملا وأثرا ليس إلا محدودا ، وإلا فلا مماثلة إذا كان المعصي هو المقياس! بل وجزاء سيئة بعضها أو نصفها! ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٦ : ١٣٨) والاستثناء بالمشية هنا ليس كما في آية البرزخ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ ... خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ حتى يقال إن خلودها بذاته منقطع! وعلّ هذه المشية هي مشية الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء حيث تشمل المخلدين في النار تخفيفا عن عذابهم أجمع والآيات النافية للتخفيف إنما تنفيه بعد هذا التخفيف!.

فناء النار بمن في النار :

ومما يؤيد فناء النار أنها من موجبات غضب الله وقد «سبقت رحمته غضبه» «ولذلك» : الرحمة «خلقهم» لا للعذاب ، فالرحمة هي المقصودة في الأصل ، والعذاب ليس إلا تطبيقا للعدل ، فلو لا أن ترك العذاب للعاصين ترك للعدل بين العباد لما كان العذاب صوابا ، إذا فالرحمة لا محدودة والعذاب محدود.

ثم من الرحمة ما هي مكتوبة وما هي راجحة غير مكتوبة : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (٧ : ١٥٦) فلتشمل أهل النار فضلا منه حيث وسعت رحمته كل شيء حتى ولو كانت اللانهاية في العذاب حقا عليهم عدلا ، كيف لا وهي ظلم! وقد يكفي فرقا بين فريقَي المسلمين والمجرمين قليل من العذاب ثم الإفناء ، فهلا يكفي أبد النار كما يستحقونها دون زيادة ولا نقصان :

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٦٨ : ٣٥) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (٣٢ : ١٨) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٣٨ : ٢٨) فللعذاب موجبان : ١ . عدم التسوية بين المحسن والمسيء ولا سيما الانتقام من الظالم للمظلوم فان تركه الى تركه بدون ثواب ولا عقاب عذاب روحي للمظلوم والأصل العقلي في لزوم المعاد هو الانتقام من الظالمين. ٢ . لو لم يكن عذاب لازداد العصيان حيث الاكثرية من تاركي العصيان انما يتركونه خوف العقاب ووعد العذاب دون واقعه كذب وإغراء!

ثم الله ليس يعامل خلقه الا بفضله دون عدله ، لذلك يقرر جزاء الحسنة عشر أمثالها ، ويدخل المطيعين جنة بفضله ، فليشمل فضله اهل النار ان يعذبهم دون استحقاقهم ، ام ولا اقل بعدله ان يجازيهم جزاء وفاقا واما الالاهاية في العذاب فهي نائية عن العدل الى أقبح الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾!

ومن ثم إذا يأمرنا بالعفو بدل الانتقام ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٢ : ٢٣٧) فهل يعامل هو عبيده الضعفاء بأكثر من الانتقام الذي لا مثيل له بين الظالمين من عباده؟! كل ذلك يفرض أخيرا فناء النار بمن في النار ممن يصلونها. فلا نار إذا ولا أهل نار! وخلاصة القول حول الخالدين في النار أن حد الخلود هو قضية ١ . عدل الله ، ٢ . ورحمته التي وسعت كل شيء وقد سبقت رحمته غضبه ٣ . وجزاء سيئة سيئة مثلها ولا مماثلة بين المحدود واللامحدود. ٤ . وان الجزاء انما هو

بالأعمال وهي محدودة فالجزاء محدود ٥ . وأنهم لا يثنى فيها أحقابا جزاء وفاقا ، وأقل الحقب سنة وأكثره ثمانون . ٦ . ونفس الخلود تقيد في : ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٦ : ١٣٨) ثم ولا دلالة ولا إشارة في القرآن أن أبد الخلود لا نهاية له إطلاقا.

وأما بالنسبة للجنة فأبدها لا نهاية له فانها قضية الرحمة الواسعة فلا تحد ، وإنها عطاء غير مجدوز ، وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الأعين.

وقد يقال أو ما يكفي العصاة أن لا ثواب لهم ولا عذاب ، والجواب : إذا انقطع الإنذار ، وفي ترك جزاء الظالم ظلم على المظلومين فليكن عذاب.

والقول ان الآبدى في النار ذاتيتهم هي النار فهم إذا لزم النار دون فكاك ، مردود أولا ان الذاتية النارية لا تحكم بالالانهاية فيها وانما تحكم بأنها تحرق ما دامت موجودة ، ولكن العدل الإلهي يحكم بلزوم إفناء الذاتيات النارية بعد ما ذاقت وبال أمرها ، ولا تتصور الالانهاية في الذات المحدودة.

فخروج هذه الذات النارية عن النار أو خروج النار عنها . صدقنا أنه تنافي هذه الذاتية ، وأما فناء الذات فهي لا تنافي هذه الذاتية وانما تنافي الابدية الذاتية وهي السرمدية.

والقول إن الكتاب نص في الخلود وارد ، ولكن الخلود ليس نصا فيما يعنونه من الخلود وهو العذاب الالانهاية ، وادعاء كون ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ نصا في هكذا خلود نص في عدم التفكير في الآية ، وأما ان سنة

اهل البيت (عليهم السلام) مستفيضة فيه فلا نرى إلا حديثا او حديثين تخالف الكتاب.
واما ان الهيات التي رسخت في النفس حتى صارت صورا أو كالصور الجديدة تعطي
للشيء نوعية جديدة ، هي مجردة في نفسها دائمية الوجود من غير زوال مثل المبتلى بالجنون
فإنه مستمر له لا يزول؟ فلا مجرد في الكون إلا الله ، والذاتية المجردة . على صحتها . لا
تستدعي اللانهاية.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّنِي
صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)
وَأَتِذَا الْقُرُوبِ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ تَبْدِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءً

رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
 إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا
 (٣٨) ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا
 مَذْحُورًا ﴿٣٩﴾

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢).

قاحل يخلف اللوم والحسر.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّنِي صَغِيرًا* رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥)

آيات تجمع بين الوالدين في احكام أكثرها الإحسان بهما وكثير منها تجمع إليهما غيرهما ، وهذه مما تخصهما بالاحترام بعد الله لا تحريما للاحترام فقط وانما الإحسان وأي إحسان ^(١) ولا تجد تفصيلا في غيرها كما فيها ، وقد تختص بالقضاء دون غيرها حكما ومحكما له. محتوما مقضيا لا حول منه ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقد نرى ردف الوالدين بالرب فيما يوصي او يقضي للوالدين الا قليلا يرد فان فيها بالله تدليلا على ان حق الوالدية كحق الربوبية وبعدها لأنها استمرارية للتربية الالهية ، فكما الرب الله لا يعبد إلا إياه ولا يساوى او يسامى به سواه ، كذلك الرب الوالدان لا يساوى بهما سواهما في الإحسان ، اللهم إلا رسل الله حيث يحملون من التربية الإلهية ما لا يحمله الوالدان اللهم إلا في الولادة الجسمية وتربيتها وقد يشمل «الوالدين» كلتا الولادتين الروحية والبدنية فهما على درجات : الوالد الروحي الأول وهو المجرى الأول للولادة الروحية : أهل بيت الرسالة المحمدية ، ثم من يحدوا حذوهم في التربية الإلهية ، ثم الأدنى الوالد الجسمي الذي لا يعني التربية الروحية ، ثم بينهما أوساط ، فكلما ارتفعت درجة الوالدية ارتفعت ميزانية الإحسان ، ثم

(١) راجع ج ٢٦ الفرقان ص ٢٩٠ - ٣٠٩ تفسير الآية «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا...» والذي قال لوالديه أُفٍّ لَكُمَا... تجد تفصيل البحث في حقوقهما هناك.

الإحسان بالوالد الروحي يختلف عما للوالد الجسمي ، ويجمعها المواجهة بالحسن في عشرة روحية اماهيم وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «أنا وعلي أبوا هذه الأمة» وعن الإمام علي (عليه السلام) «ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

هذه القضاء حكم تشريعي صارم وفصل قاطع حاكم تحمل سلبيات وإيجابيات ، ترى أنهما تختصان ب «ربك» ام و «الوالدين»؟ أم تشمل كافة الإيجابيات والسلبيات التالية الاثني عشر : أمرين ونواهي عشرة قد تحملها الآية ، أو ان الشمول أقرب فإن ﴿ذَلِكَ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾ أو أن الأوجه هنا اختصاصها بالرب والوالدين ^(١) ثم الشمول ، وجوه تحملها الآية تلو بعض.

والحكمة هي القضاء بما يربط بين المنفصلات.

فان القضاء هذه تبدأ ب ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وتنتهي بمثلها ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ حيث تجمعهما ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فسلبيات هذه القضاء بادئة من «لا اله» وإيجابياتها من «إلا الله» كما وأن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ تحتل المحور الاساسي والمركز الرئيسي في كافة الاقضية التكوينية والتشريعية سواء ، فقصارى شرعة الإسلام وكل شرعة الهية هي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾!

(١) قد توحى : أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» دون وأن بالوالدين ام ماذا . باختصاص هذه القضاء بتوحيد الله ، ثم يتلوها «بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» ثم سائر الأحكام ، وقد تؤيده الآية السالفة لها «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...» او ان القضاء لها مراحل ثلاث : لله . للوالدين . ولسائر الأوامر والنواهي التالية ، او يقال ان القضاء هنا قضى به لا فيه او عليه اوله او قضاه ، فان قضى به حكم تشريعي ، فلا تشمل إذا الا «أَلَّا تَعْبُدُوا...» اي «بان لا تعبدا...» ثم «بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» اي قضى بإحسان الوالدين» بان أحسنوا بالوالدين إحسنًا ثم لا موقع لسائر الأوامر والنواهي ولا سيما أن الأمر تقدير للباء ، فان «آت...» لا تتحمل الباء ، اللهم الا «بان آت ذا القرى حقه كما في «بان أحسنوا...».

«وقضى» ^(١) امر وحكم ^(٢) في صيغة القضاء تخلع على الأمر معنى التوكيد انه بثّ جزم لا ينسخ ، تمام لا ينقطع. الى جانب الحصر المستفاد من الاستثناء «إلا إياه» فصيغة التعبير تصوغ توحيداً سائغاً لكيان الربوبية الوحيدة ، وهي أولى الاقضية وأولاهما كما وهي عقباها وأخراها.

ولماذا «قضى» هنا «ربك» لا : رب العالمين ولا : الله؟ لأنه يعني في هذه الأقضية الجوانب التربوية ، لتكون منوطة مربوطة بجانب الربوبية ، فربوبيته هي الحاكمة ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ . ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ام ماذا؟

(١) ومن الأقاويل هنا في قضى ما رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : كان الأصل «ووصى ربك» فالتصقت احدى الواوین بالصادق فقرأ «وَقَضَىٰ رَبُّكَ» ثم قال : ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لأن خلاف قضاء الله ممتنع! أخرجه في الدر المنثور ٣ : ١٧٠ عن ابن عباس بعدة طرق وعن ابن مسعود والضحاك بن مزاحم واخرج ضده عنه مجاهد وقد جاء القضاء بمعنى الحكم الشرعي الثابت في آيات اخرى : «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (٣٣ : ٣٦) «ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِّمَّا قُضِيَتْ وَیُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٤ : ٦٥).

أقول : وهذه من الأقاويل الحمقاء التي تفتح باب التحريف في القرآن الحكيم ، ولم يدر المختلق المسكين ان القضاء لا تختص بالتكوين فقد تكون تشريعياً كما هنا ، ولو ان القاف تشبته بالواو لكان مثله وادنى منه كثيراً في القرآن فلا اعتماد إذا في كتب القرآن.

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٤٨ عن التوحيد باسناده الى ابن عباس عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه فقال الشيخ : يا امير المؤمنين! فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا واديا ولا علونا تلعلة الا بهما؟ فقال (عليه السلام) : الأمر من الله والحكم ثم تلا هذه الآية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ أقول : يعني هنا خصوص الأمر التشريعي او ما يشمله ثم يمثل بهذه الآية التي تحمل هذا الأمر.

ومن ثم «ربك» توحى بهذه التربية العالية التي تفوق العالمين أجمعين ، فعلى ضوء التربية المحمدية : ﴿قَضَى رَبُّكَ﴾ بهذه الأقضية ولكن تربوا ربوة عالية على كافة التربيات ولأنها قضاء في الأمة المرحومة في شرعة تجمع الشرائع وزيادة : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ نهي كأول مورد للقضاء أو تفسير لها ^(١).

وقضاء التوحيد هي القاعدة والأساس ، تتبناها سائر التكليف العقلية وسواها ، فردية وسواها ، فلها في نفس الموحد ركيزة التوحيد ، توحد البواعث والاهداف في كافة الجنبات الحيوية ان يصبح ككل توحيدا في عبادة الله. وكذلك يتمثل ككل : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ان أحسنوا بالوالدين إحسنا ^(٢) في حال ومال. في حل وتر حال ، في كل حال على أية حال ، لا فقط أن الإساءة إليهما محرمة ، بل وترك الإحسان بهما محرم ، فالإحسان يشمل كل ظاهرة في العشرة حتى وفي المشي والقعود والتسمية وعلى حد المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(٣).

يفرض هنا وهناك إحسان الأولاد بالوالدين ولا يفرض العكس ، لأن البنوة والناشئة المتغافلة الجديدة هي المحتاجة إلى استجاشة وجدان البر والرحمة ، حيث الوالدان مندفعان بالفطرة إلى الإحسان بالأولاد ، لا ينسونهم او يتناسون حتى وإذا نسوا أنفسهم. ولكنما الناشئة فسرعان ما

(١) فعلى الأول تقدر الباء «بان لا تعبدوا» وان ناصبة ولا تعبدوا نفى بمعنى الأمر وعلى الثاني دون تقدير وان مفسرة ولا تعبدوا نهي.

(٢) وان هنا مفسرة دون تقدير للباء إذ لا تدخل الناصبة على غير المضارع اللهم إلا على تقدير ان تحنوا.

(٣) الدر المنثور ٣ : ١٧١ . اخرج ابن مردويه عن عائشة قالت أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه شيخ فقال من هذا معك؟ قال أبي قال : لا تمشين امامه ولا تقعد قبله ولا تدعه باسمه ولا تستسب له.

ينسون او يتناسون عطف الوالدين ، ملتهمين بشؤونهم أنفسهم في تبني الحياة الجديدة ، لا سيما إذا شاخ الوالدان وساءت أخلاقهما وصعبت حياتهما وثقلت عليهما حمل أعباءهما ، لذلك فالجيل الناشئ هو المحتاج لقضاء الله ووصيته ، استجاشة لدفائن وجدانهم ليذكروا واجبههم وجاه الجيل الذي أنفق رحيقه كله في انتشائهم حتى أدركه الجفاف.

ولكن هل الوالدان كلهم يعملون واجبات الوالدية التربوية وجاه الأولاد لكي لا يحتاجا الى استجاشة كما الأولاد؟

قد يقال ان المقام هنا لك مقام الإحسان لا واجب التربية ، وإن كان الإحسان يشمل الجانب التربوي إذا كان الولد أقوى تربية وأرقى من الوالدين فالرعاية التربوية واجبة على كل راع وكلكم مسئول عن رعيته الوالدان او الأولاد ام من ذا ، والأقربون اولى ثم من دونهم وكما يستطيع في الشعاع التربوي ولا تعني تلك القضاء وتلك الوصيات بحق الوالدين إلا الحنان والإحسان في العشرة ، مهما شملت أحيانا التربية.

ولكي يراعي الوالدان ايضا أولادهم فلا يضاروهم ف ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ...﴾ (٢ : ٢٣٣) إن في رخصة ام ماذا ، ومن المضارة التقصير في المحبة والتربية ، فالوالدان . إذا . يؤمران بترك المضارة بأولادهما ، ولكنهما يفوقان الأولاد في واجب الإحسان حنانا واحتراما ، فواجب الإحسان أمر ، وواجب التربية أمر آخر قد يختلطان وقد يفترقان.

يقضي الله تعالى هنا بالإحسان إليهما ، ومن أفضل الإحسان وأوجه هديهما الى الحق ان خالفاه فسقا ام ضلالا ام ماذا ، فالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة عامة ، ثم وقاية الأهلين خاصة. ثم هي بالنسبة للوالدين أخص ، إذا فهي واجبة بالنسبة لهما في أبعاد ثلاثة.

ومن ثم يركز قضاء الإحسان بهما على أضييق حالتهما ، حيث يضاف سوء الخلق الى اعباء الكبر ونظراتهما الطائلة من الناشئة ، أن من واجب الأولاد تحمّل مثلث الأعباء أم ماذا؟ دون تلقّت عنها او تلقّت منها ولا تعنت حتى في أدنى لفظه من قول «أف» :

﴿... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤).

... كما بلغت عندهما من الطفولة الى الحلم ، والى الكهولة ام ماذا! ولم تر منهما إلا الإحسان ، إما يبلغن ... ^(١) ترى وما هي الملائمة بين «إن» الشرطية ونون التأكيد القاطعة؟ عليها التأكيد على تحصيل هذا الشرط ان يجدّ الأولاد لكي تستجد عيشتهم عندهم باستمرار ما هما حيان لا أن يفصلوا عنهما أو يفصلوهما عنهم إذا كبر أحدهما أو كلاهما ، بل ويستمرّوا في العيشة الراضية معهما ، ويهتموا رقابة على صحتهم إن يكبرا عندهم ، تقديمًا لكافة الإمكانيات في كافة الجهات للحفاظ على سلامتهما وعلى كونهما عندهم.

أنت كنت عندهما لحد الآن. فليكونا عندك من الآن ، ف «عندك» توحى بحالة الالتجاء فالإلجاء ، التجاء بالتجاء وإلجاء بإلجاء وهو بعد لن تكون جزاء وفاقا حيث الجأك في طفولتك ولا ملجأ لك إلا والداك ، وأنت تلجئهما في شبابك وهما في كهولة او زاد «فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما

(١) اما هي ان الشرطية وما المؤكدة حيث تسمح لدخول نون التأكيد. ف «ان» ضرورة لبيان ظرف الشك إذ لا يعلم انهما يكبران عندك ام لا ، ثم «ما» المؤكدة وتقدم «عند» ونون التأكيد الثقيلة ، هذه كلها تأكيدات تفرض على الأولاد ان يقدموا كل امكانياتهم لبقاء هما عندهم وان يكبرا عندهم.

يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (١)

وطبيعة الحال في الوالدين لا سيما إذا كبرا ، فلم يقدر على تحصيل بلغة المعاش ماديا
ام ماذا؟ وهما عندك بما عندك أهل وأولاد ، وهما ينتظرانك ان تعطف لهما كل عطف ، فهما
لهذا وذا قد يغيطان عليك ويسئنان أخلاقهما إليك ، في هذه الحالة الصعبة الملتوية ماذا
عليك؟

عليك التصبر والاحترام ، دون اي تضجر واخترام ، لا يسمح لك حتى في اقل لفظة
تحمل ادنى تضجر : «أف» : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ فضلا عن ان تنهرهما : ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾
حتى وان نهراك او ضرباك! فلا فحسب عليك سلبية أف او نهر أم ماذا من إساءة ، بل
وعليك الإحسان إليهما واي احسان؟ في قول : ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ومن ثم فعل
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ولكنك لحد الآن ما أديت حق الإحسان إليهما ،
فعليك الالتماس من ربك أن يكفّي هو هذا الإحسان ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا﴾!.

قول «أف» لهما محرم ، ثم نهرهما محرم ، وترك قول كريم لهما محرم ، وترك خفض
الجناح لهما من الذل محرم ، وترك القول ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا...﴾ محرم واين خماسية التحريم هذه؟
فيما إذا اجتمعت لهما عليك شروط تضجرك ، ان بلغا عندك الكبير! فما هي الواجبات
والمحرمات عليك وجاههم ، إذا لم يبلغا الكبير ولم يكونا عندك ولم يضجراك؟.

(١) الكسا ام للزخشرى ٢ : ٥١٤ روى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) : ان ابوي بلغا من الكبير إني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتها؟ قال : لا
فإنهما ...

قد تشمل ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إحسانا في هذه الخمس وما بعدها ، ابتداء بترك أدنى إساءة «أف أو نهر» فسائرهما أولى بالترك ، ثم القول الكريم ، ثم الفعل الكريم ﴿وَإِخْفِضْ هُمَا﴾ ومن ثم دعاء كريم ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا ...﴾ وهذه في تضيق أخلاقهما إن كبرا عندك ، فما ذا بعدوهما في حالة الاستغناء عنك والحنان عليك؟.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ ... وهو ادنى العقوق ^(١) .. وفي «أف» وجوه لفظية عشرة ^(٢) هذا أوجهها قضية كتبها في تواتر القرآن فلا يصغى الى صيغ أخرى ، كما لها وجوه معنوية ست ^(٣) يجمعها اظهار التضجر وكما في

(١) الدر المنثور ٣ : ١٧١ عن عائشة قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

وفي نور الثقلين ٣ : ١٤٩ عن اصول الكافي بإسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ادنى العقوق أف ولو علم الله شيئا أهون منه لنهى عنه وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر إليهما.

وفيه عن أبي المأمون الحارثي قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال : من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره . الى ان قال . : وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٨٨ . قال الزجاج فيه سبع لغات : كسر الفاء وضمها وفتحها ، منونا وسواه ، والسابعة «أفي» وذكر ابن الانباري نقلا عن الزجاج ثلاثة وجوه أخرى (إي) بكسر الالف وفتح الفاء و (أفه) بضم الالف وإدخال الهاء و (أف) بضم الالف وتسكين الفاء.

قرء ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين ، ونافع وحفص بكسر الفاء والتنوين ، والباقون بكسر الفاء من غير تنوين ، وكلها لغات وعلى هذا الخلاف في الأنبياء (أف لكم) وفي الأحقاف (أف لكما).

أقول فهذه عشرة كاملة هي : «إف أف . أف . إف . أف . أفي . أف» وقد ذكرها ابن منظور الافريقي في لسان العرب ج ١ ص ٧٣.

(٣) وهي : الوسخ الذي حول الظفر والتف الذي في الظفر . وسخ الاذن والتف وسخ .

الفارسية (أه) (أو) والحق أنها لا تعني إلا ما تعنيه صيغة اللفظ وأصله نفخك للشيء يسقط عليك من تراب او رماد ، وللمكان تريد إمطة الأذى عنه.

ثم الالف منها لفظي ومنها نظرة بغضاء أو حركة او كتابة ام ماذا؟ وكما يروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أباه من حد اليه الطرف»^(١). فالأفّ وهي أدنى العقوق تشير الى أدناه في لفظة او لمحة ام ماذا من مظاهر التضجر دون اختصاص.

وإذا يحرم ان تقول لهما «أف» فباحرى ان تنهرهما او تسبهما او تضربهما ، ولأن الالف قد ينتهي الى النهر يثنيه ب :

﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ زجرا بالصياح ورفع الصوت عليهما والإغلاظ في القول حيث يشي بالإهانة وسوء ادب ... لا . و . لا ! وانما :

﴿وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ : قولاً يحمل إكرامهما وان ضرباك او أهانك ، وكرم القول هو التوسع في عطوفته ولينته ، ومن العطف بهما أن تأمرهما بمعروف وتركاه وتنههما عن منكر اقترفاه ، كأن يسيا إليك أم سواك ظلما ، وتراعي في كل ذلك أن «لا» ﴿تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

. الإطفاء . الالف : الضجر والقلّة . كلمة تضجر . جعل يتأفف من ربح وجدها ومعناه يقول : أف أف . ذكرها في لسان العرب والتفسير الكبير للفخر الرازي.

(١) الدر المنثور ٣ : ١٧١ . اخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الایمان عن عائشة قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

وفيه ٣ : ١٧٢ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة. قالوا : وان نظر كل يوم مائة مرة؟ قال : نعم الله اكبر وأطيب.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ : اخفض لهما ... كما خفضا لك واين خفض من خفض؟ اخفض لهما جناح الذل ، لا جناح العزو الكبرياء أن ترعاها تحت جناحك امتنانا وامتهانا ، حتى ولو كانت رعاية كاملة كافلة ، فانه جناح فيه جناح ، وانما جناح الذل الخافض من الرحمة مثلث من الرعاية يحمل ارحمها وأتمها.

فليكن كلك لهما جناحا ، من فكرة او قولة او فعلة ، من مال او حال او منال ، وليلمسا أهما عندك في جناح أيا كان وأنى وأيان ، ومن ثم ذل في كل جناح ، وليكن جناح الذل ثابتا من أصول الرحمة ، جانحا طاقات العطفة ، فترك بسط الجناح لهما جناح ، وجناح العز جناح ، وجناح الذل من دون رحمة جناح ، وانما جناح الذل من الرحمة ^(١) فرغم ان الجناح لا يعني لصاحبه إلا ان يطير به ، فهو وجاه الوالدين فرش لهما يعيشان عليه ، او يطير به الوالدين الى مآربهما ، كما الطائر إذا يطير يرفع جناحه وإذا يرفع فرخه يخفضه من الرحمة ، وخلاصة المعني من خفض الجناح الإخبات

(١) اصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في آية الوالدين سئل ما هذا الإحسان؟ فقال : الإحسان ان تحسن صحبتها وان لا تكلفهما ان يسألاك مما يحتاجان إليك وان كانا مستغنيين أليس الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ثم قال (عليه السلام) واما قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ...﴾ ان أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ان ضرباك ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ان ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك قول كريم ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ لا تمل عينيك في النظر إليهما الا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقم قدامهما.

وفي الدر المنثور ٣ : ١٧٤ . اخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس (رضي الله عليه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وان كان واحدا فواحد ومن امسى عاصيا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وان كان واحدا فواحدة قال رجل : وان ظلماه؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه.

للوالدين وإلانة القول لهما والرفق واللطف بهما.

في كل ذلك يشترك الوالدان. مسلمين كانا أو كافرين ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ (٣١ : ١٥) معروفهما وهو هكذا إحسان إليهما.

ثم يختص الوالدان المسلمان بمزيد الإحسان حين كانا أو ميتين ان تدعو لهما بخير وتستغفر ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

ف «ارحمهما» من الرحم والرحمة بالنسبة للدنيا والآخرة ، ام وللدنيا فقط كما للمشركين فان الاستغفار لهما ممنوع : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ..﴾ (٩ : ١١٣)^(١) فإذا تبين أن الوالدين أو أحدهما من اصحاب الجحيم لا يسمح لهما الاستغفار حياتا ومماتا ، اللهم إلا طلبا للرحمة الالهية ان تشملهما حالة الحياة بأن يؤمنا او يخففا عن شركهما ، وهذه الآية وان كان بينها وبين آية الوالدين عموم من وجه تتوارد ان في الوالدين المشركين الا ان هذه نص في العموم بدليل الإشراف من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فلتقيد آية الوالدين دون ريب.

(١) الذر المنثور ٣ : ١٧١ . اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله تعالى : «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ...» ثم انزل الله بعد هذا : «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ». وفيه عن ابن عباس وقتادة قالا : نسختها الآية التي في براءة ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ...﴾ أقول : هذا تقييد لا طلاق آية الاسترحام ولان القرآن كان ينزل نجوما من عام وخاصه ومن مطلق ومقيد ، لذلك قد لا يعتبر مثل ذلك نسخا ، او يقال : أريد الإطلاق أولا ثم نسخ الإطلاق ، ولكن «ما كان» يضرب الى اعماق الماضي ان هذا الاستغفار كان محرما منذ البداية ، وعله كان من الضروري عدم جواز الاستغفار للمشركين من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ...» ثم النسخ على خمسة اقسام : نسخ العموم او الإطلاق او الخصوص او التقيد او نسخ مباين جزئيا.

وقد تلمح ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أن الرحمة المطلوبة هنا هي الدنيوية ، ولكنها ليست رحمة إذا لم تتبعه الرحمة الاخرية او منعتهما إياها ، إذا فالرحمة المطلوبة هي الملائمة للحياة الآخرة ، منذ الدنيا ام في الآخرة. الا ان رحمة الاستغفار للمشركين مقطوعة ممنوعة عنهما وان كانوا اولي قرى : والدين ام من ذا؟ من بعد ما تبين أنهم أصحاب الجحيم ، واما قبل التبيين فمسموح لهما الاستغفار وان كانوا مشركين ، لا إن ماتوا مشركين.

وترى إذا كانت قوله «الاف» لهما محرما ، فكيف يقول ابراهيم للمشركين وفيهم أبوه آزر ، ﴿أَفِ لَكُمْ وَلَئِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢١ : ٦٧) ثم وما فوق الأف ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٦ : ٧٤).

والجواب عن أف ان آزر لم يكن والده وإنما عمه ثم هذا الاف موجه الى ضلال الشرك أيا كان وفي اي كان ، وكذلك ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث الدعوة الرسالية وتفنيد الضلالات واجبة إطلاقا ، وقد تكون بالنسبة للوالدين أوجب رحمة بهما ان يهتديا الى صراط مستقيم.

ثم إن حرمة الوالدين ليست لتمنع عن حرمة الله فلم يجعلهما الله شريكين لنفسه او زاد وإنما فرض الإحسان إليهما وطاعتهما فيما لم يعارض طاعة الله وما افترضه الله.

وإنها لذكرى حانية ، الطفولة الهزيلة الضعيفة حيث يرعاها الوالدان.

فلأنك لا تسطع مقابلة لهما بالمثل تطلب من ربك ان يرعاكما كما ربياك صغيرا ،

حيث هما اليوم في مثل حالة الطفولة من الضعف والحاجة

الى الحنان والرعاية ، وهو القادر على جزائهما عما بذلا وقدمتا لك في الطفولة.

وهو الرحمان الرحيم يجازيها في الاخرى ، ام في الأولى ، ام فيهما ، لما تسترحم ربك لهما ، اللهم إلا فيما لا يقبل الرحمة : ان يموتا مشركين ، فرحمتها إذا يخص الأولى.

وترى هل من الإحسان إليهما وترك الاساءة لهما ترك الواجب او فعل الحرام؟ قد تلمح ﴿وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾ ان ما دون الشرك من الحرام مسموح إحسانا بالوالدين ، إلا أن ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ تحصر طاعتهما في الأمور الدنيوية ، غير المربوطة بالآخرة ، ثم القضاء الأول ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ تحصر الطاعة في الله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله ، اللهم إلا الواجبات غير التعيينية التي لها مندوحة فضلا عن المستحبات ، اللهم إلا إذا كان النهي عنها معارضة لشرعة الله ، وعلى اية حال ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ ما استطعت دون ان ترضيهما بسخط الله ، فإذا تهمجها هجرة الى الله فحاول في ان تضحكهما بعد البكاء ^(١) ولما تريد الجهاد «ففيهما فجاهد» ^(٢) إذا لم يكن فرض عين.

(١) الدر المنثور ٢ : ١٧٣ . اخرج الرزاق في المصحف والبخاري في الأدب والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبأعه علي الهجرة وترك أبويه يكيان قال : فارجع إليهما واضحكهما كما ابكيتهما.

(٢) الدر المنثور ٣ : ١٧٢ . اخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد الجهاد ، فقال : ألك والدان؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد. أقول : لعل المسؤول عنه هو مطلق الجهاد ، او الجهاد الذي لم يكن فرض عين. وفيه اخرج سعيد وابن أبي شيبة واحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي .

ان فرض طاعة الأبوين والإحسان إليهما هو بعد فرض الله تعالى فلا يتعارضان حتى يؤخذ بالأهم ولا أهم إلا فرض الله ، ولا تعارض بين الفرض المخير فيه من الله والفرض القاطع وجاه الأبوين ، اللهم إلا في الكفائي إذا كان تركه ينقص الكفاية ، وإذا كان نهيهما عن المستحب لصالح له أولهما يتنجز الترك ، وأما النهي دون صالح فلا ، مهما كان «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»^(١) فانه فيما لم يناف رضى الله او يستوجب سخط الله!.

ففي الاستنفار العام للجهاد او الدفاع او اي واجب جماعي يجب النفر ولا يمنعه منع الوالدين ، وفيما دونه من الواجبات الكفائية او التخييرية قد

. عن معاوية بن جابر عن أبيه قال : أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أستشيره في الجهاد فقال : ألك والدة؟ قلت : نعم . قال : اذهب فألزمها فان الجنة عند رجليها واخرج مثله عبد الرزاق عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأضاف ثم الثانية ثم الثالثة لمثل ذلك» أقول : لعله يعني الرجعة اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) او الاستشارة اليه ثانية ، وثالثة فقال : كمثل ذلك.

وفيه اخرج ابن مردويه والبيهقي عن انس أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه فقال : هل بقي احد من والديك؟ قال : امي قال : فاتق الله فيها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج معتمر ومجاهد ، فإذا دعتك أمك فاتق الله وبرها.

واخرج البيهقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لنومك على السرير بين والديك تضحكهما ويضحكانك أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله. واخرج عنه قال مر رجل له جسم يعني خلقا فقالوا : لو كان هذا في سبيل الله فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعله يكد على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله لعله يكد على صبية صغار فهو في سبيل الله لعله يكد على نفسه ليغنيها عن الناس فهو في سبيل الله

(١) تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٥١٣ وفي هامشه يسنده الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدة طرق.

يفرضه أمرهما كما يمنعه منعهما اللهم الا إذا كان عن عناد أم اللامبالاة بالدين فلا حتى في ترك المستحبات وفعل المكروهات ، وجملة القول في حدود الإحسان بالوالدين ألا يكون فيه إساءة الى الله ام الى سواه دونما استحقاق ، ولا يكون معارضة للشرعة الإلهية ، ففيما أنت بالخيار فعلا او تركا في المباحات والمستحبات والمكروهات وحتى الواجبات التخيرية او الكفائية غير المنجزة قد ينجز أمرهما او نهيهما فتصبح واحدة من هذه الخمس واجبا عليك معينة او محرمة إذا كان في هذا التنجيز مصلحة لك أولهما او حنانا عليك منهما ، دون ان يكون عن جهلهما او تجاهلهما او اللامبالاة منهما ام ماذا؟ مما هو إساءة بأحكام الله.

ثم إن حرمة لفظة الاف او محتها او تضجر ظاهر بالنسبة للأبوين لا تمنع حليتها او وجوبها في مقام إقامة البرهان لإثبات حق الله كما ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث كان في مقام الاحتجاج لابطال الشرك واثبات التوحيد وهو واجب الدعوة الرسالية الاولى والاخيرة ، اضافة الى ان آزر لم يكن والده وانما عمه أوجده لأمه ، وحتى إذا كان والده كان قد ادى واجبه الرسالي.

ولقد اوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من عترته بمختلف أشكال الإحسان بالوالدين لحد القول في الابن «أنت وما لك لأبيك»^(١).

(١) الكشف للزمخشري ٢ : ٥١٤ من رواية سعيد بن المسيب شكا رجل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أباه انه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال : انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويخل علي بماله فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد : أنت وما لك لأبيك أنت وما لك لأبيك» وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال (صلى الله عليه .

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ^(١) تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥).

قد تعني الآية الإجابة عما ربما يقول : أننا في نفوسنا صالحون فما ذا علينا في «أف» او «نحر» ام ماذا من جوارح الجوارح وجاه الوالدين؟ ما دامت نفوسنا صالحة لا تريد إلا الخير لهما؟.

والجواب : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ فلأن صلاح النفوس تتمثل في صلاح الأعمال فالمسيئ الى الوالدين ليس من الصالحين ، فهي ادعاء خاوية جوفاء أن صلاح النفس والنفس فقط هو المرغوب دون الجوارح في الأعمال!.

ثم واجابة . كما يعني ذيلها . عمن قصر في حقهما وهو صالح دون تقصد ، وانما تلفت دون تفلت وعناد ، وانما خطأ جاهل دون فساد ناشئ من فساد النفس ، فالجواب ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ فمن الصالحين . حين يخطأ . أوأبون ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ ثم لا صالح يخطأ وليس من الأوابين ، اللهم إلا صالحا يدعي الصلاح ، وأنه أساء إليهما خطأ ، فلأنه ليس صالحا حتى يكون من الأوابين ، لم يكن الله ليغفر له هذه الإساءة.

والأوابون هم الراجعون الى الله دوما معتذرين عما قصروا او قصّروا ،

. وآله وسلّم) : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال : انها سيئة الخلق قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها واضمأت نهارها؟ قال : لقد جازيتها قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ما فعلت؟ قال : حججت بها على عاتقي قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ما جزيتها ولو طلقه.
(١) ان هنا ليست شرطية حتى تختص علم الله بما في النفوس بما إذا كانت صالحة وانما هي وصليه.

وقد وصف داود وسليمان وأيوب بالأواب ، وبطبيعة الحال أو أب حفيظ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (٥٠ : ٣٢) فهم اوابون فيما قصروا ، دون تقصير ينافي العصمة ، والمقصورون كمن لم يراع حق الوالدين ليسوا من الأواب الحفيظ اللهم إلا في صلاح نفوسهم ، فهناك أواب صالح حفيظ نفسيًا وعمليًا كأمثال داود وسليمان ، وهنا لك أواب صالح حفيظ نفسيًا يتوب الى الله إصلاحًا عمليًا ، ومن ثم أواب غير صالح ولا حفيظ ، لم يعد الله له غفرانا اللهم إلا إذا آب وتاب صادقًا واين أواب من أواب وغفران من غفران ، غفران يستر القصور ، وآخر فرضه الله على نفسه وثالث قد يكون من فضله ، وقد يشمل الأوابين الطوائف الثلاث مهما تصدرت الآية بالوسطى ، اللهم إلا الأوابين غير الصالحين الذين لا يتوبون إلا كالمستهزئين. إذ لا يرجعون في أوبتهم عما قصروا. ف «الأوابون هم التوابون المتعبدون» ^(١) ومن سننهم «الورع والاجتهاد وأداء الأمانة وصدق الحديث وحسن الصحبة وطول السجود» ^(٢) والأوابون قوم خصوص حتى في صلاتهم ^(٣).

وهذه الآية هي الوحيدة حيث تحمل الأوابين بصورة عامة ، دون أواب حفيظ او أواب نبي ، وانما «الأوابين» فقط حيث تشملهما وغيرهما إذا كان صادقًا في أوبته وتوبته.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٣ عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام). يقول في الآية : هم

...

(٢) المصدر عنه (عليه السلام) قال : يا أبا محمد عليكم بالورع ... وكان ذلك من سنن الأوابين.

(٣) المصدر هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من صلى أربع ركعات في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله احد كانت صلاة فاطمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي صلاة الأوابين.

(١) ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦). إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧).

في الأمر بإحسان الوالدين أتى بالجمع ، فلم يخص الرسول (صلى الله عليه وآله السلام) بالأمر بل ولم يعمه فانه فقد والديه قبل الوحي بمرح بعيد من الزمن ، ثم هنا يخصه بالأمر وان شمل كافة المكلفين على نحو القضية الحقيقية ، حيث يناسبه من جهات عدة تأتي عليها ، والى ﴿لَا تَجْعَلْ يَدَكَ ... إِنَّ رَبَّكَ ...﴾ ثم يعمم النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق وقرب الزنا وقتل النفس وقرب مال اليتيم ، كما ويعمم الأمر بوفاء العهد والكيل والوزن بالقسط المستقيم ، دون أن يخصه او يعمه هذا او ذاك لنزاهة ساحته عن هذه وتلك ، ويرجع أخيرا الى خطابه كما في ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ في ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ و ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ و ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ...﴾

فقد يشملها او يخصه امر او نهي يناسب امره ونهي على وجه لا ينافي ساحة نبوته وعصمته ، ام لا يخصه او يشملها فيما لا يناسبه على أي وجه ، كالقتل والزنا ام ماذا؟ وظاهر الخطاب المفرد موجه إليه أولا ثم إلى سواه ، إلا إذا لم يناسبه فعلى نحو القضية الحقيقية لكل مكلف دونه ، وظاهر الخطاب العام يشملها كذلك إلا ...

هنا يؤمر هو أولا بأوامر ثلاث : ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ...﴾

تري ومن هو «ذا القرى»؟

(١) وأن المقدرة هنا قضية العطف على الا تعبدوا ليست الا مفسرة : ان آت ، حيث الناصبة تختص المستقبل ، ولعلها تصلح قرينة على السابقة لها ايضا مفسرة فلا تقدير . إذا . للباء إطلافا ، وكافة الموارد المذكورة مصاديق لتفسير القضاء الأول.

انه صاحب القرابة الأدنى ، والأولى والأولى بالرسول نسبيا ورساليا ، ان يؤثري حقه روحيا وماليا ، كما أتى فدكا لأقرب ذوي قرباه فاطمة ^(١)

(١) الدر المنثور ٣ : ١٧٧ . اخرج البزاز وابو يعلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ...﴾ ، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فأعطاهها فدك وفيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت اقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فدكا. ورواه مثله في جمع الفوائد عن أبي سعيد وبنابيع المودة للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي ص ١١٩ وفي شواهد التنزيل حديث ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ مثله.

وفي نور الثقلين ٣ : ١٥٤ ح ١٥٦ عن عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والامة حديث طويل وفيه في قول الله تعالى ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ادعوا لي فاطمة فدعيت له فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا فاطمة قالت : لبيك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : هذه فدك هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين فقد جعلتها لك لما امرني الله به فخذ بها لك ولولدك. وفيه عن الكاظمي عن علي بن أسباط قال : لما ورد ابو الحسن موسى على المهدي رآه يرد المظالم فقال : يا امير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له : وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال : ان الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ ولم يدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هم فراجع في ذلك جبرئيل (عليه السلام) فدعاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها : يا فاطمة ان الله امرني ان ادفع إليك فدك فقالت : قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك فلم يزل وكلاءها فيها حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما ولي ابو بكر اخرج عنها وكلاءها فأنته فسألتها ان يردها فقال لها : ايتيني بأسود او احمر يشهد لك بذلك فجاءت بأمرير المؤمنين (عليه السلام) وام ايمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض...».

أقول وروايات أصحابنا قريبة الى متواترة في قصة فدك فلا نطيل.

ووصى فيها خيرا : «فاطمة بضعة مني وأنا منها فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» مؤنة مالية لكي تستغني هي وزوجها والأئمة من ولدها ، معونة في بث الرسالة الإسلامية ، ومعونة روحية تعرفها بها الأمة المرحومة.

وانه علي عليه السلام حيث أتى حقه من التربية في حضنه وحضنته لحد قال : ولدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وزوجه بضعت فاطمة إذ لم يحق لها غيره ولم تحق له غيرها ، ثم آتاه حق الوصاية والخلافة^(١)

كما وآتى عترته المعصومين حقوقهم أن جعلهم خلفائه من بعده تلو بعض^(٢). إن ذوي القربى المأمور بايتائهم في القرآن كثير حيث يؤمر المكلفون بايتائهم والإنفاق عليهم ، ولكن ذي القربى المأمور بايتائه في أمر شخصي ليس إلا هنا وفي الروم : ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٠ : ٣٨)

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٣ في اصول الكافي بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ثم قال جل ذكره : ﴿وَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ وكان علي (عليه السلام) وكان حقه الوصية التي جعلت والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة.

وفيه عن أبي الطفيل عن علي (عليه السلام) قال يوم الشورى : أفيكم احد تم نوره من السماء حين قال : وآت ذا القربى حقه والمسكين؟ قالوا : لا.

(٢) الدر المنثور ٣ : ١٧٦ . اخرج ابن جرير عن علي بن الحسين (عليه السلام) انه قال لرجل من اهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال : نعم . قال : أفما قرأت في بني إسرائيل : ﴿وَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال : وانكم للقرابة الذي امر الله ان يؤتى حقه؟ قال (عليه السلام) : نعم ورواه مثله الثعلبي عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين (عليه السلام) لرجل من اهل الشام (البرهان ٢ : ٤١٥ - ٣).

وهي محتفة في ذيلها وما قبلها وبعدها بعموم دون خصوص ^(١).

ومكية الآية في السورتين لا تنافي القرابة الخاصة ، حيث أخذ في الإيتاء منذ مكة لعلي وفاطمة تربويا ، وحتى المدينة إيتاء لفدكها وخلافته ، او تكون إحداها مكية والاخرى مدنية! ومكية السورة لا تنافي مدنية آية او آيات منها.

ولا نجد في آيات ذوي القربى . كما اليتامى والمساكين وابن السبيل . حقا خاصا لذي القربى إلا هنا وفي الروم ، في خصوص قربي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذا فلهم حق خاص ليس لسائر ذوي القربى أمن ذا ، يعبر عنه هنا ب «حقه» وفي آيات المودة ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ما يختصهم بحق لا يشاركهم فيه أحد من العالمين ، فليس إذا من الحقوق المالية . فقط . حيث يشاركهم غيرهم كما في آيات ذوي القربى ام من ذا؟ ، فانما هو حق من بيت الرسالة الإسلامية هو استمراريتها في خلافتها المجيدة ، مهما شمل بطياته حقا ماليا للصديقة الطاهرة كفدك ، هي بلغتها وبلغت زوجها وأولادها المعصومين ، كمعونة لبيت الرسالة فان دنياهم آخرة.

ثم لا تشترط المسكنة في واجب الإيتاء الا في المسكين أحواليا وإلا في ابن السبيل حاليا ، فيؤتي ذو القربى لقرابته واليتيم لیتمه وابن السبيل لضرورته ، سواء أكانوا فقراء أم من ذا ، ثم وهؤلاء درجات كما وذو القربى درجات وعلى حدّ قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «أبدأ

(١) فذيلها «لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ» وقبلها «أَوَّلَ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» وبعدها «وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُتُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُتُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ».

بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك^(١).

ثم ولا يخص الإيتاء إيتاء المال بل ومطلق الإحسان كما تتطلبه الظروف والحاجيات :
**﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ
 وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾** (٤ : ٣٦) ، فإذا لا تستطع إيتاء
 ماليا لليتامى والمساكين فأحسن إليهما في مواجهة أو توجيه بإحسان **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾**.

وترى الإيتاء الإحسان واجب مالي أو حالي كسائر الواجبات ، نفقات أم ماذا؟ قد
 يقال : لا . اللهم إلا إحسانا بالوالدين ، إذ لم يفت به الفقهاء! ولكنه كيف لا؟ والله يأمرنا
 بها : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾** (١٦ : ٩٠) ويأمر بإيتاء من
 سواهم والإحسان إليهم مهما كان في حق معلوم كما في نفقات أم غير معلوم كما هنا
 وهناك.

ثم وإيتاء الحق ماليا له حدود واجبة واخرى راجحة ومن ثم محرمة ليس حقا وهو
 الإيتاء أم ماذا من صرف المال تبذيرا ، فمهما كان إيتاء حق واجبا أم راجحا فالإيتاء تبذيرا
 محرم يجعل المبذر من إخوان الشياطين! **﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
 الشَّيَاطِينِ﴾**.

وانها آية يتيمة منقطعة النظير في تحريم التبذير تحمل على وحدتها حملة قوية على
 المبذرين «انهم اخوان الشياطين» اخوة في شيطنة التبذير ، ثم لا نجد في سائر القرآن اخوة
 للشياطين إلا : **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾** (٧ : ٢٠٢) **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
 لَيُؤْخَوْنَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ﴾**

(١) الدر المنثور ٤ : ١٧٧ . اخرج ابن أبي شيبة عن ثعلبة بن زهدم قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخطب : «يد المعطي العليا ويد السائل السفلى وابدأ بمن تعول ...»

لِيَجَادِلُوكُمْ ﴿٦ : ١٢١﴾ ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَرْأَى﴾ (١٩ : ٨٣) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ. نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٢٦ : ٢٢١) رغم أن الأخوة في الأولى للكافرين ، ثم لا أخوة وأنما ولاية وتنزل ورسالة ، والأخوة تعني المعاونة المساعدة في اصول الشيطنة ، والتبذير اخوة للشياطين!.

هنا لك إسراف محرم أن تصرف فوق ما تحتاجه ، ولكنما التبذير هو أن تصرف فيما لا تحتاجه أنت ولا غيرك حيث لا ينفع ام ويضر فانه أنحس تبذير.

كلام حول التبذير :

فالإيتاء أيا كان قد يكون تجارة ومبادلة ، أو إنفاقا في سبيل الله دون ابتغاء جزاء ولا شكور إلا وجه الله ، فهو إذا بذر يغني بنفسه ويزداد ، أو إسراف حيث تصرف المال في الخلال فوق الحاجة ، أو تبذير حيث يكون إفناء للبذر دون مقابل في الأولى ولا الأخرى ، فهو تضييع في بعد واحد إذا لم يضر إلا فناء البذر ، او بعدين إذا أضر زيادة على الإفناء ، كأن تشغل أرضا سبخة مالحة صالحة لغير الزرع تشغلها ببذر حيث تفني البذر فلا تشغلها لصالح غير الزرع.

ثم التبذير لا يخص المال فانه أدناه ، حيث يعم كافة النعم مادية ومعنوية ، من رميك النوى ^(١) حيث تفيد ، ومن تولية إمرة المسلمين لغير

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٧ في تفسير العياشي عن بشر بن مروان قال : دخلنا على أبي عبد الله (ع) فدعى برطب فاقبل بعضهم يرمي النوى ، قال : فأمسك ابو عبد الله (ع) يده فقال : لا تفعل إن هذا من التبذير وان الله لا يحب الفساد.

امير المؤمنين ^(١) ، فتولية الأمر أيا كان لمن يحق عدل ، ولمن لا يحق تضييع تبذير ، وإن كان فوق ما يحق فإسراف وظلم ، وإن كان لمن يحق فعديل ، وإن كان دون ما يحق فتقصير وظلم ، وهذه كلها تجري في كافة النعم حيث تؤتى من مال أو منال أو منصب أم ماذا؟.

فتبذير المال هو أن تنفقه في غير حقه قليلا أو كثيرا إذ ليس هو الكثرة في الإنفاق إنما هو وضع الإنفاق وموضعه ، ونية الإنفاق وموقعه ف «من أنفق شيئا في غير طاعة الله فهو مبذر» ^(٢) «وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حظ الشيطان» ^(٣) ومنه إنفاقك مالك كله ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ^(٤) وهو أدنى الإسراف لحد قد لا تشمله الآية في اخوة الشياطين حيث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعيد كل البعد عن هكذا تبذير ^(٥) اللهم إلا نھيا

(١) المصدر في محاسن البرقي بسنده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ قال : لا تبذر ولاية على .

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٥٦ في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله : ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ قال : ... ومن أنفق في سبيل الله فهو مقتصد .

(٣) الدر المنثور ٤ : ١٧٧ . اخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : ما أنفقت على نفسك واهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت فلك وما أنفقت ...

(٤) تفسير البرهان ٣ : ٤١٦ عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في قوله ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ قال : بذل الرجل ماله ويقعد ليس له مال قال : فيكون تبذير في حلال؟ قال : نعم .

(٥) ومن الدليل على الشمول ، ما في الدر المنثور ٦ : ١٧٧ . اخرج احمد والحاكم وصححه عن انس ان رجلا قال : يا رسول الله اني ذو مال كثير وذو اهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف أنفق وكيف اصنع؟ قال : تخرج الزكاة المفروضة فانها طهرة تطهرك وتصل أقاربك وتعرف حق السائل والجار والمسكين فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! اقل لي قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فأت ذا القربى حقه .

تنزيها تعظفا عليه يشمل صدر الآية ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ ثم الذيل ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ لا يشمل (صلى الله عليه وآله وسلم) ابدا. بل الصدر ايضا حيث التبذير هو ألا تنتفع ولا تنفع بما تدفع وقد تضر او تتضرر ، وليس منه إنفاق مالك كله في سبيل الله فتتعد ملوما محسورا ولا إنفاقك منا أو أذى ، ام ماذا من موارد الإنفاق التي ليست هدرا كله ولا ضرا كله ، وإن كان ممنوعا منها عنه.

والنهي عن التبذير مطلق لنفسه ولمكان «تبذيرا» يشمل تبذير النفس والنفيس ، فتبذير النفس محرم أيا كان ، أن يهدر الإنسان نفسه انتحارا ام تعريضا للقتل او الجرح او المرض او أية اصابة بدنية او روحية دون مقابل موازن او هو أرجح.

كذلك وتبذير المال أن تصرفه في غير حلال او تهدره دون صرف ، ام في حلال برئاء او سمعة او من أو أذى ، ام في حلال باستئصال المال ان تبسط يدك كل البسط فتتعد ملوما محسورا ، مهما اختلفت اخوة الشياطين في هذه وتلك.

وباحرى منعا صرف المال فيما يضرك نفسيا ام ماذا ، كالدخان وأخواتها من سائر المخدرات ، التي تضرك ماليا ونفسيا ، وكلما كان عدم الانتفاع في الإيتاء أكثر ، والضرر أكثر ، ومن حيث الشمول أوسع فحرمة التبذير أكثر واخوة الشياطين أوفر.

ولأن ﴿مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٩٣ : ١١) والتحديث بنعمة الله إظهارها وصرفها في مرضات الله ، فتبديلها إذا يخلف شديد العقاب : ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ

. والمسكين وابن السبيل ولا تبذير تبذيرا. قال : حسبي يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢ : ٢١١﴾ تبديلا الى غير نعمة او الى كفر ونقمة : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾** (١٤ : ٢٨).

ولأن «الشيطان كان لربه كفورا» فهؤلاء المبدرون **﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾** في كفرانهم بنعم الله هدرا لها او صرفا في غير حلها..».

إذا فالتبذير في دولة او دولة ، في نفس او نفيس ، في علم ام ماذا من نعم الله تعالى كل ذلك كفران بنعمة الرب فإخوة للشياطين فتولية الأمر لمن لا يستحق تبذير ، وتوليته فوق ما يستحق إسراف ، كما أنها دون استحقاقه ظلم ، وكذلك كل امر له مثلث القصور والتقصير والتبذير.

ليس التبذير . بطبيعة الحال . إلا فيما يؤتیه المبدّر ، وكما الآية تفتتح بالإيتاء ، ولا يخص كما سلف إيتاء المال كما الإيتاء في الآية لا يخصه ، فقد يشمل التبذير نفس الإنسان ونفائسه من علم او منصب ام ماذا ، فتعليمك علوم الدين زائدا على استحقاق المتعلم إسراف وإذا هو يصرفه في الضلال او لا ينتفع به ولا ينفع فتبذير.

فمن يحضر خط النار في جهاد الكفار ليس له تبذير نفسه او نفره او سلاحه ام اية طاقة من الطاقات الحربية ، ان يعرضها للهدر دونما مقابل ، او مقابل أقل منها وأدنى ، فهذا إسراف وذلك تبذير ، ان تستأصل منك طاقة هدرا في الحرب دون استئصال من عدوك.

فجهادك دون استعداد وجاه العدو ، أم في تهاون فيك وذويك أمام العدو ، ام تعرضك لجرح ام قتل دون الزام أم ماذا من حرب غير مكافحة ، إنه لا يخلو عن إسراف أو تبذير.

ولماذا التبذير فقط بين المعاصي أخوة للشياطين ، لأنه يجمع كل إتلاف وتهدير ييوء بالضرر إلى الجماعة المسلمة في كل صغير وكبير .

واخوة الشياطين هذه في التبذير إنما هي في أنه كفران بنعم الله ، وتبديلها نقما : ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢ : ٢١١) ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (١٤ : ٢٨) ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (١٦ : ٧٢) .

عباد الرحمن يحدثون بنعمته ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٩٣ : ١١١) واخوان الشيطان يكفرون بنعمته!

﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨) .
الإعراض «عن» هو ان تولي مبديا عرضك خلاف الإقبال ، فقد يكون غضبا ابتغاء نعمة من ربك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (٤ : ٦٣) ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ (٣٢ : ٣٠) او يكون تركا للإيتاء الإنفاق إذ لم تجد ما تودي به متطلبات ذوي القرى والمساكين وابن السبيل ، وتستحي أن تواجههم فتميل عنهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لكي تؤتيهم إياها ، فكما أنك ترجوا رحمة ربك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ولكي يرجوك كما ترجو الله .

فمن القول معسور كأن تنهر فلست إذا وجاه المحتاج بمعذور ، ومن القول لا معسور ولا ميسور «ما عندي ما أحملكم عليه» ^(١) فأنت هنا

(١) الدر المنثور ٤ : ١٧٧ . اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن عطاء الخراساني قال : جاءنا ناس من مزينة يستحملون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ظنوا ذلك من غضب رسول .

معذور ، ولكن الأفضل أن تقول لهم القول الميسور : كعدة جميلة : سأتيكم ان شاء الله ، وبصيغة اخرى ان تحسن بهم إحسانا ، ان تؤتيهم خيرا إن كان عندك مع قول ميسور ، دون من او أذى او قول معسور .

فالسكوت عن المحاويج ، إلا إذا كان حياء ^(١) . او القول : ما عندي ، إنهما لا يليقان بكرم الأخلاق وإنما قول ميسور فإنه عوض وأمل وتحمل وان لم يتيسر له الوفاء به . وقد تعني نون التأكيد في «تعرضن» تأكيد الإعراض عند الإعواز ايماء بانه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يكذب . ان يعد وليس عنده . في

. الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانزل الله تعالى ﴿وَأَمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية قال : الرحمة الفيء .

وفي نور الثقلين ٣ : ١٥٧ في كتاب المناقب لابن شهر آشوب بعد ذكر فاطمة (عليها السلام) وما تلقى من الطحن . عن كتاب الشيرازي . إنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا فاطمة والذي بعثني بالحق ان في المسجد اربعمائة رجل ما لهم من طعام ولا ثياب ولو لا خشيتي خصلة لأعطينك ما سألت ، يا فاطمة اني لا أريد ان ينفك عنك أجرك الى الجارية واني أخاف ان يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله عز وجل إذا طلب حقه منك ثم علمها صلاة التسبيح فقال امير المؤمنين (عليه السلام) مضيت تريدان من رسول الله الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة قال ابو هريرة فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند فاطمة انزل الله على رسوله ﴿وَأَمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة ... فقل لهم قولا ميسورا يعني : قولا حسنا فلما نزلت هذه الآية انفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليها جارية للخدمة وسماها فضة .

(١) اخرج ابن حبان والحاكم عن انس قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء وفي الطبراني الأوسط عن علي (عليه السلام) كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سئل شيئا فأراد ان يفعله قال : نعم ، وإذا أراد الا يفعل سكت ولم يقل قط لشيء : لا .

مجاملات ، فوجه هذه الحتمية الصادقة الى وجهة اخرى لينة لا تنافيتها ، أن يقول لهم كما يرجو رحمة ربه : إن شاء الله : ابتغاء رحمة الله ، وأما أنا فما عندي ، وما عند الله خير وأبقى .

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٢٩)
 إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

هذه كناية عن التقتير ومن ثم التبذير حيث هما مذمومان ، نهيًا عن التفريط في الإنفاق وآخر عن الإفراط فيه ، أن يتخذ بين ذلك قواما : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢٥ : ٦٧) : وقوام المال ما يقوم بالحياة دون إسراف ولا تبذير ولا تكنيز حين يحتاج صاحبه ، فالقوام في الإنفاق «حسنة بين سيئتين» ^(١) ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢ : ١٩٥) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (٢ : ٢١٩).

نصوص اربعة تحمل بطياتها حملة على البلاء والمبذرين المسرفين ، أمرة بالتوازن الإسلامي السليم في صرف المال سلبيًا وإيجابيًا : ان يد المسلم هي يد الإعطاء مما زاد عن حاجياته ، لا مغلولة الى عنقه ممسكا لا يعطي ، ولا باسطة كل البسط يعطي ولا يبقي ، وإنما قوام بين ذلك وعوان وتوازن هو القاعدة الكبرى في منهج الإقتصاد الاسلامي ، فالبخل غل والتبذير بسط وذل ، هما يقعد انك ملوما تلوم نفسك ويلومك

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٩ عن تفسير العياشي عن الحلبي عن بعض أصحابه عنه قال : قال ابو جعفر لابي عبد الله (ع) يا بني عليك بالحسنة بين السيئتين تمحوهما ، قال : وكيف ذلك يا ابيه؟ قال : مثل قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ...﴾.

الناس ^(١) ، محسورا : عاريا ^(٢) ، حيث الإفراط والتفريط يحسرا نك تعريا عن راحة الحياة ، وتحسرا عليها ، وانه كذلك تهلكة وتضييق في الحياة لا يدعك ان تتحرك فيها .
 فأية الغل البسط ترسم البخل يدا مغلولة الى العنق لا تعطي شيئا والإسراف والتبذير يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا ، وترسمهما معا قعودا كقعدة الملولم المحسور ، كما أية التهلكة يجعلهما فيها جميعا .

(١) الدر المنثور ٤ : ١٧٨٠ . اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن يسار بن الحكم قال أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بَرَّ من العراق وكان معطاء كريما فقسمه بين الناس فبلغ ذلك قوما من العرب فقالوا نأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسأله فوجدوه قد فرغ منه فأنزل الله هذه الآية .

وفي تفسير البرهان ٢ : ٤١٧ الكافي عن علي بن ابراهيم القمي عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال : علّم الله عز وجل اسمه نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده أوقية من الذهب فكره ان تبين عنده فتصدق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيثما لم يكن عنده شيء وكان رحيما رقيقا فأدب الله عز وجل نبيه بأمره فقال : ولا تجعل ... يقول : ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال قد كنت حسرت من المال .

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٧٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو قال بعثت امرأة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابنها فقالت له اكسني ثوبا فقال ما عندي شيء فقالت : ارجع اليه فقل له اكسني قميصك فرجع اليه فنزع قميصه فأعطاه إياه فنزلت الآية وفيه اخرج ابن جرير عن ابن مسعود وذكر مثله وفي آخره فخلع قميصه فدفعه اليه فجلس في البيت حاسرا فأنزل الله هذه الآية ورواه مثله في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٥٨) وفي تفسير علي ابن ابراهيم عن الصادق . (عليه السلام) قال : المحسور العريان ، وفي تفسير البرهان ٢ : ٤١٧ يروي مثله عن ابن شهر آشوب باضافة هي «وبقي في داره عريانا على حصيرة إذ أتاه بلال وقال : يا رسول الله الصلاة فنزلت الآية وأتاه بحلة فردوسية .

فليست التهلكة واللوم والحسرة في بسط اليد فقط ، فانها في غلها اكثر وأبسط ،
وخير الأمور هو الوسط.

فالبخل عن الإنفاق لوم وحسر وتهلكة في الدنيا والآخرة ، والإنفاق في بسط كل
البسط إذا كان في طاعة الله قد لا يحمل حسرا وحسرة ولوما وتهلكة في الآخرة ، وانما قاعدة
الحياة الدنيا هكذا وقد تتخطى الى الآخرة إذا أضرت بها ، كمن ينفق بلغته في غير الواجب
، فلا ينفق على واجبي النفقة إذ لم يبق عنده ما ينفق فيقعد ملوما محسورا.

والحسير هو الدابة التي تعجز عن المسير فتقف ضعفا وعجزا ، كذلك البخيل يحسره
بخله فيقف ، يوقفه المحاويع عن كل حراك كما نراه منهم وجاه الأغنياء البخلاء ، وهذه
تهلكتهم من الشيوعية التي هي وليدة البخل والإجحاف بحق المحاويع.

كذلك ويحسر المسرف في إنفاقه لحد لا يبقى لحاجته الضرورية شيء فيصبح فقيرا^(١)
قتيرا^(٢).

واما ان تنفق في واجبات معينة ام في مستحبات لحد تبقى لنفسك وذويك بلغة ،
فإنفاقك إذا وسط وعفو ، أن تنفق الزائد عن الضرورة وقد يجب في الحالات الاستثنائية.

لا تفتكر أنك إذا لم تنفق كل ما عندك فما ذا يصنع من قتر عليه رزقه وقدر ، ف

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ثم يأمر من بسط في

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٧ ح ١٧٥ . الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الإحسار الفاقة.

(٢) المصدر ح ١٨١ عن محمد بن يزيد عن أبي عبد الله قال : الإحسار الإقتار.

رزقه أن ينفق على من قدر عليه ولكنه بقدر ، دون أن تجعل نفسك في تهلكة لكي تنفق على غيرك.

انه يبسط ويقدر ، وإنه يأمر بالإنفاق ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يبسط ويقدر بخبرة وبصيرة ، ويأمر بالإنفاق الوسط خبرة وبصيرة ، وينهى عن الإسراف والتبذير والتقتير عن خبرة وبصيرة ، فليس على العباد إلا الائتثار بأمره والانتهاز بنهيه ، لا أن يسبقوه ببسط لم يفعله هو ولم يأمر ، ولا أن يعصوه في تقتير لم يفعله ونهى عنه ، فان الله تعالى : «قدر الأرزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها لئبتي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها» (١).

هنا لك واجبات مالية كضرائب مستقيمة ، وأخرى غير مستقيمة كالإنفاق للمحايير الذين لا يجدون بلغتهم ، ومن ثم حرام أن تكنز أموالا وسبيل الله بحاجة إليها ، ثم لا واجب عليك أن تسوي بينك وبين الفقراء ، فالممنوع عدم الإنفاق أو انفاق كل ما تملك ، واما ان تنفق الزائد عن حاجياتك الضرورية فلا يجب إلا في حالات ضرورية.

والعفو في آية العفو هو راجح الإنفاق ، واجبا كان أم راجحا ، انفاق الزائد عن الحاجة الضرورية وهو وسط الإنفاق ، فانفاق الزائد كله وسط أعلى ، وانفاق الزائد بعضه وسط أوسط ، إذ يشمل الضرائب المستقيمة وغير المستقيمة ، وعدم انفاق الزائد جعل لليد مغلوله على العنق ، وانفاق الكل حتى الحاجة الضرورية هو بسطها كل البسط ، فتتعد في غلها وبسطها ملوما محسورا ، والإنفاق الوسط أيا كان يجعلك محمودا محبورا.

لا تجد النبي ولا أحدا من المعصومين يجبرون أو يأمرن الأثرياء من

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام).

حلّ ان يسووا بينهم وبين الفقراء بعد أداء واجباتهم المالية ، اللهم إلا تحريضا على نافلة الإنفاق.

إنما المجبر على الإنفاق هو المقصر في أداء واجباته المالية ، او في تحصيل أمواله سرقة او غصبا او بخسا او احتكارا او اجحافا على العمال ام ماذا من أموال هي للشعب او لاشخاص خصوص ، وأما الأموال التي حصلها من حلها وادي واجباتها ، غير الواقفة والمكنوزة ، فلا تحل مصادرتها ، ولا يجب إنفاق ما زاد عن ضرورة الحياة اللهم إلا لضرورة إسلامية هي أخرى شخصية أو جماعية.

وإنفاق الكنز في سبيل الله أعم من إنفاق الأصل او الفرع الحاصل بالعمل فيه حسب مختلف الحاجيات ، وإذا لم يوجد مورد لأي إنفاق فلا محذور في كنز المال ولكنه موجود على أية حال حيث الحاجيات والمحاييج متوفرة على طول الخط.

ثم قد تشمل آية الغل والبسط تحصيل المال ومصرفه لصاحبه وإنفاقه ، فغل اليد عن كل سعي وحراك في تحصيل الرزق وكذلك بسطها ان يصبح بكل طاقاته سعيًا في طلب الرزق ممنوع ، كما وان غلها عن مصرف المال وبسطها ممنوع ، نهيا عن التفريط والإفراط في هذا المثلث ، وامرا بالوسط القوام بين ذلك ، وكان بين ذلك قواما.

هذه الأوامر والنواهي قد تختص او تشمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يناسب ساحته القدسية وكما يروي عن باقر العلوم (عليه السلام) انها «ادب وعظة وتعليم ونهي خفيف ولم يعد عليه ولم يتواعد على اجتراح شيء مما نهى عنه. وأنزل نهيا عن أشياء حذر عليها ولم يغلظ فيها

ولم يتواعد عليها» ^(١) اللهم الا التبذير ، فانه أخوة للشياطين فلا يشملهم إلا بسطا كل البسط ، وليس منها! ام التقدير ولم يكن منه طول حياته المشرفة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١).

الإملاق هو الإنفاق او كثرته لحد الافتقار و «الإفلاس» ^(٢) تستعمل لازما ومتعديا ، وخشية إملاق كما تعني إفلاس الآباء بالإنفاق. كذلك تعني إفلاس الأولاد ، فأية خشية لإملاق الآباء أو الأبناء ام كليهما لا تقتضي قتل الأولاد كما لا يقتضي إملاق الإنسان دون ولد أن يقتل نفسه حيث الكافل للارزاق إنما هو الله.

وترى لماذا هنا خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ... وفي الانعام ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٦ : ١٥١)؟

إملاق الأنعام هو واقعه دون ما هنا فانه خشيته ، فواقع الإملاق هو للآباء فلكي لا يزداد إملاق على إملاق كانوا يقتلون أولادهم تخفيفا لوطئة الإملاق ، والحل هو ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ابتداء بكم حيث الولد يأتي برزق والديه ، ثم إياهم ، كما يأتي برزقه ، إذا يزول إملاقكم بأولادكم ثم لا يكونوا أمثالكم في إملاقكم.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٠ في اصول الكافي بسند متصل عنه (عليه السلام) في حديث طويل يفسر آيات القضاء تفسيرا اجماليا شموليا.

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٦٠ عن تفسير العياشي عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الحاج لا يملك ابدا قال قلت : وما الاملاق قال : الإفلاس ثم قال : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ورواه مثله عن أبي ابراهيم (عليه السلام) ايضا.

والإملاق هنا هو خشيته ان يملككم ^(١) أولادكم بكثرة الإنفاق فتفلسوا ، والحل ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ فلا يحتاجون إلى إنفاقكم فإملاقكم ، ثم «وإياكم» يزيدكم مالا على مال ولكي لا يكن الولد وبالاً.

إذا ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ خطأ في أصله حيث القتل دون ذنب خطأ ، ثم خطأ على خطأ هو الإملاق او خشيته إساءة الظن بالله ، فان الله هو الرزاق لا أنتم. فكما انكم من مجاري وأسباب ولادة الأولاد فلستم لهم بخالقين ، كذلك أنتم من اسباب ومجاري رزقهم فلستم لهم برازقين.

وترى إن قتل الأولاد من إملاق او خشيته هو هو وأد البنات كما قد يحيل الى بعض؟ كأنه لا ، فهنا الأولاد وهناك الأنثى ، وهنا السبب إملاق او خشية إملاق وهناك الهون : ﴿أَتَمْسُكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ (١٦ : ٥٩) وإذا اجتمع السببان في الأنثى فلا يجتمعان في الذكر.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

هنا الزنا لا يقرب لأنه كان فاحشة وساء سبيلا ، وفي الفرقان يردف بالشرك وقتل النفس ويوعد للثلاثة مضاعف العذاب وخلود النار : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٢٥ : ٦٩) وفي الممتحنة يردف بالشرك والسرقة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ...﴾ (٦٠ : ١٢) مما يجعل الزنا كالشرك بالله والقتل والسرقة. كما انه فاحشة وساء سبيلا.

(١) فإملاق الانعام لازم وهنا متعد.

فكما الإشراك في ناموس الألوهية ظلم عظيم ، كذلك الإشراك في ناموس الإنسانية ظلم عظيم حيث تمجّه الفطرة وغريزة كل حيوان إلا الخنزير!.

وكما أن سرقة المال ظلم فسرقه الناموس كذلك بل هي اظلم وأنكى!.

وكما القتل ظلم كذلك الزنا قتل من جهات شتى ، ولذلك تراه ردفا عطفا متصلا في الممتحنة ، وهنا تتوسط آية التنديد به آيتي النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وليس هذا التوسط وذلك الردف الا لصلة قريبة بينه وبين القتل ، بل وفي الزنا قتلات وقتلات من نواحي شتى.

فانه قتل في البداية لشرف النفس الإنسانية وفطرتها في هكذا تبذل لممارسة الجنس كسفاد الحيوان وأضل سبيلا ، وقتل ثان حيث يراق ماء الحياة في غير موضعها ، وثالث لبذر النسل حيث يهدر إذا لم ينسل ، ورابع قتل الجنين قبل تخلّقه او بعده ، قبل الولادة او بعدها ، ولكي لا يحمل عامل الزنا عيبه وعبأه ، وخامس حين يترك الجنين حياة شريرة شرسة ، مهينة بئيسة تعيسة ، ضايعة في المجتمع متحللة ، وسادس قتلا للجماعة التي يفشوا فيها فتضيع الأنساب والموارث والموذات وصلات القرابات ، وسابع أن سهولة قضاء الشهوة وتنوعها بالدعارة قطع لتداوم الانسال والاسرة التي هي محض لصالح الحياة الإنسانية ، مما تجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة إليها ، على عبئها وحملها ونفقتها وسائر أثقالها ... أبواب جهنمية سبع يفتحها الزنا على عامليه والمجتمع الذي يحويه او يحميه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾!.

وقد صدق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول : «ما

من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له»^(١)
لأنه قتل في جهات قتلات وقتلات.

آيتنا هذه تنهى عن قرب الزنا ، لا فحسب الزنا نفسها ، ترى وما هو اقتراب الزنا
قبل اقترافها. ام هما واحد؟

إن قرب الزنا كقرب مال اليتيم والصلاة وأنتم سكارى المنهي عنها ، هو اقتراب
معداتها ومقدماتها الموصلة بطبيعة الحال إليها ، والمعاصي حمى الله فمن حام حول الحمى أو
شك أن يدخل فيها ، وهكذا الفواحش كلها : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
... وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٦ : ١٥٢ - ١٥٣) ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (٤ : ٤٣) فمن قرب الصلاة دخول المساجد فإنه محرم على السكران
والجنب ، ومن قرب مال اليتيم استدانة ماله دون عائدة اليه ، إلا بعائدة هي احسن ، ومن
قرب الزنا نظرة الى غير ذات محرم فغمزة فلمسة فقبلة ومن ثم العياذ بالله ، فالمقدمات القريبة
الى الزنا حيث تحسب قربها محرمة ، كما البعيدة مكروهة كالجلوس في مجلس متأثر بحرارة غير
ذات محرم ، ثم لا نجد نهيًا عن أي محرم إلا اقترافه دون اقترابه ، اللهم إلا مقدمات موصلة
إليه قطعيا ، واما هذه الثلاث فاقترابها محرم مطلقا حتى ظني الوصول منها لحد يعتبر النظر
المتعمد الى غير ذات محرم من الزنا وان لم يوصل اليه ، مبالغة في التحرز ، لأن الزنا تدفع
إليها شهوة عنيفة فالتحرز عن المقارفة أضمن لمنع المقاربة. ولماذا هذه الحمية الشديدة؟!.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ف «إن» تؤكد و «كان» تضرب تأكيد الحرمة الى
أبعد اغوار الزمن الغابر منذ بزوغ الرسالات الإلهية.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٠ . اخرج احمد وابن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي (ص) ...

﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ والفاحشة هي المعصية والمظلمة والفعلة المتجاوزة الى غير فاعلها
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (٣ : ١٣٥) والمتجاوزة قبحا عن
 حد المعاصي وحتى كبيرتها : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (٥٣ : ٣٢)
 ففي مثني المعاصي ومثلثها ، الفواحش هي «أكبر الكبائر» ^(١) وأفحشها.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦١ ح ١٨٨ في تفسير علي بن ابراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله :
 ولا تقربوا الزنا إن كان فاحشة يقول معصية وتفتأ فإن الله يحقته ويغضه قال وساء سييلا وهو أشد الناس عذابا
 والزنا من أكبر الكبائر.

وفي الدر المنثور ٤ : ١٧٩ . اخرج ابو يعلي وأبي مردويه عن أبي بن كعب انه قرأ : ولا تقربوا الزنا انه كان
 فاحشة ومقتنا وساء سييلا إلا من تاب فن الله كان غفورا رحيمًا فذكر لعمر فسأله فقال أخذتها من رسول الله
 (ص) وليس لك عمل الا الصفق بالبيع ، أقول : «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَيِّئًا» مذكورة في آية النساء :
 ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء الا ما قد سلف ... وليست في الزنا!

وفيه اخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قال قتادة عن الحسن ان
 رسول الله (ص) كان يقول : لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا ينتهب حين ينتهب وهو مؤمن ولا يسرق
 حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يغفل حين يغفل وهو مؤمن قيل يا رسول الله
 (ص) والله ان كنا لنرى أنه يأتي في ذلك وهو مؤمن؟ فقال (ص) إذا فعل شيئًا من ذلك فقد نزع الإيمان من قلبه
 فإن تاب تاب الله عليه.

وفي عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا (ع) الى محمد بن سنان في جراب مسائله في العلل :
 وحرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد الموارث وما أشبه
 ذلك من وجوه الفساد.

في كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) انه
 قال في وصية له : يا علي في الزنا ست خصال ثلاث منها في الدنيا .

فالفاحشة هي عصيان متجاوز حده ، وظلم متجاوز فاعله الى مفعول به او الى الجماعة والى الناشئة ، وهي تعم القولة الفاحشة والفعله والعقيدة الفاحشة ، وقد ذكرت في سبعة عشر موضعا من القرآن ، في مثلث من أبعادها ، مما تختص بالزنا ، ام تشملها وغيرها من لواط وسواه ، ومالا تشملها كالتى في نساء النبي وقوم لوط.

وعلى «كان» الماضية إشارة إلى أن فاحشة الزنا لا تخص هذه الشرعة ، بل هي فاحشة في عمق التاريخ وحتى بين غير المسلمين كما تشهد بذلك شرعتهم^(١).

﴿... إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ حيث الزنا تقطع وتهدم سبيل الإنسانية جماعة وفردى ، من سبيل الفطرة الإنسانية المحبولة في جوهر الذات على الاختصاص في الأهل كالمال بل هو أخرى وأسمى ، حيث يرى الذب عن الأهل وصيانتها من اي انتهاك فريضة كما يصون نفسه بل هو أقوى ، وهذه الغريزة ليست حسدا وشحا بل هي غيرة نجدها حتى في

. وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق واما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار.

فيه عن علي (ع) قال : أربعة لا يدخل منهن واحدة بيت إلا خرب ولم يعمر : الخيانة والسرقه وشرب الخمر والزنا.

(١) في شرعة التورات كان عذاب الزاني القتل وعذاب الزانية الرجم وفي القوانين القديمة بين الهنود ، الزاني يحرق والزانية تلقى بين الكلاب لتفترسها وفي قانون (ليكركوس) عقوبة الزاني كالذي قتل أباه وفي قانون الروم يعدم الزانيان وكانت الزانية في انكلترا يساق بها في البلدان فتضرب حتى تموت وفي آشور كان جزاء الزنا الغرق وفي بعض القوانين الصلب وفي القانون القديم المصري القتل وكان المفتن الشهير الاسبارقي (ليكورك) يستقبح عملية الزنا لحد يرى أنه لا يطرح اسمها في القانون.

الزانيين حيث يغارون على الزانية بعضهم على بعض فكيف بأهلهم الخصوص؟
﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ في تداوم الانسال كما وإتيان الرجال قطع لهذه السبيل **﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾** (٢٧ : ٢٩) سبيل التناسل وسبيل الزواج ، حيث النكاح
سبيل لتشكيل العائلة والناشئة ، وإتيان الرجال قطع لهذه السبيل ، وكذلك الزنا أو هو من
أضل سبيل ، فانقطاع النسل أقل خطرا من نسل الزنا ، حيث الاختلاط في الانسال قطع
لسبيل المودات بين الأبوين والأولاد لمكان التشكيك ، وقطع لسبيل التوارث ، وقطع لسبيل
النكاح وتبني العائلة حيث الرخاسة في قضاء الشهوة بالزنا والتنوع فيها تقطع سبيل تشكيل
العائلة على عبء النفقة وتربية الأولاد ومقاسات المشقات في حراسة الأهل والأولاد ، رغم
أن الزواج يزيد في الرزق كما «الزنا يورث الفقر»^(١). وقد قيل لبعض هؤلاء لم لا تتزوج؟
فقال : وماذا اصنع بالزواج وجماعات من النساء نسائي^(٢).

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٠ . اخرج الطبراني والحاكم وأبي عدي والبيهقي عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال :
الزنا يورث الفقر.

(٢) وإليكم طرفا من اشاعة فاحشة الزنا بين الغربيين والمغربيين وما خلفته من عار ودمار : ففي فرنسا أصبحت
امراض المقاربة خلال عشر سنين بين الناشئة الأقل من عشرين سنة ٣٨٠ في المائة (١) وفي امريكا وانكلترا يعلن
وزارة الصحة ان امراض المقاربة أخذت تسرع في الناشئة أكثر من الزانيات الرسميات (٢) وتكتب جريدة (سان
لندن) حسب إعلان قسم الجراحة في لندن ، في كل أسبوع خمسون بنتا في أقل من ١٤ سنة تسقط جنينها (٣)
وفي (زن)

(١) زن روز العدد ٤٠٣ .

(٢) مجلة الاطلاعات العدد ٣٠١٤٣٨٥ و ٢ و ١٣٥٣ .

(٣) مجلة جوانان ٣٠ بهمن ص ٣٣ .

ففي التناسل بالزنا سبيل التقاطع والتشاجر ، وفي تركه بسقط الجنين سبيل للقتل وقطع النسل ، وفي منع الولادة سبيل للضغط على الفاعلين ، وفي هذه الشركة النحسة في النواميس قطع لسبيل المودة وفتح لسبيل العناد ولسبيل تفشي الأمراض الخلقية والجسمية وكل فساد.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

لهذه وتلك كما تمنع الآيات عن اقترافه كذلك المنع عن اقترابه ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ﴾ وعن مشجعاته كالتناكح بين المؤمنين والزانيات والزانيات والمؤمنات كما في آية النور : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٤ : ٣).

حيث تقرر الزاني بالمشرك والزانية بالمشركة ، ثم تحرم التناكح بين المؤمن والزانية كما المشركة ، وبين المؤمنة والزاني كما المشركة مما يجعل فاحشة الزنا كفاحشة الإشرار بالله. ومن ثم آية المائدة تحلل المحصنات من الذين أوتوا الكتاب على المسلمين كما تحلل المحصنات من المؤمنات ، دون الزانيات وإن كن من

روز العدد ١١٠٩) مع توفر الأدوية المخترعة الجديدة والعلاجات الدقيقة ووجود أكثر من ٦٥٠ مستشفى الخاصة بأمراض المقاربة نجد ٤٠٠٠ ماتوا بسبب هذه الأمراض وفي (جريدة اطلاعات ٥٥ . ١١ . ٦) من كل سنة ، تجبل مليون بنتا تدرس في أمريكا ٣٠٠٦٠٠٠ منهم دون ال (١٥) من العمر والباقية بين ١٦ . ١٩ سنة ، ومن السنة ١٩٦١ لحد الآن (١٥) سنة أصبحت المواليد غير المشروعة من البنات بين ١٦ . ١٧ سنة تزيد على ٧٥٪ ، وثالث الأجنبية المسقطه يختص بالناشئات (٤) ونجد في لندن في كل سنة ٥٠٠٠٠ سقطا جنائيا (٥). وفي أمريكا سنويا حوالي مليون عملية إسقاط جنين من الروابط غير المشروعة (٦).

(٤) جريدة اطلاعات ٦ / ١١ / ٥٥ .

(٥) جريدة كيهان العدد ٥٣٥٦ .

(٦) مجلة سبيد وسياه العدد ٣٧٠ .

المسلمات : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾ (٥) :
(٥) وهي آخر ما نزلت ، ناسخة غير منسوخة.

ثم آية النساء في تحريم المحارم نسييات ام سببيات ورضاعيات تحلل ما وراء ذلك على شرط الإحصان : ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ...﴾ (٤ : ٢٤) وهذا التحليل اضافة الى كونه نسييا لا اطلاق فيه مستقرا ظاهرا ، إنه محدد بالإحصان : إحصان المنكوحة والناكح ، وتقييده بإحصان الناكح مخالف لتصريحة آية النور والمائدة ، فنكاح الزانيات قبل التوبة محرم على المؤمنين كإنكاح الزانين بالمؤمنات ، اللهم إلا إذا تابت او تتوب ام تاب او يتوب فحل ، وقد يجب نكاح الزانية إذا كان نهيها عمليا عن الزنا ، او يكره إذا كانت متهمة دون اثبات ، واما الشهير والشهيرة دون توبة او انتهاء عن الزنا فإنكاحه بمؤمنة ونكاحها المؤمن محرم يعتبر ردفا بالزنا ، فانه تشجيع للزنا ، ومسايرة ومما شاة فيها ، ولا اقل يكون هذا التمانع نهيها عمليا عن الزنا ، لكي يرى مقترف الزنا نفسه في زاوية منعزلة عن الحياة الشريفة الإسلامية ، في جو الدعارة او الشرك ، ولكي ينتهي عن الزنا إن كان مسلما له بقية او بغية من الإيمان.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

النفس هنا هي الإنسانية دون سائر الحيوان حيث النفس لا تأتي في سائر القرآن إلا للإنسان ، اللهم إلا في يتيمة تعني ذات الله : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وهي غير معرضة لقتل وأمثاله!

فمن النفوس الإنسانية ما حرّمها الله تعالى لحدّ لا يحق قتلها بأي سبب كالصالحين الذين لا يأتون بسبب لقتلهم بالحق ، فلا يقتلون إلا مظلومين : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ (٢١).

ومنها ما حرّمها مبدئياً فلا تستحق قتلاً إلا بالحق ، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدّد لا غموض فيه ، وليس متروكاً للآراء وتأثرات الأهواء ، وهذه هي المعنيّة ب ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ .

ومنها غير المحرمة مبدئياً كمن يعيش صدا عن سبيل الله ، تكذيباً بآيات الله ، حرباً لدين الله ، فهذه لا حرمة لها عند الله ، وهي المعنيّة بالنفس التي لم يحرمها الله . ولا نرى النهي عن قتل النفس في سائر القرآن إلا موصوفة ب ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ كما هنا وفي الانعام (١٥١) بصيغة واحدة : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وفي الفرقان : ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٦٨) ولكن في النساء : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) حيث المخاطبون هم المسلمون المحرمة أنفسهم عند الله . وتتميز آية الأسرى بذيلها ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا...﴾ .

فإذا تبين حقّ على النفس التي حرم الله . يحكم بقتلها . فقتلاً ، وإذا لم يتبين فلا تقتلوهما حيث الحق غير ثابت ، وإذا تبين في ميزان الله أنه لم يحرمها فقتلاً ، وإذا ترددنا في حرمتها أو حلها في أصلها ، هل هي صادة عن سبيل الله ، مكذبة بآيات الله أم ماذا؟ فلا يحل قتلها ، وإن كان النهي في آياته لا يشملها ، حيث القتل كسائر التجاوز مالياً أم عرضياً أم ماذا بحاجة الى تجويز ، فالأصل في النفوس والأموال والأعراض حرمتها وعدم حل التجاوز عليها إلا بدليل قاطع قاصع لا مردّ له ولا حول عنه .

إنه حسب التكوين ودليل العقل حقّ لكل نفس أن تحيى مبدئياً حيث أحيها الله ، فلا يحق القضاء عليها إلا بقضاء الله ، وفيما نشك فيما علينا وما لنا أن نميت ما أحياه الله .

صحيح أن الأصل في كل شيء حلّه حتى يتبين غير حلّه ، ولكنما الأصل في خصوص التجاوزات عدم الحل كما العقل والشرع يتجاوبان.

والنفس المشكوك حلها وحرمتها وان كان محرما قتلها ظاهريا ، ولكنها ليست بالتي قتلت ظلما لمكان الشك ، فلا يشملها ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا...﴾ فبدليل تحريم ظاهريا وبدليل تحل واقعيها ، وفيما لا دليل على حل او حرمة تبقى على أصالة الحرمة ، وإن كانت آيات النهي لا تشمل الأخير ، ولكن الآية : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ ومعها دليل العقل ودليل الأصل ، تنهى وان كان ظاهريا.

فالمضابطة القرآنية في قتل النفس أنه لا يجوز إلا بحق ثابت كردّة عن فطرة او قتل عمد ام لواط ام زنا محصن ام ماذا من مجوزات او موجبات القتل المحددة شرعا.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ نفس محرومة محترمة لا حق ثابتا عليها ، كمؤمن متهم بحق غير ثابت ، ام لا حق عليها وإنما لها كالشمس في رابعة النهار ، مثل النفوس المقدسة الطاهرة المعصومة ، المقتلة المحطمة المظلومة ، علي والحسن والحسين (ع) وسائر العترة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين^(١).

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ فلولي الدم سلطة شرعية محدّدة في ميزان الله ، لا تفريط عليه : ألا يحق له قصاص ام دية ، ولا إفراط له : ان يسرف في القتل ، قتلا لغير القاتل قل او كثر ، او قتلا للقاتل زائدا عما

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٢ ح ١٩٥ في من لا يحضره الفقيه عن أبي عبد الله (ع) قال : الكبائر سبع فينا أنزلت ومن استحلّت . الى قوله . : واما قتل النفس التي حرم الله . فقد قتلوا الحسين بن علي وأصحابه والعياشي في تفسيره عنه (ع) بسند آخر في الآية : فقد قتلوا الحسين في أهل بيته.

قتل ، وانما قتلا بقتل في كفه وكيفه دون إفراط ولا تفريط ، بل هو عوان عادل ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ :

ليس لولي الدم إسراف في القتل ولماذا يسرف؟ أحمية على المقتول؟ فليست لتدفعه الى إسراف في القتل في ميزان العدل ، ام للأخذ بثأره ويكفيه بسلطانه الشرعي قصاصه ، ام يسرف لكي يحصل على حقه العدل وهو منصور من الله بذلك السلطان ، كما المقتول منصور منذ قتل حتى يقتص من قاتله في الدنيا ام في الآخرة (١).

فليس هذا السلطان لولي الدم مستغلا يستغل في الانتقام الإسراف ، تجاوزا الى غير القاتل إن لم يجد إليه سبيلا ، ام قتله مع القاتل كما كان في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والأبناء أم من ذا من أقارب وأخصاء القاتل ، من غير ذنب إلا انهم من أسرته ، ام . وأخيرا . قتل القاتل صبرا بمثله ام ماذا (٢) وقد نهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المثلة ولو بالكلب العقور (٣). وقال (ص) «إن الله كتب الإحسان على كل شيء

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٢ ح ٢٠٠ تفسير العياشي جابر عن أبي جعفر (ع) قال : نزلت هذه الآية في الحسين (ع) ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا... فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ : قاتل الحسين (ع) ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ : قال : الحسين (ع). وفيه ح ٢٠١ عن سلام بن المستنير عنه (ع) في الآية قال : هو الحسين بن علي (ع) قتل مظلوما ونحن أوليائه والقائم من إذا قام طلب بثأر الحسين (ع).

(٢) في نور الثقلين ٣ : ١٦٢ عن الكافي بإسناده عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي الحسن (ع) ان الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ فما هذا الإسراف الذي نهى الله عنه؟ قال : نهى ان يقتل غير قاتله ، او يمثل بالقاتل ، قلت : فما معنى قوله : إنه كان منصورا؟ قال : وأي نصره أعظم من ان يدفع القاتل الى اولياء المقتول فيقتله ولا تبعة تلزمه من قتله في دين ولا دنيا.

(٣) الدر المنثور ٤ : ١٨١ . اخرج ابن أبي شيبة عن يعلى بن مرة قال سمعت رسول الله .

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة^(١).

إن الفطرة الإنسانية ومعها العقل ومعهما الشرع ، ومع الكل الجماهير الإنسانية . بما جعل الله . تجعل لولييه سلطانا عادلا في الثأر ، وأجهزة القضاء العدل الإسلامي مكلفة بتحقيق سلطانه ، فليكن عدلا في سلطانه دون ان تأخذه حمية الجاهلية .

وترى إن هذا السلطان سواء فيه أكان القاتل والمقتول سيان ، ام أحدهما رجل والآخر امرأة؟ ام المختلفان مختلفان حيث ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى...﴾ (٢ : ١٣٨)؟ إذا فلا سلطان في الثأر إلا إذا كان المقتول رجلا والقاتل أيا كان؟.

الجواب : أن السلطان لولي المقتول كائن فيما هما متساويان ام مختلفان ، ولأن الرجل لا يقتل بالمرأة ، فليدفع الولي نصف الدية حتى يقتل الرجل بالمرأة وهذا هو السلطان العدل في الثأر ، حفاظا على حق المقتول وولييه ، وحفاظا على قيمة الرجل الضعف قياسا على المرأة.

وقتل النفس ليس بذلك السهل إلا بالحق ، قتل النفس غير المحرمة مبدئيا ، وقتلها محرمة قصاصا عدلا ، ام ماذا من الحق في ميزان الله إذ يزيل حق الحياة عن هذه النفس ، واما القتل في غير حق ، ام ما لم يثبت حقه فغير مسموح في شرعة الله . وترى «إذا اجتمع العدة على قتل رجل واحد» فكيف إذا سلطان

. (ص) قال قال الله : لا تمثلوا لعبادي وفيه عنه (ص) نهي (ص) عن المثلة

(١) الدر المنثور . اخرج ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله (ص).

القصاص ، أَيْ قَتَلَ الْجَمِيعَ؟ وَهُوَ إِسْرَافٌ! أَمْ وَاحِدٌ؟ وَهُوَ تَرْجِيحٌ بِلَا مَرَجَحٍ فَاجْحَافٌ!
 قَدْ يُقَالُ : إِنْ لَوِيَ الْمَقْتُولُ قَتَلَ الْكُلَّ بَرْدَ مَا فَضَّلَ عَنْ دَيْتِهِ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِينَ ، أَوْ
 قَتَلَ الْبَعْضَ فَيَرُدُّ الْبَاقُونَ حَسَبَ جَنَائِهِمْ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتَصِّ مِنْهُمْ ، فَإِنْ كَانَ وَاحِدًا يُؤْخَذُ مِنَ
 الْبَاقِينَ حَسَبَ نَصِيْبِهِمْ مِنَ الْجَنَايَةِ وَيَرُدُّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتَصِّ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ فَلْيَرُدِّ وَلِيَ
 الْمَقْتُولِ دِيَةَ الزَّائِدِ عَنِ الْوَاحِدِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ، كَمَا يَرُدُّ سَائِرَ الشَّرَكَاءِ نَصِيْبَهُمْ ، قَصَاصًا عَدْلًا
 عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا فِي صَحِيْحَةِ إِسْرَافٍ فِي الْقَتْلِ وَتَخَلُّفٍ عَنْ ﴿النَّفْسِ بِالنَّفْسِ﴾
 ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
 مَسْئُولًا﴾ (٣٤).

﴿لَا تَقْرُبُوا . إِلَى . أَشُدَّهُ﴾ ثَنِي فِي الْإِنْعَامِ (١٥٣) بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . كَمَا هُنَا ، وَقَرَّبَ مَالَ الْيَتِيمِ لَا يَعْنِي . فَقَطْ . إِنْ تَتَصَرَّفُ فِيهِ غَضَبًا ، فِ ﴿إِلَّا
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تَحْرِمُ كَافَةَ الْمَحَاوَلَاتِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِمَالِهِ ، فَلَيْسَ
 لَوْلِيهِ أَمْ سِوَاهُ أَنْ يَسْتَدِينَهُ دُونَ عَائِدَةٍ وَقَرْضًا حَسَنًا وَلَا أَنْ يَبْقِيَ عِنْدَهُ دُونَ أَيِّ تَصَرَّفٍ
 وَبِمَكَانِهِ دُونَ عَسَرٍ وَلَا حَرْجٍ أَنْ يَسْتَتِمِرَ لَهُ ، فَالْمَفْرُوضُ عَلَى وَلِيِّ الْيَتِيمِ أَحْسَنُ الْمَحَاوَلَاتِ فِي
 مَالِهِ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ حَيْثُ زَالَ يَتِمُّهُ فَلَا يَبْقَى ظَرْفٌ لِقَرْبِهِ سَيِّئًا أَوْ حَسَنًا أَوْ
 أَحْسَنَ ، كَمَا آيَةُ النِّسَاءِ تَأْمُرُهُمْ : ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ فَلَا
 يَجُوزُ إِذَا إِبْقَاؤُهُ عِنْدَهُ وَقَدْ بَلَغَ النِّكَاحَ وَرُشْدَهُ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَتِمَرَ لَهُ كَأَحْسَنَ مَا
 أَمْكَنَ ، فَفِي حَالَةِ يَتِمُّهُ يَقْرَبُ مَا لَهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ ، وَإِذَا بَلَغَ
 أَشُدَّهُ يَدْفَعُ إِلَيْهِ وَلَا يَقْرَبُ أَيَّ قَرَبٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

ثمَّ الْأَشَدُّ جَمْعُ الشَّدِّ وَأَقْلَهُ ثَلَاثَةٌ ، يَجْرِي عَلَيْهِ قَلَمُ التَّكْلِيفِ فِي شَدِّ

العمر ببلوغ السن ، او شد الجسم ببلوغ النكاح الاحتلام ^(١) ومن ثم شد العقل الرشد في تصرفات مالية صالحة ، والشد الأخير هو الحد الأخير في ﴿وَلَا تَقْرَبُوا...﴾ فلا يجوز دفع اموال اليتيم اليه حتى ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ لا في الشد الأول ببلوغ السن ام بلوغ النكاح ، وانما بلوغ الرشد والحكمة في تصرفات صالحة. فبالغ العمر او النكاح مشدود بقلم التكليف ، فأحدهما كاف في جري القلم وهو بعد يتيم؟! وبالع الرشد الحكمة يزول يتمه تماما يدفع إليه ما له ^(٢) فلا يجوز دفع ماله قبل تمام الأشد وان بلغ شدا او شدين ، وإنما «أشده» : عمرا وجسما وعقلا. وترى ان الشدين الأولين هما لزام الحكم وان بلغ شده الأخير قبلهما ،

(١) تفسير البرهان ٢ : ٤١٩ . العياشي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) أن نجدة الحروري كتب الى ابن عباس يسأله عن اليتيم متى ينقطع يتمه فكتب اليه ابن عباس اما اليتيم فانقطاع يتمه إذا بلغ أشده وهو الاحتلام.

وفي رواية اخرى عن عبد الله بن سنان قال سئل أبي وانا ما حازم عن اليتيم متى يجوز أمره؟ فقال : حين يبلغ أشده قلت : وما أشده؟ قال : الاحتلام ، قلت : قد يكون الغلام ابن ثماني عشرة سنة لا يحتلم أو أقل أو أكثر ، قال : إذا بلغ ثلاث عشر سنة كتب له الحسن وكتب عليه الشيء وجاز امره الا ان يكون شقيا أو ضعيفا. وفي نور الثقلين ٣ : ١٦٣ ح ٢٠٣ في من لا يحضره الفقيه روى منصور بن حازم عن هشام عن أبي عبد الله (ع) قال : انقطاع اليتيم الاحتلام وهو أشده و ٣٠٤ روى الحسن بن علي الوشا عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا بلغ الغلام أشده ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب في المحتلمين احتلم او لم يحتلم وكتب له. الحسنات وجاز له كل شيء إلا أن يكون ضعيفا أو سفيها. أقول : ليس الأشد فقط الاحتلام أو بلوغ العمر ، وانما بلوغ الرشد حيث يجوز امره في ماله كما في آية النساء ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ والأشد جمع الشد كما في المتن.

(٢) راجع ص ٣٥ ج ٢٦ تفسير الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

علّه نعم حيث النص ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أو عله لا فإنهما قبل الأخير في الأكثر دون تدخل لهما في كمال البلوغ ، والرشد العقلي هو الأصيل ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ فبلوغ الأشد . إذا . وارد مورد الأغلب ، والأحوط الجمع بين الحفاظ على ماله ، وأن يتصرف وليه حسب مشورته ، وإن كان الأقوى جواز دفعه إليه ، ووجوبه عند المطالبة كما للبالغ أشده .

إذا فتصرفات اليتيم في ماله قبل أن يبلغ أشده محرمة ، وعلى وليه الرقابة التامة عليه ابتلاء له حتى يبلغ النكاح ويبلغ رشده وفيه تكملة أشده حيث يستوي : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى...﴾ (٢٨ : ١٤) حينذاك يتصرف في ماله : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ (١٨ : ٨٢) .

فالمجنون محجور حتى يعقل ، والسفيه محجور حتى يعقل ، والصغير محجور حتى يبلغ ، واليتيم محجور حتى يبلغ أشده ^(١) رقابة عليه أكثر من الصغير غير اليتيم ليطمه ، ولأن الولي لغير اليتيم يراقبه بطبيعة الحال .

﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

العهد هنا جنسه دون اختصاص بنوع خاص ، تشمل عهود الله على عباده ، وعهودهم له عليهم ، وعهود بعضهم لبعض على أنفسهم ، وتعاهدتهم فيما بينهم ، فالوفاء في كل ذلك فرض حسب المستطاع لا حول عنه .

نرى الوفاء بالعهد : أي عهد . من أهم الواجبات المؤكدة المشددة ، لأنه مناط الثقة والاستقامة والنظافة في ضمير الفرد وحيوية الجماعة ، ولقد

(١) حيث ان بلوغ التكليف دائر موارد احد الأمرين : الاحتلام وهو بلوغ النكاح شدا للجسم ، وبلوغ السن وبمرشد العمر . وإيناس الرشد هو شد للعقل .

بلغ الإسلام في واقعه التاريخي وعرج قمة رفيعة في الوفاء بالعهد حتى مع الكفار ، لم تبلغه البشرية إلا في ظلاله.

هناك عهود من الله على العباد : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦ : ٦١) ويتكرر ذكر هذا العهد بصيغ شتى تختصر في كلمة التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (٣٣ : ١٥).

ثم هنالك عهود منهم لله على أنفسهم : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (١٦ : ٩١) ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٣٣ : ٢٣).

ومن ثم عهد من الله ان يستجيب دعوتهم : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٤٠ : ٦٠) شرط وفاءهم بعهده : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ (٢ : ٤٠).

ثم عهود إلى العباد حتى الكفار يجب الوفاء بها إلا إذا هم نقضوا عهودهم فكيف بعهود المؤمنين : ﴿وَالْمُؤْفِقُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (٢ : ١٧٧) ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) ... كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) .. وَإِنْ نَكُوثُوا أَيَّمَاكُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (٩ : ١٢).

وإذا كان الوفاء بعهد المشركين فرضا على المؤمنين ، فبأحرى فرض الوفاء بينهم أنفسهم ، ثم عهدهم إلى الله ، ثم عهد الله إليهم ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ كل حسب المسؤولية وثاقا في العهد وكيانا للمعهود له وعليه.

ثم العهد منا لزام علينا إذا لم يكن في محرم أو حل لا يستطيع ، كما النذر واليمين ،
والعهد الصالح الواجب الوفاء يعم كافة العهود ، الملتزمة على المعاهد ، سواء أكان بين
أشخاص أم جماعات أو شخص وجماعة أم دولة أو مع شعبها أم ماذا ، ولا نقض في العهد
أيا كان إلا جزاء النقض وفاقا ، أو كان خطأ يرجع بالضرر الى المعاهد جماعة وفردا ، ولا
سيما الضرر على الإسلام فانه عهد محرم أو لا يستطيع ف (لم يجعل الله رخصة في الوفاء
بالعهد للبر والفاجر) ^(١).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥).
هنا أمر بإفاء الكيل إذا كيل ووزن الموزون إذا وزن بالقسطاس المستقيم. ثم لا ذكر
عما يعامل فيه عدّا حيث لا يكال ولا يوزن ، لأنهما الاكثريّة الساحقة في المعاملات دونه ،
لذلك لا نجد ما يصرح بالعدّ إلا يتيمة تشمله ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ﴾ (٧ : ٨٥) حيث الأشياء تشمل المعدودات ، وأخرى تنهى عن مطلق الإخسار
: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (٢٦ : ١٨١).

وقد يشمله الوزن حيث يعم وزن الثقل والعدد فتشمله آيات الوزن. بالقسطاس
المستقيم والميزان بالقسط.

وإن إيفاء الكيل وإقامة الوزن هما من مصاديق الوفاء بالعهد ، حيث المعاملة تعاهد
وأمانة في التعامل فلتكن موفية مستقيمة يستقيم بها التعامل

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٤ ح ٢٠٥ في كتاب الخصال عن عنبسة بن مصعب قال : سمعت أبا عبد الله (ع)
يقول : ثلاثة لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصة ، الى قوله: والوفاء بالعهد للبر والفاجر.

في الجماهير ، والثقة في النفوس والبركة في الحياة و «ذلك» الوفاء والقسط «خير جماعة وفردى ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ في الأولى والاخرى ، من تأويل المأخذ : الفطرة والعقل والشرع. وتأويل النتيجة في الحياة الدنيا والآخرة.

فالبخس في التعامل قذارة نفسية وخيانة على الأنفس تتزعزع به الثقة ويتبعها الفساد والكساد وتقل به البركة.

فساد وكساد في نفس الباخس النحس ، وفي أنفس الجماعة هما شر وأنحس تأويلا. وليس الأحسن هنا مقابل الحسن فان البخس ليس حسنا اللهم إلا ادعاء جوفاء ، فانه حسن بزعم الباخس أنه يربح أكثر من حقه ، وإذا كان حسنا حاضرا في هذا القياس فالإيفاء أحسن تأويلا في مثلث الزمان حيث يؤول ويرجع الى الحسنى في ميزان الله وإلى الحياة الاقتصادية ايضا ، حقيقة يدركها بعيدوا النظر وذووا البصر في التجارة ، وإن لم يكن هناك دافع خلقي او حافز ديني ، فمجرد إدراكها في الواقع التجاري بالتجربة العملية كاف ، وإذا التزمها عقيدا فنور على نور ، حيث تصبح لازما لحياته دون تخلف ، نبعه تنبع من القلب فترش وتنزف على القلب اضافة الى نظافة القلب والتطلع في نشاطه العملي الى آفاق أعلى واجواء أسمى.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦).

آية وحيدة في صيغتها الخاصة : ﴿وَلَا تَقْفُ ...﴾ وأدلتها الخاصة : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ...﴾ تختص اقتفاء المسلم واتباعه بما له علم دون ما دونه من ظن او شك او احتمال ، وتحمل مسؤولية افتناء غير العلم ﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾.

وفي سائر القرآن آيات عدة تنهى عن اتباع الظن ^(١) وتامر باتباع العلم او اثاره من علم ^(٢).

«لا تقف» من القفو : الإتياع المختار ^(٣) لفظيا او فكريا او عقيدا او عمليا ، فنقل غير المعلوم دون نقد قفو ، واعتقاده قفو والعمل وفقه قفو وأنت في كل ذلك مسئول ، دون فرق بين الأصول والفروع في صيغة النهي ^(٤) ولا صبغة الفطرة السليمة ، تجاوبا بين كتابي التكوين والتشريع في لزوم اتجاه الإنسان الى صلب الواقع ما وجد إليه سبيلا.

وهنا «علم» وليس «العلم» لكي تشمل درجات العلم مما تطمئن النفس ، ظنا متآخما الى العلم ، ثم علما : من علم اليقين او عين اليقين او حق اليقين ، سواء أكان علما لك ميسورا بما تبرهن من براهين ، او علما لمن تعلمه عالما ثقة فتتبعه فيما لا تجد لنفسك سبيلا ، فهذا علم بعلم ، وذلك علم ، فيشملهما «علم» كما شمل سائر ما يطمئن الإنسان. وترى ان الآيات هي مظنونة الدلالة ومنها هذه ، فكيف يستدل بها

(١) راجع ص ٤٣٢ ج ٢٧ من الفرقان تحت عنوان : كلام في العلم والظن.

(٢) راجع ص ١٠ ... تحت عنوان : كتاب او اثاره من علم.

(٣) حيث الإتياع أعم من المخير والمسير ، المكروه والمختار ، ولكنهما القفو هو المختار فقط ولذلك اختير على الإتياع.

(٤) لا سيما ان هذا النهي واقع بين احكام فرعية من واجبات ومحرمات ، وليس فيها من اصول الدين الا «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أولا وأخيرا وليربط كافة الفروع الى اصل الأصول : التوحيد ، وأيضا لا يصلح هذا النهي للتقيد فإنه من القضايا التي قياساتها معها ، فما ليس للإنسان به علم وله طريق الى العلم لا يقفي ويصطفى غير المعلوم على المعلوم ، ثم وليس هناك ادلة من كتاب أو سنة تسمح باتباع غير العلم حتى تأتي مقيدة للآية ، فإن موارد الأصول العملية هي الشك الذي لا طريق فيه الى العلم والمكلف بين نفي وإثبات ، وهذه الموارد خارجة عن نطاق الآية فانها تختص بما يوجد فيه طريق الى العلم.

على المنع من اتباع غير العلم؟ ...

هذه طنطنة أصولية هراء : «ان القرآن قطعي السند ظني الدلالة والحديث ظني السند قطعي الدلالة» فمن الحديث ظني الدلالة وهو الكثرة الساحقة ، وهذه الكثرة لا توجد في الدلالة القرآنية حيث الاعجاز القمة في بلاغته وفصاحته الدلالية يقضي على الدلالة الظنية ويجتثها من جذورها ، ولا سيما في آيات الأحكام والمعارف الأصلية فانها صريحة مهما كانت بحاجة الى تأملات وتدبر ، وليس في آية القفو ما يريب في دلالتها فلا نطمئن بمدلولها!.

او ان «علم» هنا يشمل الظن وكما في آيات اخرى منها ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (٣ : ٤٥).

ولكنه «علم» والعلم فقط ، ولم يعن العلم فيما يعنيه ظنا ولا الظن علما : فكل يعني معناه لا سواه ، والظن في الآية ظن القلب وهو من أوسط العلم في العقل ، ولو ان الظن يستعمل في العلم بقرينة . ولا يستعمل . فلا يعني ذلك استعماله فيه دون قرينة ، او ان العلم يعني الظن دونها!.

واتباع أصول كأصل البراءة والاستصحاب والظاهر ام ماذا من أصول في مواردها ليس اتباعا للظن ، حيث لا يشترط فيها حصول الظن بل هي اصول تتبع بدلالة العقل والشرع فيما لا دليل على مواردها ، فاتباعها إذا اتباع للعلم وان لم يحصل به علم ولا ظن ، أو لان الأصول لا ترد الا في موارد الشك حيث لا سبيل الى علم ، فهل يبقى المكلف دون نفي او اثبات؟ والتكليف باق في نفي او اثبات! ام يقفوا خلاف هذه الأصول وهو قفو للمرجوع عقليا وعاديا ، ونقض لليقين المتعود بالشك كما في موارد

الاستصحاب والبراءة والظاهر؟ ... ثم إنها لا تقرر حكما وإنما تبين موضوعات لأحكامها إذ لا نجد سبيلا علميا إليها ، ومورد النهي عن إتباع غير علم مخصوص بما نجد لعلم إليه سبيلا. أم لا نجد ولا تكليف ثابتا بنفي أو اثبات ^(١).

والضابطة الإسلامية السارية هي اتباع علم ما أمكن ، وإلا فلا اتباع ولا متابعة إلا بدليل قاطع من كتاب أو سنة ثابتة أو حس أو عقل أم ماذا ، كما الأصول العملية ثابتة بالكتاب والسنة ودليل العقل وهي خارجة عن محور الآية.

فالقياسات والإجماعات والشهوات والروايات التي لا توافق الكتاب والسنة أو تخالفهما ، أنها لا تقف إذ لا تفيد علما ولا اطمئنانا ، أم نطمئن بخطاها كالتضاد الكتاب أو السنة الثابتة ، حيث الأدلة القاطعة تطاردها.

إذا فلا نقفوا ما ليس لنا به علم. ولم تخصص الآية كثير تخصيص حتى تسقط عن الدلالة العلمية ، ولا قليله حيث الأصول غير العلمية التي نقفوها إنما نقفوها بعلم من كتاب أو سنة أو اثارة من علم ولا سبيل في مواردها إلا احكامها.

هناك علمي وهنا علم ، والعلمي ما يستند الى العلم كحجية الأصول العملية والشهادات ام ماذا من حجج شرعية ، دون خروج عن ضابطة الآية. وكما العلم علمان : اجتهادي وتقليدي.

فالتثبت عن كل خبر وكل ظاهرة وحركة قبل نقلها والإعتقاد بها

(١) فإذا تشك أو تظن ان فلانا زنى تجد سبيلا الى علم او لا تجد ليس عليك شيء ، ولكنك إذا كنت مديونا ثم تشك انك أديته أم لا هنا عليك تكليف ان وجدت سبيلا الى علم وتكليف آخر ان لم تجد هو اشتغال الذمة استصحابا ...

والحكم عليها ، والعمل وفقها ، إنه دعوة قرآنية صارمة سارية ، ومتى استقام السمع والبصر والفؤاد على هذا المنهج لم يبق بعد مجال للأوهام والخرافات في المعتقدات ، ولا مجال للظنون والشبهات في الأحكام والاقضية والتعاملات ، ولا مجال في العلوم للافتراضات والحدسيات ، حيث يتبنى الإنسان حياته في كل الجهات حياتا علمية دون تحكم للظنيات ، اللهم إلا المسنودة الى علم ، او الاستفادة من علم ، فيما لا سبيل الى العلم ، والضرورة قائمة بنفي او إثبات ، كما في موارد الأصول العملية والشهادات ، تداوما في سير عجلة الحياة.

هناك طريقة آفاقية لعلم او ظن ام ماذا ، هي السمع والبصر ، واخرى انفسية هي الفؤاد ، ففيما تسمع حق وباطل ، وفيما تبصر حق وباطل ، وفيما تعتقد فطريا او فكريا وعقليا وفي الفؤاد حق وباطل ، وبين الحق والباطل أربع أصابع ، فما تسمعه أكثره الباطل وما تبصره اقله الباطل. وما تتفأده فيه حق وباطل ف ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

ان السمع والبصر في تلقيهما ما يتلقيان ، ثم ما يلقي منهما بلسان او قلم او اعتقاد او عمل ام ماذا ، إنهما مسئولان! ف «أما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء كان حقا على الله ان يذيه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال» ^(١) «ومن قفا مؤمنا بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» ^(٢) و «من بهت مؤمنة

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٢ . اخرج الحاكم وصححه ن أبي ذر قال قال رسول الله (ص) ...

(٢) المصدر اخرج ابو داود وابن أبي الدنيا في الصمت عن معاذ بن انس عن النبي (ص) من حمي مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن قفا.

أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال»^(١).

ثم الفؤاد وهو القلب المتفند المشتعل المشتغل بما اعتقده او عقده ، اشتعال النور بالحق او النار بالباطل ، ومعه معداته بما يتفاد ، إنه مسئول ، حيث يفعل او يقول ما اعتقده دون علم!.

إنها امانة كبرى للجوارح كلها وأهمها السمع والبصر ، وللجوانح كلها وأهمها الفؤاد ما يأخذه الإنسان وما يؤتيه ، اللهم إلا فقوا العلم.

امانة ترتعش اركان كيان الإنسان لجسامتها وضخامتها في دقتها : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ : مسئولية تضرب إلى اعماق الزمن منذ جرى عليه قلم التكليف.

ف «ليس لك ان تتكلم بما شئت»^(٢) حيث الإنسان مسئول عن كل ما يفعل او يعتقد او يقول ف «السمع وما وعى والبصر وما رأى والفؤاد وما عقد عليه»^(٣) كل أولئك مسئول.

(١) نور الثقلين : ١٦٤ ح ٢٠٦ في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في الآية قال : «لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقال رسول الله (ص): من بهت ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٦٥ ح ٢٠٩ في كتاب علل الشرائع بإسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال حدثني علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه قال قال علي بن الحسين (ع): ليس لك ان تتكلم بما شئت لأن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولأن رسول الله (ص) قال : رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او صمت فسلم ، وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

(٣)المصدر ح ٣١٣ عن الحسن قال : كنت أطيل الجلوس في المخرج لأسمع غناء بعض الجيران. قال : فدخلت على أبي عبد الله (ع) فقال لي يا حسن ، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ السمع ...

تري ولماذا «أولئك» والثلاثة من أعضاء الإنسان؟ ... لأن الفؤاد هو المتن في عقلية الإنسان ، والسمع والبصر هما الإدراكان على عقل ، فهي إذا «أولئك» حيث تجمع مدارك الروح من الإنسان!.

ثم المسؤول هل هو الإنسان يسأل سؤال تأنيب عما يفعله بهذه الأعضاء؟ فيرجع ضمير الغائب «كان» الى الإنسان! : «كان الإنسان عن (أولئك) مسئولا» لماذا استعملها في غير علم؟ ...

ام هو كل من السمع والبصر والفؤاد ، ان كلا منها مسئول عنه فيما فعل ، فالضمير لكل منها على البدل؟ «كان كل عن نفسه مسئولا» ام الضميران راجعان الى الإنسان فالإنسان هو المسؤول عنه في هذه الاخطاء.

«كان» هذه تتحملهما أدبيا ومعنويا ، فقد يسأل الإنسان عنها ما فعله بها ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وتسأل الأعضاء فتحدث أخبارها بما تحملت وسجلت الأقوال والأعمال ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾ (١٧ : ١٣) وكذلك الفؤاد حيث يخبر بما ارتسم فيه من عقائد ، حيث يوقف موقف الاستنطاق فلا حول له عما سجل : ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤١ : ٢٠) كما الإنسان مسئول عنه في اخطائه بهذه الثلاث أم ماذا؟.

فالإنسان مسئول عن هذه الأعضاء ومسئول عن نفسه بما فعل بها ، والأعضاء مسئول عنها ، مسئولية كبرى تشمل الإنسان كل الإنسان.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧).

ان المشي في الأرض مرحا أنتك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا فهو

ممنوع مذموم كما أن تصغير الخد للناس وتصغير كيانك عند الناس مذموم ، فذلك إفراط وهذا تفريط وعليك بعوان بين ذلك : ﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٣١ : ١٩) ^(١) إذا كان التصغير الإمامة تذللًا وتكبرًا فإحما كلاهما تصغير ، وكلاهما هنا معنيان .

والمرح هو شدة الفرح والتوسع فيه ، فليمش الإنسان دون مرح وفرح تصغير وإنما هونا : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٤٥ : ٦٣) .

لو انك تعرف نفسك الضئيل الفقير امام ربك العلي القدير . وانك دوما في قبضته وأمامه وبحضرته ، فطامن من كبريائك وخفف من وطئة خيلائك ، وامش على الأرض هونا ، لا مرحا في كبريائك .

من أنت أيتها الحشرة الصغيرة الفقيرة ، الهزيلة الرذيلة حتى تمشي في ارض الله مرحا؟ لأنك تسامى الله في قدرته وجبروته؟ ويده ملكوت كل شيء! ام تترفع على خلق الله بثناء او سلطان. ام قوة ام ماذا؟ فيا لها من زخرفات هراء ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾! أم تمشي في الأرض

(١) البرهان ٣ : ٤٢٢ . الكافي بسند عن أبي عبد الله (ع) قال : فرض الله على الرجلين الا يمشي بهما الى شيء من معاصي الله وفرض عليهما المشي الى ما يرضي الله فقال : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ وقال : واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير .

مرحاً منة عليها أنك تمشي فيها ، فالأرض التي تحتك هي فوقك إذ لن تحرقها ، وجبالها التي أمامك هي فوقك حيث لن تبلغها طولاً ، فطولك قاصر عن جبال الأرض ، وطولك في حولك قاصر عن خرق الأرض ، إذا فلما ذا المرح؟!

هذا! وترى ان الإنسان عاجز عن خرق الأرض؟ وهو يحرقها بالوسائل التي اصطنعها فيستخرج منها معادنها! او لن يبلغ الجبال طولاً؟ وهو يخلق بطائرات وصواريخ وسفن فضائية على الجبال وما فوقها من كرات!.

ولكنما الإنسان أيا كان لن يحرق الأرض بمشيئته المرحية ، ولن يبلغ الجبال في طوله ، وان كان يحرق ويبلغ بطوله وحوله ، فلا طول إلا بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ليس لك ان تمن على الأرض انك تمشي فيها ، بل الله يمن عليك أنه يمشيك فيها ، ولا أن تمن . فيما من الله عليك من طاقات تحرف بها الأرض وتحلق . على الله بل الله يمن عليك ، ولا ان تمن على خلق الله بما ابتلاك الله به من نعم استخلفك فيها ، فارجع الى أولك تجدك نطفة قدرة والى آخرك تجدك جيفة نتنة والى وسطك حيث أنت حامل العذرة ، فيا أيتها النطفة القدرة والجيفة العذرة كيف تمشي على الأرض مرحاً ، وعليك ان تمشي عليها هونا متواضعا لله غير مستكبر على خلق الله!

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣٨).

سيئه : تركا لمفروضاته واقترابا او اقترافا لمحرماته ، حرمة سلبية ام ايجابية ، محرمات ثابتة

عبر الرسائل الإلهية ، حيث تضرب «كان» الى

اعماق الزمن الرسالي ، فإلى الأبد ، وكما نرى أنها كلها من المحرمات التي لا تتحول.
و «مكروها» هنا تتهدم صرح الاصطلاحات الفقهية انه مقابل المحرم ما يرجح تركه ،
فما من مكروه في سائر القرآن إلا محرما ، ومن ثم الحديث حذو النعل بالنعل ، إلا بقرينة
قاطعة تصرفها إلى غير معناها.

لا نجد مكروها في القرآن إلا محرما او من أشده : ﴿وَكُرْهُ إِلَىٰ كُفْرٍ وَالْفُسُوقِ
وَالْعِصْيَانِ﴾ (٤٩ : ٧) ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. لَوْ
خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ
وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨ : ٩).

﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٤٩ : ١٢)^(١).
﴿ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ
مَلُومًا مَذْهُورًا﴾ (٣٩).

تأتي «الحكمة» في القرآن كله عشرين مرة وهي هيئة خاصة من الحكم يحكم ويربط
بها علم الإنسان أو خلقه أو عقيدته أو عقليته أو عمليته عن التفسخ والانحلال والانفصال
عن الحق المرام وحق المرام ، فمن العملية ذلك الذي ذكر في الآيات المسبقة امرا ونهيا يربطان
الإنسان برباط التقوى وينيطانه بنياط التوحيد حكمة عقلية في البداية :

(١) فالكراهة بصيغها في أحاديث تحمل على الحرمة واذكر حديثا يقول فيه الامام الصادق (ع) كان أبي يكره
... وكان أبي لا يكره لحلال.

وكما الكراهة لا تدل على ما اصطلاحوا عليه كذلك الاستحباب او هو أعم من الوجوب وسائر الرجحان
دون ظهور في رجحان غير ملزم.

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وفي النهاية : **﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾** حكمة عملية مربوطة بحكمة عقيدية كما الحكمة كلها تربط هكذا : ختام يشبه البداية في هذه الحكمة العملية ، محبوكة الطرفين ، موصولة بالقاعدة الكبرى في أضلاع الإسلام «التوحيد» حيث القرآن يقيم عليها الحياة كل الحياة. توحيدا عمليا ينبع من العلمي والعقائدي : الا تعبدوا الا إياه ، لا عقليا ولا عقيديا لا يعدوا الضمير الى الحياة العملية ، وفي الحكم المسبقة في هذه الآيات مجموعة من الحكم : عقلية عقيدية : (٢٣ و ٢٩) واجتماعية : (٢٣ و ٢٥) وسياسية واقتصادية : (٢٦ . ٣٠ و ٣٥) وانفسية : (٣١ و ٣٣) وخلقية : (٣٢ و ٣٤ و ٣٧) وعلمية : (٣٦) تجمعها الحكمة العقلية والعملية!.

وقد تتوحد خيرا كثيرا : **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** (٢ : ٢٦٩) وفي الدعوة : **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾** (١٦ : ١٢٥) ولحدّ كأنها القرآن كله : **﴿حِكْمَةً بِالْغَةِ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾** (٥٤ : ٥) من علمية وخلقية وتربوية عقيدية وعملية ، من فردية وجماعية ، من سياسة واقتصادية ام ماذا فكله حكمة إن الحكمة هي القاعدة الكبرى في مربع الدعوة : **﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾** (٢ : ١٢٩) وفي مثلث السلطة العادلة : **﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾** (٢ : ٥٢) **﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾** (٣٨ : ٢٠) وفي مثنى النعمة : **﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾** (٢ : ٢٣١) والرسالة **﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾** (٣ : ٨١) والحكمة كلها فيه.

لا تعني الحكمة فيما تعنيه الحكمة الإلهية الدخيلة ، حيث تنتج تحللاً وتحيراً بديل الحكمة ، وإنما الحكمة الإلهية الخالصة من وحي القرآن والسنة : واين حكمة من حكمة؟! .
 إن الحكمة البشرية متفسخة غير حكيمة ، ترى الحكماء فيها متعارضين ، والمتعلمين إياها مختارين ، لأنهم لا يصدر عن مصدر الوحي وقد يخالفونه وكما نراه في تعريفهم بها
 «: : سواء وافق الشرع ام خالفه»! :

إن الحكمة البشرية تربط العقول على حدّها ، فلتربط برباط الحكمة الإلهية ولكي تستنير وتستزيد حكمة الخلق من حكمة الخالق.

ثم الحكمة الإلهية في تقسيم شامل تكوينية وتدوينية ، فالتدوينية هي كتابات الوحي كما عرّفت بأنها حكمة ولا سيما القرآن : ﴿حِكْمَةٌ بِالْعَمَلِ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾ (٥٤ : ٥)
 والتكوينية منها معصومة كالعقل والعصمة في المعصومين ، ومنها دون ذلك من فطرة وعقل حيث الإدراك فيهما ليس مطلقاً دون خطأ ، فالفطرة على بلوغها في احكامها العامة قد تحجب وهذا تقصير من أصحابها ، ثم وهي قاصرة في ادراك الجزئيات والتفاصيل ، والعقل فيه قصور وفيه تقصير فيما له إدراكه من كليات ، حيث يقصر عن درك الحقائق ككل إلا شطراً لا بد منه تدليلاً على الحكمة التكوينية المعصومة : النبيين . ثم وقد يقصر في إدراكه حيث «إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى».

والآيات حول الحكمة الإلهية تعني الحكمة المعصومة تكويناً او تدويناً ام هما معا ، دون سائر الحكمة من فطرة وعقل ام ماذا؟

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠)
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا
 يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)
 تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا
 تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
 وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ

إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي
فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ
إِنْ يَشَأْ يُرْحِمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠).
 قولة مستنكرة في الأساس ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ في بعدين بعيدين عن ساحة
 الألوهية : أن له ولدا وأنه أنثى ، فهنا استفهام استنكار وتهكم على سبيل مجاراتهم أن له ولدا
 : ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا
 ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ : أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ
 مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
 وَيُسْتَأْذَنُ﴾ (٤٣ : ١٩).

من المشركين من اتخذ للرحمن بنين كالجن او المسيح وعزيز ، او بنات كالملائكة :
 ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٦ : ١٠٠) والذين
 اتخذوا له الملائكة بنات هم أضل سبيلا ممن جمعوا له بنات وبنين او اتخذوا له بنين :
 ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ : مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٧ : ١٥٤).

فلأن الأنثى انقص من الذكور ، وانهم كانوا يترذلون البنات كأهـن حيوان أو ادنى ،
 وان الملائكة هم من أفضل خلق الله ، وأن الله لم يلد ولم يتخذ ولدا ، فنسبة البنات الى الله
 دون البنين فرية وقحة في خماسية اللعنة ، فلو أمكن لله أن يلد او يتخذ ولدا فلما ذا اختصه
 ببنات وأصفاكم بالبنين.

والإصفاء هو الإخلاص والإيثار ، فترى الله يؤثر خلقه على نفسه لو اتخذ ولدا فيتخذ
 الإناث حين يخلق لهم ذكورا وإناثا ، أعجزا عن ان يتخذ لنفسه ذكرا فاضطر الى الإناث ،
 وليس الإيثار حين يمكن إلا لمن لا يقدر على إعطاء الغير ما لنفسه إلا بحرمان نفسه ، والا
 فحماقة وغباوة.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ عظيما في فريته على الله : ان له ولدا ، وهو بنت ، وهي ملائكة الله ، عظيما في شناعته وبشاعته ، عظيما في استحالته ووقاحته ، ان تقولوا عليه : جسم مبعض فمحتاج ، حيث يلد ، ثم هو جاهل غبي حيث يفضل خلقه على نفسه فيما يلد!

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤١).

الصرف هو رد الشيء من حالة الى اخرى أو إبداله بآخر ، والتصريف تكثير للصرف كما او كيفا او هما معا ، ولقد ردد الله في هذا القرآن حقائق جمة بصيغ عدة وصور شتى وحتى صيغة التصريف ، تصريفا للوعيد : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (٢٠ : ١١٣) ومن كل مثل : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (١٧ : ٨٩) لعلهم يرجعون: ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٦ : ٢٧) ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦ : ٦٥).

هنا لك تصريفات لكل مثل في كتابي التكوين والتدوين تأتينا في الآفاق وفي أنفسنا في العقل والفطرة ، والرسل ، وسائر الكون ، وفي القرآن ، تردادا وتكريرا لها بأحسن الصور وابلغ المواعظ واطهر البراهين ﴿لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

فكما كتب الله في كتاب التكوين آيات متشابهة تصريفا لها ليدذكروا فأينما تولي وجهك ترى أمثالا من هذه الآيات تتكرر بصيغ ، وكما تختلف في صيغ والأصل واحد ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ ... كذلك كتابه التدوين القرآن العظيم موازيا لكتاب التكوين ، يكرر قصصا تحمل ذكريات وحقائق جمة : ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٢٩ : ٢٣) كتابا متشابهما في تحقيق المرام والحق المرام.

متشابهة في قمة التعبير ، متشابهة في كيفية التدليل ، كما هو محكم كله في جهات عدة :
﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١١ : ٢).

ومن تصريفه برهاننا لعقيدة التوحيد ، المجارة في أن له ولدا فكيف إذا يكون له بنات ملائكة؟ ومنه المجارة في حكاية الآلهة المدعاة.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

«لو» حرف امتناع تحيل مدخولها ، فالآلهة معه المستحيلة ، تستحيل في بعد ثان :
﴿إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فالقضية برمتها مستحيلة وأية سبيل لها إليه منفية.
سبيلا ليتغلبوا عليه إذ هم عدة وهو واحد ، فتنازعا واختلافا ، فتخلفا في النظم واختلافا ، وليس فليس إلا واحدا!.

٢ . او سبيلا ليتقربوا إليه فيثبتهم على ما يراد لهم ، وقد كذبهم بالسنة رسله فليس إلا واحدا!.

٣ . او سبيلا اليه ليعرفهم ذو العرش : الإله الأصل ، أنهم شركائه فلا ينكرهم؟ وقد انكرهم! ﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (١٠ : ١٨) أفأنتم تعلمون له شركاء وهو لا يعلم؟!.

٤ . او سبيلا الى ذي العرش ليشاركوه في عرش الربوبية «إذا لفستدا»! ذو العرش والآلهة معه ، السماوات والأرض : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٢١ : ٢٢) ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٢٣ : ٩٤).

٥ . او سبيلا اليه ليتقربوا لديه ثم ليجعلهم شفعاؤه فيقربوا عبيدهم

بعبادتهم أنفسهم اليه زلفى : ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١٠ : ١٨) ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٣٩ : ٣) فكيف يكونون شفعاء عند الله وهم عنه بعاد.

إن ابتغاء سبيل الى ذي العرش : الإله الأصل ، للآلهة الفروع لو يتخذهم آلهة ، إن ذلك لزام شركتهم في ألوهيته ، فإذا لم يبتغوا إليه سبيلا فضلا عن سلوك السبيل فليسوا هم آلهة معه ، وإنما خلق من خلقه يدبرهم كسواهم حيث يشاء فهم تحت عرشه بيده نواصيهم كما بيده ملكوت كل شيء.

هذا البرهان يقنع من يعتقدون في الإله ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ ثم اتخذ آلهة أخرى : ان خلقهم آلهة يساندونه ، او جعلهم آلهة ، واما من يقولون بآلهة عدة متساوين متشاكسين فلا يقنعهم هذا البرهان ، وإنما المذكور في رابع السبل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ...﴾.

فأدلة التوحيد القرآني تخلق على كافة المشركين أيا كانوا وأيان ، دون خصوص السابقين العائشين زمن نزول القرآن ، فانه دعوة خالدة تعم العالمين أجمعين.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣).

إنه متنزه متعال عما يقولون : إن له شركاء أم بنات أو أبناء أم ماذا مما يمس من ساحة الربوبية الوحيدة ، وتعالى علوا كبيرا كما هو الكبير المتعال.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤).

إن الكون كله محراب فسيح فصيح يفصح عنه ويسبح له وينزهه عن شركاء فيوحده ويسجد له ويسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم!.

السموات هنا هي الأجواء السبعة بما فيها ومن فيها ، والأرض هي الأرضون السبع :
﴿وَمَنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾ (٦٥ : ١٢) حيث الآية تستعرض الكون كله أيا كان **﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** تعم عامة العقلاء في السموات والأرضين من ملك أو إنس وجان أيا كانوا وإيان **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾** تستغرق كل شيء دون إبقاء لشيء ، انها تسبح بحمده **﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾**.

و «هم» في «تسبيحهم» راجع إلى كل شيء لمكان الاستغراق لكل شيء في التسبيح بالحمد و **﴿لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾** حيث يتطلب شعورا وإدراكا نحن لا نفقهه في كل شيء فالأشياء تعرف ربها فتسبحه بحمده ، لا فحسب العقلاء من ملك وانسان وجان ، بل والحيوان : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾** (٢٤ : ٤١) **﴿وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾** (٣٨ : ١٨) ف «صوت الديك صلاته وضربه بجناحيه سجوده وركوعه ::» ^(١) ف «لا تضربوا وجوه الدواب فان كل شيء يسبح بحمده» ^(٢) و «لا تتخذوها . الدواب . كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها واكثر ذكرا لله منه» ^(٣).

فكل صنف من صنوف الدواب والطير امة تسبح حتى النمل ^(٤) وصوت

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٣ . اخرج ابن مردويه ابو نعيم في فضائل الذكر عن عائشة ان رسول الله (ص) قال : صوت ... وركوعه ثم تلا هذه الآية : **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ...﴾**.

(٢). المصدر اخرج ابو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال ، قال رسول الله (ص) ...

(٣) المصدر اخرج احمد عن معاذ بن انس عن رسول الله (ص) انه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال : اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي.

(٤) المصدر اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال : ان النمل .

الضفدع تسبيح^(١) :

لا فحسب الدواب كلها تسبح بل والأشجار والجمادات : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩) ، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ : ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٨ : ١٨) : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣ : ١٣) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٨).

فقد يردف الإنسان بكل دابة ، والطير والملائكة بالرعد ، والطير بالجمال ، بتقديم الرعد والجمال في التسبيح بالحمد ، مما يبرهن انهما تسبحان كما الطير وكما الملائكة والإنسان.

وانه لمشهد كوني رهيب عجيب فريد حين ينبئنا ربنا أن كل شيء يسبح بحمده ، من كل ذرة ، وكل زاحفة وحشرة ، وكل طير ودابة ، وكل ما في الأرض والسماء ، وكل ساجدة في الماء والهواء ، الكل تسبح ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ :

جمله ذرات عالم در نهان* با تو می گویند روزان و شبان ما سمیعیم و بصیر و باهشیم* با شما نا محرمان ما خامشیم^(٢)

. يسجن واخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمر فأحرقت فأوحى الله اليه : من اجل نملة واحدة أحرقت امة من النمل تسبح.

(١). المصدر اخرج النسائي وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر قال : نهي النبي (ص) عن قتل الضفدع وقال : نعيقها تسبيح.

(٢) جون شما سوی جمادی می روید محرم جان جمادان کی شوید.

ان ذرات الكون أيا كان تنتفض روحا حية حيث تنبض بالحياة في تسبيح الله ،
فالكون كله حركة وحياة ، وكله تسبحة لله ، محراب واسع تسجد فيه الكائنات لربها ،
وجدان الإنسان يرتعش وهو يستشعر كونه غارقا في السبحات ، وهو غارق في الشهوات ،
غافل عن الله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فالأمانة العامة التي نعرفها في الكون كله هي تسبيحه
بالحمد ، فقد أداها الكون كله وحملها وخانها الإنسان بظلمه وجهله ، ف «ما تستقل
الشمس فيبقى شيء من خلق الله تعالى إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشيطان وأغنياء
بني آدم»^(١).

ترى ما هذا التسبيح الشامل لكل شيء ، هل هو قول عن اعتقاد بعمل : مثلث
التسبيح الكامل؟ ولا نسمع إلا الإنسان المسيح! ام هو التسبيح التكويني لا عن شعور
وادراك إلا لذوي الشعور؟ والتسبيح فعل لمن يسبح وهو بحاجة الى شعور ما واختيار!
والاستدلال بإتقان الصنع من العقلاء ظرف لتسبيح العقلاء والكون موضع لهذا الظرف ، لا
أنه المسيح لو لا شعوره بنفسه! ومن ثم ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ تعريف بكيان هذا
التسبيح أنه لا يفقه للإنسان الفقيه دقائق من العلوم الخفية ، فهل الاستدلال بالكون على
المكون وكيانه لا ينال للإنسان وإن فكر ما فكر ودبر

غـلـغـل اـجـزـای عـالـم بـشـنـوید	— از جـمـادـی در جـهـان جـان رـوید
و سـو سـة تـأویـلـهـا بـر بـایـد ت	فـاش تـسـبـیـح جـمـادـات آیـد ت
بـهـر بـیـنـش کـردـه ای تـأویـلـهـا	چـون نـدـارد جـان تـو قـنـدیلـهـا
دعـوی دیدن خـیـال و غـی بـود	کـه غـرض تـسـبـیـح ظـاهـر کـی بـود
آن دلالـت هـمـچـو کـفـتن مـی شـود	یـس چـه از تـسـبـیـح یـاد ت مـی دـهد
و وای آن کس کـو نـدـارد نـور حـال	ایـن بـود تـأویـل اهل اعتـزال

(١). الدر المنثور ٤ : اخرج ابن مردويه عن عمرو بن عبسة عن رسول الله (ص) قال ...

ما دبر ، والكون كله آيات لله لمن فكر ودبر : ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤١ : ٥٣).

والآيات الأفاقية هي كل شيء يستدل بها على الله بما يرينا الله برسُل الفطرة والعقل والحس الذاتية وسائر الرسل الخارجية ، فهل بعد ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لو كانت الدلالة التكوينية هي المعنية؟! فالفقه هو التوصل بعلم حاضر الى علم غائب ، وغائب التسبيح بالحمد في كل شيء واصل لحد لا يتوصل إليه بأي علم حاضر ، والتسبيح التكويني لكل شيء حاضر لكل ذي حجي فكيف ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؟

نحن لا نفقه تسبيحهم : قولتهم هذه وفعلتهم وعقيدتهم ، إلا ان يفقهنا الله كما فقه سليمان : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا...﴾ (٢٧ : ١٩) وداد ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩).

وهنا يتحقق أن لكل شيء لسانا أيا كان وان كنا لا نفقه لغاتها ، ثم من وراء اللسان جنان وعمل بالأركان ، تسبّح بحمد ربها وتسجد لربها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٣ : ١٥) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّئُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١٦ : ٥) ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٥٥ : ٦).

تسبيحات بالحمد وسجودات مخيرين لحد لا مسيرين ، وفي ضياع لهم

فيما يتوجب عليهم من تسبيح ضياع لأعمارهم في الأولى ^(١) كما في تحلف الدواب عن سنة العدل عقاب لهم في الأخرى ﴿.. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ وعلّ في كل حركة وكل صوت لكل شيء عباده وتسبيحه ^(٢) ﴿وَلَكِنْ لَا

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٤ . اخرج ابن راهويه في مسنده من طريق الزهري قال أتى أبو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ما صيد من صيد ولا عضدت عضاة ولا قطعت وشيجة الا بقلّة التسبيح» وعن أبي هريرة عنه (ص) مثله «الا بتضييعه التسبيح» وخرج أبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص): ما صيد من طير في السماء ولا سمك في الماء حتى يدع ما افترض الله عليه من التسبيح وخرج العقيلي في الضعفاء وأبو الشيخ والديلمي عن انس قال قال رسول الله (ص): آجال البهائم كلها وخشاش الأرض والنمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها وغير ذلك آجالها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس الى ملك الموت منها شيء.

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٨٥ . أخرج أبو الشيخ عن انس قال : أتى رسول الله (ص) بطعام ثريد فقال : ان هذا الطعام يسبح ، قالوا : يا رسول الله (ص)! وتفقّه تسبيحه! قال : نعم ثم قال الرجل : اذن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها منه فقال : نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح فقال : ادّنها من آخر وأدناها منه فقال : هذا الطعام يسبح ثم قال : ردها ، فقال رجل يا رسول الله (ص) لو أمرت على القوم جميعا ، فقال : لا لو انما سكنت عند رجل لقالوا من ذنب ، ردها فردّها وفيه اخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت دخل علي رسول الله (ص) فقال لي ، يا عائشة اغسلي هذين البردين فقلت يا رسول الله (ص) بالأمس غسلتهما ، فقال لي : اما علمت ان الثوب يسبح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه؟. أقول : ومن طرق أصحابنا أحاديث عدة تجاوب ما أوردناه عن إخواننا السنة ففي نور الثقلين ٣ : ١٦٨ ح ٢٢٢ في الكافي عن أبي عبد الله (ع) : قال سألت عن قول الله عز وجل : وإن من شيء الا يسبح بحمده. قال : تنقض الجدار تسبيحها وفي تفسير العياشي عنه (ع) مثله وعن زرارة عن أبي جعفر (ع) مثله وعن الباقر (ع) نهى رسول الله (ص) عن ان تؤسم البهائم في وجوهها وان تضرب وجوهها لأنها تسبح بحمد ربها وعنه (ع) ايضا انه دخل عليه رجل فقال : فداك أبي وامى اني أجد الله يقول في كتابه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ فقال له : هو كما قال : فقال : أتسبح الشجر اليابسة؟.

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿١﴾ ... ومن تسبيحهم «سبحان الله وبحمده» (١).

وترى إن كون الأشياء مسبحة عن علم على ان جماداتها أموات غير احياء هلاً يمنع من الاستدلال على حياته تعالى بعلمه؟ .. كلاً حيث الحياة لزام العلم ولكل شيء حياة حسبه ، والله محيي الأشياء الأحياء ، حي بغير حياتهم «باين عن خلقه وخلقه باين عنه». هذا هو الكون كله يسبح الله بحمده ولكن الإنسان خان هذه الامانة الكبرى ، طاعته وعبادته ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣٣ : ٧٢).

هذا العرض تكويني تبياناً لكيان الكون اجمع من حيث الطاعة والعصيان وعصيان الإنسان دون الكون اجمع.

والامانة واجبها الأداء الى أهلها ما دامت امانة لدى غير أهلها ، فإذا حملت تحققت الخيانة ، سواء نوى ألا يؤديها منذ أخذها ، ام لم يؤديها عملياً ، فمن الأمانة الفطرة والعقل حيث يحملان التكليف أمام الله ، ولكنما الإنسان يخون الفطرة والعقل رسولي الباطن ، ويخون سائر الرسل حيث يعصى ربه.

. فقال : نعم ، اما سمعت خشب البيت كيف ينقض؟ وذلك تسبيحه فسبحان الله على كل حال.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٣ . اخرج احمد وابن مردويه عن ابن عمر ان النبي (ص) قال : ان نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنيه : آمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء.

و ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ محطّه تغافل الإنسان عن تسبيحه بحمده بين سائر الكون ما لم يصل إلى الشرك والنفاق : وكما في آية الأمانة : ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا.

وكذلك ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فعدم فقهه علميا قصور معذور ، ولكن تركه عمليا وعدم مجارة الكون في التسبيح بالحمد تقصيرا محذور ، وفي سواء معذور.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ^(١) فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦).

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ﴾ تعني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثمّ من معه ، الذين يقرءون القرآن قرائته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فليس كل قارئ للقرآن يجعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ، فرب تال للقرآن والقرآن يلعبه ، وليس ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم كل الكفرة ، وانما هم الذين ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢ : ٦) فهم يستهزئون او يهاجمون على قارئ القرآن فالقرآن حفاظ على قارئه إن كانوا يقرءون كما كان الرسول يقرء او قريبا منه ، كل قدره.

هنا بين قارئ القرآن وبين الكفار حجاب مثلث : على أعينهم فلا يرونه ، وعلى آذانهم فلا يسمعونه وعلى قلوبهم فلا يفقهونه ، لأنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ﴾ (٤١ : ٥).

كَنَّ الْقُلُوبَ وَوَقَرَ الْأَذَانَ لَزَامَانٍ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهُمَا خَسَارُ الظَّالِمِينَ ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١٧ : ٨٢) وليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ولا وقر في سمع ، وإنما هم لاستثقالهم سماع القرآن حيث يتلى عليهم ويفرغ في آذانهم ، هم كالذين على قلوبهم أكنة دون علمه ، وفي آذانهم وقر دون سمعه ، وإن كانوا أتوا من قبل نفوسهم ، وأخذوا بسوء اختيارهم ، ولذلك ذموا على إطرأحه ، ولم يعذروا بالاضراب عن استماعه.

ثم الحجاب المستور عن أعينهم عليها ليس إلّا على الذين يريدون به شرا وضرا حين يقرء القرآن كما هنا ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ..﴾ حفاظا على كرامة الوحي وحامله ، وكما في يس حفاظا على نفسه المقدسة : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٣٦ : ٩) أم على حرمة حين يهتك كما قصدته حمالة الخطب فما رآته ورأت أبا بكر فرجعت بعد ما خستت ^(١).

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٦ . اخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر ان ام جميل دخلت على أبي بكر وعنده رسول الله (ص) فقالت يا ابن أبي قحافة ما شأن صاحبك ينشد في الشعر فقال : والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر فقالت : أليس قد قال : في جيدها جبل من مسد ، فما يدريه ما في جيدي فقال النبي (ص) قل لها : هل ترين عندي أحدا فانها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب فقال لها ابو بكر فقالت : أهنأ بي والله ما ارى عندك أحدا واخرج ابن مردويه عن أبي بكر قال : كنت جالسا عند المقام ورسول الله (ص) في ظل الكعبة بين يدي إذ جاءت ام جميل بنت حرب بن أمية زوجة أبي لهب ومعها فهران فقالت : اين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لأرضن أنثييه بهذين الفهرين وذلك عند نزول تبت بدا أبي لهب قال ابو بكر : فقلت لها : يا ام جميل ما هجاك ولا هجا زوجك قالت : والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله (ص) انما لم ترك فقال النبي (ص) حال بيني وبينها جبرائيل . أقول واخرج مثله عديد من رواد الحديث والجامعين.

إن ﴿حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ هو المستور عن الأنظار الكافرة ، ثم لا حجاب لمن سواها ، فهو ساتر مستور كالحجر المحجور بين بحري العذب والمالح : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ (٢٥ : ٥٣).

ان القرآن يكشف عن حجب المؤمنين وهو حجاب على الكافرين ، كما يجعل بينه وبينه حجاباً مستوراً ، وهو حرز يحتز به من يعتمده ويقرأه مؤمناً او يكتبه وكما في سلسلة الذهب الجعفري عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) ^(١) :
وترى ما هو ذكر الرب وحده في القرآن إذ كانوا يولون على أدبارهم نفورا؟ إنه كلمة التوحيد؟ وانه البسملة حيث كان الرسول (صلى الله

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٦ . اخرج ابن عساكر وولده القائم في كتاب آيات الحرز عن العباس بن محمد المنقري عنه قال ، قدم حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المدينة حاجا فاحتجنا الى ان نوجه رسولا وكان في الخوف فأبى الرسول أن يخرج وخاف على نفسه من الطريق فقال الحسين (رض) انا اكتب لك رقعة فيها حرز لن يضرك شيء ان شاء الله تعالى فكتب له رقعة وجعلها الرسول في صورته فذهب الرسول فلم يلبث ان جاء سالما فقال مررت بالأعراب يمينا وشمالا فما هيجني منهم احد والحرز عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن حده عن علي بن أبي طالب وان هذا الحرز كان الأنبياء يتحرزون به من الفراعنة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قال اخسئوا فيها ولا تكلمون اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، أخذت بسمع الله وبصره وقوته على أسماعكم وابصاركم وقوتكم ، يا معشر الجن والانس والشياطين والاعراب والسباع والهوام واللصوص مما يخاف ويحذر فلان بن فلان سترت بينه وبينكم بستر النبوة التي استتروا بها من سطوات الفراعنة جبرائيل عن ايمانكم وميكائيل عن شمالكم ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم إمامكم والله سبحانه وتعالى من فوقكم بمنعكم من فلان بن فلان في نفسه وولده واهله وشعره وبشره وماله وما عليه وما معه وما تحته وما فوقه ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الآية الى ﴿نُفُوراً﴾. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا».

عليه وآله وسلّم) يجهر بها كما عنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة من عترته (عليهم السلام) ^(١).

فذكر الرب وحده دون سواه يعم كلمة التوحيد حيث تنفي من سواه وسائر ذكره في بسملة وسواها حيث لا يقرن به سواه.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٧ . اخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي انه قال : لم كتمتم بسم الله الرحمن الرحيم فنعم الاسم والله كتموا فإن رسول الله (ص) كان إذا دخل منزله اجتمعت عليه قريش فيجهر بسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بها فتولى قريش فرارا فأُنزل الله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ أقول ورواه مثله في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد الله (ع) وفي المجمع قال رسول الله (ص) ان الله من عليّ بفاتحة الكتاب فيها من كنز الجنة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الآية التي يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ..﴾ ورواه مثله القمي عن أبي عبد الله (ع).

والعياشي عن زيد بن علي قال : دخلت على علي بن جعفر فذكر بسم الله الرحمن الرحيم فقال : تدري ما نزل في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ فقلت : لا . فقال : ان رسول الله (ص) كان احسن الناس صوتا وكان يصلي بفناء الكعبة فرفع صوته وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وجماعة منهم يستمعون قرائته قال : وكان يكثر ترداد بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته قال : فيقولون ان محمد ليردد اسم ربه ترادا انه ليحبه فيأمرهم من يقوم فيتسمع عليه ويقولون : إذا جاءت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فأعلمنا حتى نقوم فنسمع قرائته فأُنزل الله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ..﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.

وفيه عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال : كان رسول الله (ص) إذا صلّى بالناس جهر ببسم الله الرحمن الرحيم فتخلف من خلفه من المنافقين عن الصفوف فإذا جازها في السورة عادوا الى مواضعهم وقال بعضهم لبعض : انه ليردد اسم ربه ترادا انه ليحب ربه فأُنزل اليه الآية.

وفيه عن أبي حمزة الثمالي قال قال لي أبو جعفر (ع) يا ثمالي ان الشيطان ليأتي قرين الامام فيسأله هل ذكر ربه؟ فان قال : نعم اكتسع فذهب وان قال : لا . ركب كتفه وكان امام القوم حتى ينصرفوا . قال قلت : جعلت فداك وما معنى قوله : ذكر ربه؟ قال : الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

إن ذكر من سوى الرب دونه إلحاد ، وذكره مع سواه إشراك ، وذكره وحده توحيد ، وإن كان لا يعني الذاكر ما تعنيه اللفظة فيما سوى التوحيد. حيث التوحيد ليس قصدا دون إعلان ، فليكن الإعلان بدلالته توحيدا كما يعتقد من يعلن بكلام أو كتب أو إشارة أم ماذا.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨).

نجوى شيطانية تهدم صرح الرسالة الإلهية على حد تصميمهم ، فهم يستمعون الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعلموا ما يقول ، ولكي يكيدوا له كيدا ، ثم يستمعون بكيد عليه فيما بينهم كشورى ابليس ليتسقط فيها عن كيان الوحي ، ثم يتناجون في حصالة الشورى الظالمة : ﴿إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(١).

(١) في الدر المنثور ٤ : ١٨٧ . اخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن الزهري قال : حدثت ان أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريف خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله (ص) وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا فقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهاءكم لا وقعت في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال اخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد قال والله سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وانا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت تنازعنا نحن .

هذه من الهرطقات الهراء حيث يهرفون عليه بما يخرفون : انه ساحر او مسحور ، كاهن او مجنون او شاعر نترى به ريب المنون ام ماذا؟.

ومن أخطر ما يفترى به عليه أنه مسحور ام به جنة ، مسحور مسلوب الاختيار في بعض ما يفعل او يقول حيث يسيطر الشيطان على عقليته ام إحساسه ، فليس ما يفعل او يقول . على خرافته . منه ، وإنما من شيطان او جن ، خرافة مزدوجة بعيدة عن الحق في بعدين! ام إذا لم تكن خرافة فليست هي لا منه ولا من ربه وإنما من ساحر يسحره حيث يتسخره!

والنجوى مصدر كالتقوى ، وقد وصفوا بالمصدر لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم وإسرار المكائد بينهم ، والصفة بالمصادر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك ، فهم لكثرة تناجيهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول والفرية عليه أصبحوا كأنهم هم نجوى في مقاتلتهم الظالمة : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٢٥ : ٩) (١).

لقد كانت فطرة الفحص والتفتيش تدفعهم الى استماع الرسول فيما يقول ، ثم النخوة والكبرياء تزجهم الى سجن ما يستمعون به تلاوما فيما بينهم ، ثم الى جحيم القولة الفاتكة الهاتكة ، إذ هم نجوى : ﴿إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

لقد ضربوا له الأمثال البعيدة عن الحق حيث اخذتهم جنتهم فاتخذوا

. وبنو عبد مناف في الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثنا على الركب وكنا كفرس رهان قالوا من نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس وتركه.

(١) راجع ج ٣٠ من الفرقان ص ٥٣٩ . ٥٤٠ .

قولتهم جنتهم ، فقد تأثروا بالقرآن حين تسمّعوا إليه ، فلا سبيل لهم أن يقولوا إنه «قول بشر» لأنهم يلمسون منه وحيا ليس من بشر ، حيث لا يشبه قول بشر : ولا تدعهم نخوتهم أن يقولوا إنه كلام الله جرى على لسان بشر ، فقالوا : إن هذا إلّا سحر يؤثر ، فظنوا تسمية القرآن سحرا أبطل وحيه ﴿فَضَّلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾!

لو كانت هذه الرسالة السامية مختلفة لاستطاعوا سبيلا إليها قضاء عليها ، فإذا لم يستطيعوا إليها سبيلا ولن ، فهي إلهية مهما ضربوا لها الأمثال المضلة ، فإنهم تائهون ضالون في هذه البغية الباغية ، لا يتعبون إلّا أنفسهم.

إنما تضرب الأمثال لإقامة حق مبين تقريبا لبيانه ، أو لإماطة باطل مبين تقريبا لبطلانه ، واما ان تضرب الأمثال دون اي برهان ، ام تضرب لابطال حق واضح البرهان فهو ضلال مبين.

وهؤلاء المناكيد الأوغاد بدل أن يبرهنوا دعواهم ابطالا للرسالة المحمدية ولن ، أخذوا يضربون الأمثال بمنة ويسرة بكل تكلف وعسرة دون أن يستطيعوا سبيلا الى ابطال هذه الرسالة السامية.

﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١). يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢).

انه لا برهان لناكري المعاد الحساب إلّا استبعادات واهية ، لا تملك من حجية إلّا هيه: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟ فإذا بليت أجسادنا ف ﴿كُنَّا عِظَامًا﴾ ورمدت عظامنا فكنا «رفاتا» فلم يبق

منا شيء إلا تبدلت إلى تراب «أنا» ونحن تراب ﴿لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟

هم يستبعدون أن يتحول التراب المرتخي عظاما ولحوما ، والله يحولهم ويبدلهم خلقا جديدا ولو كانوا حجارة او حديدا ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فالحجارة أصعب تحولا الى الخلق الجديد من التراب والحديد أصعب من الحجارة ، وخلق يكبر في صدورهم أصعب من الحجارة ، والحديد أصعب منهما ، فليكنوا اي صلب وصعب مما سبقت له الحياة ام لم تسبق ، فتبدليها الى خلق جديد ليس من المستحيل لا ذاتيا ولا في الحكمة ولا أمام القدرة الإلهية.

ثم استبعاد ثان على فرض الإمكان ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ الى ما كنا ، من يردنا الى الحياة بعد ما كنا عظاما ورفاتا ام حجارة او حديدا ام ماذا؟ مما هو أشد ايغالا في الموت والحمود ، ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لا تذهبوا بعيدا نظرة الجواب ، فالذي فطركم أول مرة هو الذي يعيدكم مرة اخرى ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

هؤلاء المناكيد الأوغاد يعجبون من عودهم وهم عارفون بدأهم : ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَكُنْ لَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ...﴾ (١٣ : ٥) ﴿يَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ﴾ (٥٠ : ٤).

﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ليست إلا تحديا عليهم ، لا أمرا ان يكونوا حجارة او حديدا ، إذ هم لا يستطيعون لأنفسهم تكونا هكذا ، ولا ان الله يريد تكوينهم هكذا ، فلا يعني من «كونوا ..» إلا أولوية في هذه الكينونة وتلك استبعادا على حدّ زعمهم ان يبعثوا خلقا جديدا : إلا أن الكينونات

كيفما كانت ليست لتتمنع من امر الله ان تبعث خلقا جديدا ، فلا فرق بين عظام الإنسان ورفاته ، وبين حجارته وحديده وفولاذه وأصلب منه في بعثه خلقا جديدا ، حيث الكلّ من خلق الله ، يخلقها ويبعثها كما يشاء ، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالحجارة والحديد على كونهما أبعد عن الحياة من العظام والرفات هي قريبة الى الحياة في قدرة خالق الحياة. هؤلاء الأوغاد بعد ما يسمعون جوابا تلو جواب عما يستبعدون من خلقهم الجديد يتعنتون في سؤال «متى هو»؟ كأن لتعين متاه ومداه دخلا في أصله ، فلو لم يعلم الرسول متاه ، أو بعد مداه فلا يبعثون إذا خلقا جديدا ، فجاء الجواب حاسما ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ وترجى القرب لصاحب الوحي هو قربه : قربا في متاه كما هو قريب في العقل والعلم وفي العدل.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢).

وذلك اليوم القيامة بعد لبث البرزخ ، «وتظنون» نكران للبث قليل كما كانوا يظنون ﴿.. لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ (٤٦ : ٣٥) : او ﴿.. لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (١٨ : ١٩) او ﴿.. إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (٢٠ : ١٠٣) ^(١).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣).

إن الشيطان من جن وإنسان ينزغ بين الإخوة المتحابين فضلا عن سائر الناس ام الذين بينهم عدا ، فلا يهدف في محاولاته بين الناس ألا عدا وزيادة.

(١) راجع ج ٣٠ من الفرقان ص ١٠٣.

والنزغ دخول في أمر لإفساده كما دخل الشيطان بين يوسف وإخوته : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ
بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢ : ١٠٠).

فقد يدخل الشيطان في أمر جماعة متحابين فيفسد بينهم من جانب دون ان يسطع
لإفساد من جانب آخر ، كما بين يوسف وإخوته ، فهم الذين حاسدوه وفعلوا به ما افتعلوه
، وهو لم يفعل بهم إلا حسنا ، أو يفسد من الجانبين إن كانا على سواء ، أو يدخل في أمر
شخص فيفسد بينه وبين نفسه ، وهذه فعلة دائبة منه على غير المخلصين ، أم لا يسطع
مهما حاول كما في المخلصين ، وإن كان عليهم أن يستعينوا بالله من الشيطان الرجيم :
﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤١ : ٣٦) .. إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ
يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٧ : ٢٠٣).

ولكي نستأصل نزغات الشيطان ونزعاته ، علينا استئصال الوسائل التي ينزغ بها
الشيطان بيننا ، من قولة سوء تلدغ ، أو إجابة سوء وجاه سوء ، فإنهما مريض الشيطان
ومنزغه ، وانما القول الأحسن ، لكيلا يبقى مجال لنزغ الشيطان ، وكذلك الفعل الأحسن أم
اي مظهر من المظاهر الحسنی^(١).

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي﴾ هنا يؤمر أول العابدين أن يقول لسائر العباد ﴿يَقُولُوا

(١) الدر المنثور ٤ : ١٨٨ . اخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا يشيرن أحدكم الى
أخيه بالسلاح فانه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من نار.

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿﴾ فالكلمة الحسنى هي لزوم العبودية وسياس على الشيطان دون نزغهِ :
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٤١ : ٣٤) فالكلمة
الحسنة تدفع العداوة ، والكلمة الخسنة تدفع الى العداوة ، حيث الحسنة تأسوا جراح القلوب
وتندي جفافها ، ف ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢ : ٨٣) بداية وإجابة ، ولتكن الإجابة
أحسن ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾ (٤ : ٨٦).

فمن قال لك حسنا فلتجب حسنا أو أحسن ، ومن قال لك سوء فلتجب حسنا او
احسن ، ولكي يترك السوء او يميل الى الحسنى وأما إذا قابلت السوء بالحسن فاستمر هو في
الإساءة ، وتجبر عليك وعلى سواك فإما السكوت بعد أو ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ دون
زيادة ، ولكنما الضابطة العامة أن ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ صدا لنزغ الشيطان ، وأما إذا
كان الحسن او الأحسن مجالا لنزغ الشيطان فلا ، فان قول التي هي أحسن ليس إلا صدا
لنزغ الشيطان ، وتوددا الى عباد الرحمن فإذا سبب لنزغ أكثر فلا : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

من القول السوء أن تجابه السوء بمثله من السوء ، وهو وإن كان حسنا ف «جزاء
سيئة مثلها» ولكنما الأحسن أن تعفو مصلحا ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ الا ان
يتجرأ على سوءه أو يزداد.

ومن السوء المجابهة بالأسوأ وليس حسنا على أية حال فانه اعتداء بزيادة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾.

ومنه الإخبار عن حاله الحاضرة او المستقبلية انه في سوء ام الى سوء دونما ظاهرة تدل
، وعله في خير أم الى خير ف ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ .
﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)
: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ :

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ منكم ومن سواكم ، يعلم حاضرکم ومستقبلکم وغابرکم ف ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُم﴾ إن أنتم من أهلها و ﴿إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ إن أنتم من أهله (ولا تظلمون نقيرا) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أن تجعلهم من أهل الرحمة أو ترحمهم ، فما عليك إلا البلاغ. فلا توكل على من سوى الله إلا على الله لا سواه ، ولا وكيل على عباد الله إلا الله لا سواه ، فهو الذي يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يعلم مصاير عباده وكل أمورهم بداية وحتى النهاية ، لا فحسب بل : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وبعلمه يفضل بعضا على بعض ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ في درجاتهم وآياتهم المعجزات وفي كتاباتهم ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ فهو أفضل الكتب السماوية بعد الخمسة لأولي العزم.

يأتي ذكر الزبور هنا وفي النساء (١٦٣) والأنبياء (١٠٥) ^(١) ولا يأتي ذكر من سائر الكتب الفروع للأنبياء ، ولا من الأصول إلا الأربعة ^(٢) نصا

(١) «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» (٤ : ١٦٣) «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» (٢١ : ١٠٥).

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٧٥ في كتاب علل الشرائع بإسناده الى عبد الله بن صالح عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) قال قال رسول الله (ص): ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم مني ، قال علي (ع) : فقلت يا رسول الله (ص) أفأنت أفضل ام جبرائيل؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي ولالأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.

وكتاب نوح تلويحا ، وقد يذكر الزبور نصا مع التلويح الى سائر الوحي بما فيه الوحي الى نوح وابراهيم وعيسى (عليهم السلام) كما في النساء ، ويشرنا البشارة العظمى بوراثة الأرض نقلا عن الزبور بعد الذكر في الأنبياء ، ومن ثم نرى هنا في مقام تفضيل بعض النبيين على بعض يأتي بنموذج من تلك النماذج السامية :

﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾!

أفلا يدل هذا المثلث البارع من ذكرى الزبور على أهمية كبرى له بين الزبر؟ ترى انه مفضل على سائر الزبر الفروع ، فلما ذا يفضّل أحيانا على بعض الأصول؟ أقول : علّه لأنه الحفيظ على ما حرّف من الكتب الأصول ، ولحد الآن لا نجد فيه تحريفا ولا تجديفا إلا القليل القليل ، بين الكثير الكثير من التحريف والتجديف الذي حصل في سائر الكتب المقدسة من العهد العتيق والجديد ، مع ما يحوي من المعارف الجمّة الإلهية بالطف تعبير وأعطفه ما يأخذ بازمة القلوب.

فالزبور إذا مهيم على ما حرّف من الكتب الأصول ، وسيج صارم ضد كل تحريف وتجديف على الكتب الأصول ، يشمل على جملة المعارف التي تشمله الكتب المقدسة ، متحلا عن كل دسّ وتحريف او مسّ وتحريف.

لا نجد بين الكتب المقدسة ما يقل فيه التحريف ام ليس فيه كما نجد في الزبور من كتب العهد العتيق وفي إنجيل القديس برنابا الحوارى من كتب العهد الجديد ، وهما يشهدان دون تكلف ببراعة الوحي القرآني

. وفيه (٢٥٧) في الخرايج والجرايح باسناده الى أبي عبد الله (ع) قال : ان الله فضل اولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول الله (ص) ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول الله (ص) فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم وأينما نكون فشيعتنا معنا.

وبراعته ، وبرائته عن كل دسّ ، وانه كتاب الوحي الأخير ، مهما كانت سائر الكتب المقدسة على تحرفها تأتي شاهدة على ذلك بتكلف أحيانا ودون تكلف أخرى.

داود الملك النبي لا يذكر في مقام تفضيله إلا كتابه الذي يمثل رسالته الروحية ، حيث السلطة الزمنية ليست فضيلة في ذاتها ، وإنما هي فضيلة في معطياتها أن كانت ذريعة للدعوة الى الله وتطبيق شرعة الله وعلى حد تعبير الامام علي (عليه السلام) حين يتحدث عن نعله المخصوف الذي كان رقعا كله : «والله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقاً أو أبطل باطلا»!.

أولوا العزم من الرسل فضّلوا على من سواهم ، كما فضل البعض من أولاء على بعض ، والبعض من هؤلاء على بعض ، وقد فضل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على كافة النبيين وعلى الخلق أجمعين.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦)
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا
عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ
بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا
لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي
الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ

قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِرْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦).

من اختصاصات الإله أنه قادر على كل شيء ، أم وعلى أقل تقدير بعض الشيء الذي يعجز عنه عباده من كشف ضرر أو تحويله ، وإلا فهو مثلهم ، لا يختص بالالوهية دونهم ، أو هو دونهم ان كان من غير ذوي العقول : ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ : لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ (٣٦ : ٧٥).

و «الذين» في الآية تلمح إلى أنها تعني الآلهة العقلاء من ملك أو جن أو انسان نبي أو أيا كان ، مقربين عند الله فهم فيما هم لا يملكون كشف

الضر عنكم ولا تحويلا فغيرهم أعجز وأضل سبيلا!

والآية التالية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ تصرح انهم هم ومن الصالحين ، فهم لا يملكون هذا الكشف والتحويل في أنفسهم ولا عن أنفسهم إذ ليسوا آلهة في أنفسهم ، ولا يملكون كشفا ولا تحويلا تحويلا من ذي العرش حيث لم يملكهم ، فان هم إلا خلق من خلق الله يحاولون : ﴿يَدْعُونَ يَنْتَعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فكيف يعبدون؟.

فيما تنقطع الأسباب ، وتحرار دونه الأبواب ، وكلما تدعو بطاقات وإمكانات وأسبابا ظاهرية متعددة فلا تستجاب ، وقتئذ لا تنقطع الرجاء فتدعو فهل من مجيب ومستجاب؟ حين تدعو ربك توفيرا وتوفرا لشروط الدعاء تستجاب ، وإذا تدعوه في ناقص الشروط او ناقضها قد تستجاب وقد لا تستجاب ، أليس هذا دليلا على أن ربك كائن لا شريك له؟

والذين يدعون مع الله سواه ، ثم يدعون الذين زعموا من دونه آلهة ، فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، هنا لك لا إجابة من الآلهة ملائكة أو نبيين كمعبودين ، وإن كانوا يدعون الله فيستجاب لهم إن لم يتوسل إليهم كمعبودين : لا إجابة هناك على أية حال حين تدعونهم كآلهة ، وإن كانوا من كانوا من المقربين ، إذ لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، لا من أنفسهم ، ولا من الله ، إلا فيما يطلبونه . كعبيد . من الله ، لأنفسهم أم لآخرين يعبدون الله ، والذي يعبدهم لا يرتضى ، فهم لا يدعون له إذ ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ ولو دعوا لم يستجابوا أليس في هذه الدعوة الخاسرة الخاسرة آية باهرة انهم ليسوا آلهة فضلا

عما سواهم من غير العقلاء ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ ! :

﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ... أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾

(٢٧ : ٦٢) فلو تذكرتم موارد الاستجابة حين تدعون ربكم ، واللااستجابة حين تدعون آلهة تزعمون ، لعرفتم ألا إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يشركون : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (٣٥ : ١٤).

«فيا من لا يملك كشف ضري ولا تحويله عني احد غيره صل على محمد وآله واكشف ضري وحوله الى من يدعو معك إلها آخر لا إله غيرك» ^(١).

فكاشف الضر للمضطر هو الله ، ومحولة عنه أم إلى غيره إن كان يستحقه هو الله ، وليس لمن سوى الله حول ولا قوة إلا بالله ، ولا يحول الله او يحول من حوله وقوته الى سواه ، اللهم إلا الى من يشفعون باذنه فيشفعون ، وليسوا إلا من ارتضى الله شفاعته لمن ارتضى الله . ف ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٣ : ١٤).

إن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أول العابدين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عما دونه من اتخذوا آلهة ، فضلا لمن يعبدونهم : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٦ ح ٢٥٩ في اصول الكافي عن أبي عبد الله (ع) كان يقول عند العلة اللهم انك عيّرت أقواما فقلت : ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فيا من ...

أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ : (١٨٨).

المشركون طالما يدعون أربابهم فلا يستجابون ، ولكنهم عند البأساء والضراء لا يدعون إلا ربهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٦ : ٤١).

ان الذين زعمتم من دونه آلهة وهم عباد صالحون :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧).

«أولئك» ممن زعمتم من دونه آلهة هم أنفسهم «يدعون» ^(١) ربهم فكيف يدعون؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ لاستجابة ما يدعون فكيف يبتغون؟ يدعون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ... ام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ^(٢) هم المشركون . هم «أنفسهم» يبتغون الى ربهم الوسيلة ... ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يبتغي الوسيلة أكثر وأكد ، ام وسيلة أقرب ، فهم بالوسيلة الأقرب وأيَّهم اقرب يبتغي الى ربه لكي يستجيب دعاءه ويقربه إليه ، فكيف يوصلون ويتأصلون في الدعاء وهم لأنفسهم يتوصلون إذ يدعون!.

ولقد امر الله عباده ان يبتغوا اليه الوسيلة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥ : ٣٥).

هنا لك مثلث من الوسائل الى الرب . ١ . وسائل المعرفة فالعبادة أيهما

(١) هذا الوجه بناء على كون «الذين» خبرا ل «أولئك».

(٢) وجه ثان على كون «الذين» صنعة ل «أولئك»...

اقرب وهم الرسل ، ٢ . الوسيلة العبادة والتقوى والجهاد فيهما أيها اقرب . ٣ . الوسائل الشفعاء عند الله عفوا عما قَصَرُوا أو قَصَرُوا أيهم اقرب .

هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة لكشف الضر عنكم أو تحويلا ، هم أنفسهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، فليسوا هم كلهم وسائل إلى الرب فإنهم أيضا يتوسلون ، فكيف إذا يؤصّلون كآلهة في كشف الضر؟ .

فمنهم من هم في القمة المعرفية والعبودية ، يبتغون أقرب الوسائل من العبادة للقرب (١) والزلزلى ، دون توسل بوسيط الوحي إذ هم يوحى إليهم ، ولا وسيط الشفاعة إذ هم أنفسهم شفعاء بإذن الله .

ومنهم من هم دون القمة لا يوحى إليهم ولا يحتاجون شفعاء ، فلهم إذا وسيلتان .
ومنهم من هو دونهما ، يبتغون الى ربهم الوسائل الثلاث أيهم وأيها اقرب .
ف ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم المشركون ، هم العابدون للرب ، المتوسلون إليه لأنفسهم أم لسواهم حيث يؤذن لهم . ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ! .

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٠ . اخرج الترمذي وابن مردويه واللقط له عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) سلوا الله لي الوسيلة قالوا : وما الوسيلة؟ قال : القرب من الله ثم قرء ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ .
وفي ملحقات الأحقاق ١٤ : ٥٧٨ اخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (ج ١ : ٣٤٢ ط بيروت) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد أخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد قال حدثني أحمد بن عمار الحماني عن علي بن مسهر عن علي بن بزيم عن عكرمة في الآية قال : هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) .

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ بما يقدمون من وسائلها ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ حيث يتحدثون وسائله ، فالرجاء برحمة الله والخوف من عذاب الله كفتان متوازيتان لميزان الايمان و «ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»^(١) ف «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سحت نفسه عن الدنيا»^(٢) و «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»^(٣) «وإن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب»^(٤) ومما حفظ من خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «يا ايها الناس إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتوها إلى نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد المؤمن نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشبهة قبل الكبر وفي الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة والنار»^(٥).

ليست الرجاء ان ترجو دون ترج ولا الخوف ان تخاف دون تخوف ، فلكل شرط يربطه دون هرج ومرج ف «من رجي شيئاً عمل

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٦ في اصول الكافي بإسناد عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له : ما كان في وصية لقمان؟ قال : كان فيها الأعاجيب ، وكان اعجب ما فيها ان قال لابنه : خف الله عز وجل خيفة لو جثته بير الثقلين لعذبك وارج الله رجاء لو جثته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال ابو عبد الله (ع) كان أبي يقول انه ما من عبد مؤمن ...

(٢) المصدر بإسناد عن أبي عبد الله (ع) ح ٣٦٢ و (٣) عنه ح ٢٦١ و (٤) عنه ح ٢٦٥.

(٥) المصدر ح ٢٦٦ بسند عن أبي عبد الله (ع) يقول : ان مما حفظ من خطب النبي (ص).

له ^(١) (طلبه) ومن خاف من شيء هرب منه» ^(٢).

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨).

يوم القيامة هنا يعني قيامة الإحياء ، حيث الإمامة التامة تعنيها الآية باهلاك وتعذيب قبل يوم القيامة ، وهذا هو المسطور في ام الكتاب لدى الله ، سطرًا في سابق علمه دون محو او تحوير : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٣ : ٣٩).

وبما أن «قرية» هنا هي في نفي الاستغراق ، فقد تعني كل قرية في الكون كله ، اي مجتمع من حيوان او انسان امن ذا؟ في ارض ام في سماء إمّا ذا؟

وترى الإهلاك هو الاماتة دون تعذيب ، قرينة من قرنه بالتعذيب؟ وهو يلمح لتعذيب! وليس قرنه إلا شديد العذاب! فما دونه عذاب دون شديد قد يشمله الإهلاك! ... إذا فالإهلاك يعم الإمامة دون أي تعذيب ، ودون تعذيب شديد ، ومن ثم صورة ثالثة هي العذاب الشديد.

إنه لا مناص ولا محيص عن موت قبل قيامة الإحياء ، موتات بعذابات ام دون عذاب ، انفرادية لا تعنيها الآية لمكان «قرية» وهي المجتمع

(١) المصدر ح ٢٦٤ علي بن محمد رفعه قال قلت لأبي عبد الله (ع) ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو. فقال كذبوا ليسوا لنا بموالي أولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه.

وفيه عن الحسين بن أبي يسارة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً ولا يكون راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

(٢) المصدر ح ٢٦٣ عن أبي عبد الله (ع) قيل له : قوم يعملون بالمعاصي ويقولون : نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. فقال : هؤلاء قوم يترجحون في الأماني. كذبوا ليسوا براجين من رجي ...

وموتات جماعية لاستئصال الحياة عن الكون كله وليست إلا باماتة تعذيب جماعي كما في قرى ظلمة ، عذابا شديدا او دون ذلك ، أم باماتة إهلاك لا تعني التعذيب ، كما في سائر القرى ، فهناك مثلث من الإمامة تعنيها الآية : هلاكاً دون عذاب ، وآخر بعذاب ، وثالث ﴿أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾!

ولان الإهلاك . أكثر ما يستعمل . يعني الإمامة العذاب ، وقليل ما يأتي لإماتة دون عذاب ^(١) فهل تعني «مهلكوها» كثرة العذاب ، ولا تقوم القيامة إلا في دولة الحق كما يستفاد من آيات وروايات.

قد يعني الإهلاك العذاب ما يعم عذاب العصيان وعذاب غير العصيان : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢٢ : ٢) فهل ان العذاب الشديد يشمل كل مرضعة وكل ذات حمل وكل الناس؟ كلا! وانما يعني العذاب هنا الم الموت الشديد مهما كان البعض الى رحمة الله والآخرين الى نقمته وثالثة ﴿عَذَاباً شَدِيداً﴾^(٢).

وترى ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هنا يعني قيامة الاماتة نفسها حيث ﴿نُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾؟ ام اهلاكات جماعية وتعذيبات

(١) كقوله تعالى : «إِنَّ امْرَأَتَكَ لَأَنَّ لَكَ وَلَدٌ...» (٤ : ١٧٦) «حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً» (٤٠ : ٣٤) ثم لا نجد في عشرات الآيات التي تحمل الهلاك الإهلاك العذاب لحد القول «هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» (٦ : ٤٧).

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٧٨ ح ٣٧١ في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم ، قال سألت أبا جعفر (ع) عن الآية قال : انما امة محمد من الأمم فمن مات فقد هلك.

وفيه (٣٧٢) عن ابن سنان عن أبي عبد الله « في الآية قال : بالقتل والموت وغيره.

تتري حتى هذه القيامة؟ قد تلمح او تصرح ﴿إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ انه القبل الأوسع منذ البداية حتى النهاية ، حيث القرى كلها ليست عند قيامة الاماتة حتى يقضي عليها كلها ، وانما ما تبقت منها حيث تلحق ما سبق حتى يتم الهلاك ويطم.

فمثلث الاماتة مما لا محيد عنه قبل قيامة الاحياء ، بالنسبة للقرى الحية يوم الدنيا ومن الإهلاكات والعذابات الشديدة الجماهيرية ما يحصل ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٤ : ١١) ويوم ﴿فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾ (٢١ : ٩٧) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ : (١٨ : ٩٩) وكما منها عذابات الاستئصال قبل هذه الأيام ، ام اهلاكات عذابا ودون عذاب!

فكل مودة جماهيرية قبل النفخ في الصور تشملها الآية دون إبقاء لأية قرية أيا كان وأيان!

واما اهل البرزخ فهل هم ممن يموتون عن الحياة البرزخية كما ماتوا من قبل عن الحياة الدنيوية ، للبحث عنه مجال آخر يأتي بطيات آياته كآية الصعقة واضرابها.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ (٥٩).

هل الآيات هنا تعني آيات الرسالات ، أنها منعت في الرسالة الاخيرة أن كذب بها الأولون؟ وهذه الرسالة السامية تحمل أخلد الآيات وأبهرها طوال الرسالات! وليس تكذيب آية الرسالة . كما هو السنة السيئة من ناكريها . بالذي يمنع عن مواصلتها في الرسل تتري ، ولا سيما هامة

الرسالات وجوهرتها الأخيرة!

والآيات الممنوعة للرسالة الأخيرة هنا لا تعني كل الآيات ، وإنما التخويفية : ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(١) وأما آيات الرسالة الهادية غير التخويفية فهي لزوم الرسالات كلها ولا سيما الأخيرة ، كما نجدها في الذكر الحكيم!

فمهما منع تكذيب الأولين الإرسال بتخويفية الآيات التي منها ما هي هامشية مؤكدة مزيدة على الأصلية لعلهم يرجعون ومنها مستأصلة ، فلا منع عن الإرسال بأصلية الآيات مهما كذب بها الآخرون.

وانه اجابة عما يهرفه المكذبون بالرسالة الأخيرة : لماذا لم يرسل بتلكم الآيات؟ وآية القرآن تمتاز عن سائر الآيات لأنها خالدة دونهما ، ومن الآيات الاولى تخويفية دونهما. وترى إذا كان التكذيب بالآيات التخويفية ككل مانعا عن الإرسال بها ، فلتكن مانعة قبل الإرسال بها حيث يعلم الله قبل تكذيبها ، ثم ولا فائدة فيها بعد تكذيبها فلما ذا أرسل بها في الأولين؟.

إنها الآيات التخويفية المقترحة تعنتا كناقاة ثمود وأضرابها ، حيث اقترحوها بعد ما تبين لهم الحق بغيرها ، فأرسل الله بها مزيدا في الحجة واستئصالا للأعداء ، فلما كذبوا بها أرسل عليهم عذاب الاستئصال ، وقد طلبها المكذبون في هذه الرسالة السامية^(١) فلن يرسل الله بها ، إذ كذب بها الأولون واستأصلوا ، ومزيد الحجة الخالدة موجود في الرسالة الأخيرة ، ولا يريد الله عذاب الاستئصال للامة المرحومة^(٢). ولا أن هناك عرض الإيمان

(١ ، ٢) نور الثقلين ٣ : ١٧٩ ح ٢٧٣ في تفسير علي بن ابراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ وذلك ان محمدا (ص) سئل قومه ان يأتيهم بآية فنزل جبرائيل فقال : ان الله يقول ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ .

حتى يؤمنوا : ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢١ : ٦) :

إن آيات الرسالة اربع ، آية تحويرية ، واخرى ذات بعدين ، وثالثة دون تخويف وهي وقتية ، ورابعة آية باقية دون تخويف ولكنها أتم وأطم منها ، فإذا جاءت لم يبق مجال لغيرها : وهكذا تكون آية القرآن ، فاقترح آية دونه كما أرسل الأولون» اقترح جاهل أو مكابد كما قالوا : ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٢١ : ٥) فأية الآخرين : القرآن . تختلف عن آيات الاولين في صورتها ، وهي تزيد عليها في سيرتها وقضية الخلود في الرسالة الأخيرة هي الزيادة الخالدة سيرة مستمرة ، لا صورة مؤقتة تثبت رسالة مؤقتة ، فتطلب آية وقتية بصرية تحويرية وسواها مع تلكم الآية الخالدة تطلب هراء خواء .

ثم وآية الرسالة لا تأتي إلا حجة باهرة ، لا مزججة مهلكة ، اللهم إلا حجة على حجة على المتخلفين عن المحجة ، وليست هذه الآية يملكها المرسلون بها ، وانما هو الذي يرسلهم بها تدليلا على رسالتهم حيث تظهر على أيديهم افعال خاصة بالله ، فلو لا انهم مخصوصون بكرامة الله لم تظهر على أيديهم افعال الله .

فهنا لك آيات إلهية تدل على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وحكمته وقدرته ، وهي الكون بأسره ، وآيات اخرى رسالية تدل على رسالة من أرسل بها وهي الأفعال الخاصة بالله ، المستحيلة ممن سوى الله ، فإذا يأتي

. ﴿بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ وكنا إذا أرسلنا الى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلكناهم فلذلك أخرنا عن قومك الآيات .

وفي الدر المنثور ٤ : ١٩٠ . اخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن انس قال قال الناس لرسول الله (ص) لو جئنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون فقال رسول الله (ص) ان شئتم دعوت الله فانزلها عليكم وان عصيتم هلكتم فقالوا : لا نريدها .

إنسان بوحدة منها ، تصبح دليلا لا مرد له على رسالته الإلهية ، كبيرة كانت ام صغيرة ما دامت هي آية رسالية.

ان آية الإسلام : القرآن . تعيش الفطر والفكر والعقول ، ترسم للأجيال منهجا للحياة لا حول عنها ولا محيد ، خارقة فكرية وعلمية لا تحمل مادية مقتصرة على الحواس ، مختصرة بجيل خاص ، وهم الذين يعيشونها ، وإنما تتخطى الأجيال ما طلعت الشمس وغربت ، دون غروب لشمسها ، او غروب لنورها.

فهذه الرسالة الأخيرة لا تصحب ما صحبت الأولى من خوارق عابرة دائرة ، اللهم إلا هامشية لا تعني إثبات هذه الرسالة عناية أصلية ، وإنما تعني فيما تعني إخراج هذه الرسالة من الشذوذ فيما يخيل الى ناس هم في الحق نسناس!

ثم الأولون في هذه الآية هم كل الأمم قبل الأخيرة الإسلامية ، وهؤلاء الآخرون ، فلا ضرورة ولا راحة في ابتعاث الرسول الأخير بمثل ما أرسل الأولون ، كما وان مادة الرسالة الأخيرة تختلف بشطر منها وخلودها عن سائر الرسالات.

ولو كانت هنا ضرورة او راحة في الإرسال بالآيات التخويفية لأرسل بها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنها كانت في الأولين.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٦٠).

«و» اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ قاله الرب تبارك وتعالى في آيات

عدة بصيغ عديدة : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (٤ : ١٠٨) ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤ : ١٢٦) حيطة العلم والقدرة ام

ماذا؟ فلا يعزب عن حيطته شيء.

وترى ما هي الرؤيا الفتنة التي أريها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ هل هي الشجرة الملعونة في القرآن ام سواها؟ وما هي هذه الشجرة؟ وبماذا خوفهم ، بالرؤيا الشجرة؟ ام إحداهما؟ او سواهما؟.

أو هذه الرؤيا الفتنة مذكورة في القرآن فنفتش عنه فيه؟ ... هنا لك رؤيا صادقة بالحق تحمل بشارة لا تمت بصلة الفتنة : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٤٨ : ٢٧) ومن ثم أخرى كمثلها تقلل الكفار ، وتحمل الرحمة الروحية العالية لجنود الإسلام : ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٨ : ٤٣) ... ثم لا نجد ثلاثة تحمل فتنة ولا رحمة ، أفلا ذكر عن هذه الرؤيا الفتنة في الذكر الحكيم؟

قد يعني الإجمال عنها هنا سياسة الحياد وجاه واقع الرؤيا الفتنة : بني امية أمن ذا؟ ولكي لا يعارضوا القرآن وجها بوجه إذا ما وجدوا فتنتهم اللعنة جليلة في القرآن ^(١) ولكنما السنة المتظافرة كشفت عن وجهها النقاب ، انها رؤيا القردة ينزون على منبره (صلى الله عليه وآله وسلم).

انها لا تعني ما أريه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في سرية ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فكذبوا بها وعجبوا منه ^(٢) مهما كانت

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨ في تفسير العياشي عن رسول الله (ص) انه قد رأى رجلا من نار على منابر من نار يردون الناس على اعقابهم القهقري ولسنا نسمي أحدا.

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن سعد وابو يعلى وابن عساكر عن ام هاني ان رسول الله (ص) لما اسرى به أصبح يحدث نفرا من قريش وهم يستهزئون به فطلبوا منه آية .

منها . كآية . مثلما أرسل بها الاولون ، حيث الرؤيا هي في المنام ولقد كانت له هناك الرؤية دون الرؤيا.

وإنما هي ما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾» يعني الحكم وولده» ^(١) رآهم ينزون ... فسأه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله ...» ^(٢) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) «رأيت بني امية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء ... فانزل الله! ...» ^(٣) وبذلك وردت متظافرة الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم

. فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة هذا لساحر فأُنزل اليه ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا﴾ ...

واخرج ابن جرير عن قتادة في الآية يقول : أراه من الآيات والعبر في مسيره الى بيت المقدس ذكر لنا ان أناسا ارتدوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله (ص) بمسيرة أنكروا ذلك وكذبوا به وعجبوا عنه وقالوا : أتحدثنا انك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة!

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر (رض) ان النبي (ص) قال ...
(٢) فيه اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد (رض) ، قال : رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون ...
(٣) فيه اخرج ابن حاتم عن يعلى بن مرة (رض) قال قال رسول الله (ص) : ... وفيه اخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي (رض) ان رسول الله (ص) أصبح وهو مهموم فقليل له : ما لك يا رسول الله (ص)؟ فقال : اني رأيت في المنام كان بني امية يتعاورون منبري هذا فقليل : يا رسول الله! لا تحتم فأنها دنيا تنالهم فانزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ...﴾ واخرج مثله ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب فيه بدل «فقليل» . فأوحى الله اليه «انما هي دنيا أعطوها فقرت عينه وهي قوله : وما جعلنا ... «فتنة» يعني : بلاء للناس.

(السلام) (١).

ثم وما هي ﴿الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾؟ هل هي شجرة الزقوم؟ : ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ : إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٣٧ : ٦٥) ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ : كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾ (٤٤ : ٤٦) فكونها ملعونة لأنها طعام الملعونين :

ام هي الكلمة الخبيثة في مثل القرآن : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (١٤ : ٢٦) كلمة خبيثة في صيغة لفظية ام كونية في ذوات شريرة كبنى امية ام من ذا ام في أعمال وأية دالة على ما لا يحمد :

ام لا تعني . فقط . هذه او تلك ، شجرة اللعنة او مثلها ، بل واللعنة المتشجرة ، المتدخلة المتخللة خلال المسلمين ، المتشجرة الشجرة الطيبة الإسلامية ، المترتبة دوائر السوء بالإسلام ومن ألغى شجرة امية ، كما يرويهما الفريقان ، وقد سمعوا عائشة (٢) وغيرها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرويهما أئمة أهل البيت (عليهم السلام) (٣) :

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٩ في احتجاج للطبرسي عن رسول الله (ص) وعن امير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه : وجعل اهل الكتاب القائلين به والعاملين بظواهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» أي يظهر مثل هذا العلم المحتملة في الوقت بعد الوقت وجعل اعدائها اهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ...

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن مردويه عن عائشة انها قالت لمروان بن الحكم :

سمعت رسول الله (ص) يقول لأبيك وجدك : انكم الشجرة الملعونة في القرآن».

وعن علي (ع) كما يأتي : «الا فجر ان من قريش ومن بنى امية».

(٣) نور الثقلين ٣ : ١٧٩ ح ٣٧٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الحسن بن علي (ع) .

واللعنة الدائمة في القرآن متجهة الى شجرات كهذه الملعونة ، حلقات تلو بعض يعج منها تأريخ الإنسان وتاريخ الإسلام ، ولا سيما المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، المعارضين إياه ، كاتمين البينات والهدى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (١٥٩ : ٣) . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّاسَ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (٣٣ : ٥٧) أولئك الذين الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٤ : ١٤٥).

إن الشجرة الملعونة في القرآن «الزقوم» تخرج في الدرك الأسفل ﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ وهي صورة تمثل سيرة المنافقين ومن أنحسهم بنو أمية ، فهم زقوم في الدنيا وزقوم في الآخرة! وهم المثل الأسفل الأرذل من كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار! وهم الكاظمون ما أنزل الله من البينات والهدى ، المؤذون الله ورسوله فلعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ، واي عذاب

. حديث طويل يقول فيه لمروان بن الحكم : أما أنت يا مروان فلست أن سبيتك ولا سبيت أباك ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك ولعن اهل بيتك وذريتك وما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة على لسان محمد (ص) والله يا مروان ما تنكر أنت ولا احد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله (ص) ولأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما فوقك الا طغيانا كبيرا وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن ورواه مثله في تأويل الشجرة الملعونة ببني أمية العياشي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر (ع) وعن أبي الطفيل قال كنت في مسجد الكوفة فسمعت عليا (ع) يقول وهو على المنبر وناداه ابن الكوا وهو في مؤخر المسجد فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن قول الله ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ فقال : «الا فجران من قريش ومن بني أمية.

أهون من تمثّلهم في شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلّعها كأنه رءوس الشياطين؟.

فهذه الشجرة الخبيثة تحمل مثلث اللعنات ، وعلّها أو أنّها هي الرؤيا التي أريها الرسول فتنة للناس ، ويا لها من فتنة افتتن بها الكثير من الناس خيرا أو شرا ، تمحيصا وتحليصا للمؤمنين ، وتلبيسا على الذين في قلوبهم مرض من المنافقين ، وقد يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) متضافرة ان الشجرة الملعونة في القرآن هي هي الرؤيا التي أريها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) فتنة للناس ^(١) وهكذا موقف «الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ» أدبيا حيث تردف بالرؤيا في جعل واحد ، قرده ينزون ويرقون منبره في منامه ، وشجرة ملعونة في قرآن! «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ... وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ».

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٠ في تفسير العياشي عن الحلبي عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم قالوا سأله عن قوله «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ...» قال : ان رسول الله (ص) أرى رجالا على المنابر يردون الناس ضلالا زريق وزفر. وقوله: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» قال : هم بنو أمية.

ورواه مثله في تفسير الشجرة الملعونة ابو الطفيل سمعت عليا (ع) يقول ... وعبد الرحيم القصير وحريز عن أبي جعفر (ع) وعلي بن سعيد عن أبي عبد الله (ع) والطبرسي في الاحتجاج عن الحسن بن علي (ع) وقد مضى أمثال لها اخرى وفي كتاب الخصال عن أبي جعفر (ع) عن امير المؤمنين (ع) حديث طويل يقول فيه . وقد ذكر معاوية بن حرب . ويشترط علي شروطا لا يرضاها الله تعالى ورسوله ولا المسلمون ، ويشترط في بعضها ان ادفع اليه قوما من اصحاب محمد (ص) أبرارا فيهم عمار بن ياسر واين مثل عمار؟ والله لقد رأيتنا مع النبي (ص) وما بعد منا خمسة الا كان سادسهم ولا اربعة الا كان خامسهم.

اشترط دفعهم اليه ليقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمر الله ما ألّب على عثمان ولا جمع الناس على قتله وأشباهه من اهل بيته إلا أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

وقد يقال إن الرؤيا هنا أخص من الشجرة الملعونة ، كما ويروى عن علي (عليه السلام): «انها الأفجران من قريش ومن بني امية» فذكرها بعدها ذكر للعام بعد الخاص ، ولكن الرؤيا تمثل ألعن المصاديق لهذه الشجرة! ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (٦١).

حسد فاتك من إبليس في حماقة كبرى يجعله يذكر الطين ، غافلا متجاهلا عما نفخه الله في هذا الطين ، فلو أنه نظر الى نورية آدم ولم ينظر الى نارية نفسه لما كفر!.

قفزة الحلقة لآدم الاول من طين.

و «طينا» هنا ليس إلّا حالا ، خلخته حال كونه طينا ، فتصبح نصا على قفزة دون واسطة للطين الى آدم ، رغم تأويلات الداروينيين في سائر آيات الطين : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٣٨ : ٧١) في قولتهم إن «من» النشوية الابتدائية الجنسية لا تثبت إلّا بداية طينية ، أما أنها دون وسيط بقفزة ام بوسيط التكامل فلا تدل على شيء منهما ، وقد يلوح من آيات اخرى التكامل!

ليست هناك آيات تلمح للتكامل إلّا القفزة ، وهنا الحال «طينا» تقطع المجال والآمال عما يهوون ، نصا في القفزة ، ف ﴿خَلَقْتَ طِيناً﴾ تعني خلقت آدم الاول حال كونه حين خلق طينا ثم ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٣٢ : ٧) مما تناصرها في هذه القفزة ، حيث البداية تختلف عن الاستمرارية التناسلية في خلق سائر الإنسان ، فلو عنت «من طين» فيما يعنون من النشوية البعيدة لم يكن فرق بين البداية وسواها ، حيث النطفة تبتدئ من طين كما آدم في قولتهم.

واما أن الجامد لا يأتي حالا ، فهو اجتهد أدبي من استقراء ، ولا قرية أدبية أخرى من القرآن ، ولا يصح او يحسن هنا «طينا» إلا حالا ^(١) :

خلقته طينا وخلقني نارا والنار في أصلها وتبدلها التكامل خير من طين ، فلما ذا أسجد أنا النار لآدم الطين؟!.

وهنا لك آيات أخرى صريحة في القفزة الطينية لآدم ك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣ : ٥٩) ولزام الممثل به أن يكون أمثل وأفضل فيما يمثل ، ومادة المماثلة بين عيسى وآدم هي اختراق العادة في خلقهما فليكن آدم دون أبوين ليمثل به عيسى المخلوق من أم ، وليس ذلك إلا خلقه قفزة من تراب ، وأما الخلقة التكاملية فليست خارقة فلا مماثلة فضلا عن كون آدم أمثل ، فإنما ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٥٥ : ١٤) وهل الفخار يصنع الفخار إلا من طين ، فكذلك فخار فخار الإنسان خلقه من طين.

واما آية الاصطفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣ : ٣٣) فلا تدل على ما يهواه الهاوون الغاؤون ، ان آدم أبا هذا البشر كان بين أودام فاصطفاه ربه لإنسان البشر ، وجعله رسولا إليهم ، حيث الاصطفاء يكفيه انه كان بين حواء وسائر الجن والشياطين ، فاصطفاه رسولا إليهم بعد العصيان والتوبة والاهتداء : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (٣٠ : ١٢٢).

(١) فكونه مفعولا لخلقت وحيدا لا يصح حيث الصلة لا بد لها من ضمير الى الموصول ، او انه مفعول ثان اوله محذوف «خلقته طينا» هو عكس الواقع انه خلق طينا إياه ، لا خلقه طينا ، او انه مفعول أول تأخر «خلقت طينا إياه» ولو انه صحيح فغير فصيح ، او ان «طينا» منصوب بنزع الخافض ، وهنا موضع اللبس فلا ينزع الخافض فإن نزعه يخلف النزاع. فلا مجال في أدب القرآن إلا كونه حالا.

ومهما كانت في سائر القرآن آيات تتشابه احتمالا للتكامل ، فهي متشابهة ترجع الى أمثال هذه المحكمات ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾!

فلا مجال لخلق آدم . على ضوء القرآن . إلا القفزة الطينية ، اللهم إلا لمن يكفر بالقرآن ، ام لا يفكر فيه فيهرف بما لا يعرف ناسبا له الى القرآن! بما تأثر من تخیلات دارونية اماهيه ، تحميلا لها على متشابهات من الذكر الحكيم ، متغاضيا عن محكمات القفزة الطينية اليقينية.

ولئن قلت إن شيطنة العقيدة تضرب الى شيطنة التفهم عن خلق آدم ، و ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ من اجتهد الشيطان؟.

فالجواب : ان الرحمن ليس ليصدق الشيطان فيما يكذب وإلا أصبح القرآن البيان كتاب الشيطان ، فلا تجد في القرآن استعراض ضلالة إلا في إعراض وابطال كما هو قضية كتاب الهدى وإلا أصبح من كتب الضلال ، فهنا السكوت عن إبطال ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ ومن ثم في آيات تناظرها التصريح بطينية آدم برهان لا مردّ له على تصديق لقوله أكيد ، فليست كل مقالات الشيطان باطلة ، وانما يخلط حقا بباطل إضلالا ، وليس يستطيع الشيطان أن يكذب ربه فيما خلق وفي مواجهة خاصة ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾!

ثم الله هو القائل ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٣٨ : ٧١) لخصوص آدم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (٢٣ : ١٢) له ولبنيه حيث النطفة سلالة من طين ، كما وأن طين آدم كان سلالة من طين.

ثم الشيطان وإن لم يكن من الملائكة إذ ﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (١٨ : ١٥) ولكنه كان في زمرتهم تقدسا وعبودية لله فشمله الأمر كيانا وإن لم يشمله كونا ، كما ولم يعترض هو بذلك على ربه فيما اعترض ،

ثم و ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (٧ : ١٢١) دليل خاص على أمره و «قلنا للملائكة يدلنا انه كان ضمن الملائكة.

والسجود هنا كما فصلناه في البقرة والجن ويوسف كان سجود شكر ولم يكن المسجود آدم ، وإنما ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجودا لله لما أنعم عليهم من آدم معلما ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، فلا أن آدم كان قبلة لهم حيث السجود هو الى القبلة لا لها وهنا «لآدم» ولا أنه مسجود فانما هو الله وآدم مسجود له : ولأجله ، فالسجود له قد يعني أنه مسجود كما الله ، أو انه سبب للسجود كالشكر لله بما أنعم ورزق كما تقول : سجدت لرزقي . لولدي إما ذا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَحْزَنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢).

هنا يتهدد إبليس ربه في ذرية آدم باحتناك ذريته فتزول هذه الكرامة حيث يجعلهم في احتناكهم كمثلهم ام هم أضل سبيلا ، فينقض في زعمه الكرامة الربانية لآدم حيث ينتقص من تلکم الكرامة ... وكما انتقض فترة في عصيان آدم.

«قال» إبليس مخاطبا ربه : «أرأيتك» أرأيت نفسك «هذا» الطين الحقير الهزيل الذليل ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ وقد ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾! أرأيتك تبقى هذه الكرامة؟ ﴿لَنْ أَحْزَنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؟ كلاً فاني إن أحرث وأمهلته ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ :

أنت كرمته علي لأنه يعبدك اكثر مني ، وانا اكرم نفسي عليه حيث احتنتك ذريته ... فيعبدوني أنا تاركين عبادتك!

نرى قصة إبليس في آيات سبع ، تشترك في أمر الملائكة بالسجود لآدم

وإبلاس إبليس ، حيث استقل كيان آدم المخلوق من طين ، واستغل ناريتة في إبلاسه عن السجود له ، ثم تأتي بما تهدد إبليس ذرية آدم باحتناك ذريته إلا قليلا ، وان ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ثُمَّ لَا تَيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧ : ١٨﴾ و ﴿لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٥ : ٤٣﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فيما هدد ذريته ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٤ : ٢٠)! لا لأنه أقوى منهم ف ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ بل لأنهم اغوى منه رغم انهم أقوى حجة وأحجى!.

إنه طالب ربه إنظاره الى يوم يبعثون ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧ : ١٥﴾ فهل الى يوم يبعثون؟ و ﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ يلمح الى أنهم عدة ، فمن هم؟ وحتى متى؟ وفي (ص) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ : قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ : إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٨١).

وقد تلمح لعنته الى يوم الدين أنه الوقت المعلوم ^(١) وقد يعبده ألا تصرّحه في سائر القرآن بإجابته الى يوم الدين ، وإنما ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ام و ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وعلة لان إنظاره له مرحلتان ، إنظار أول الى يوم يقوم القائم (عليه السلام) حيث يأخذ حريته في مجاله الأوسع

(١) حيث اللعنة الى يوم الدين هي جزاء الشيطنة الى يوم الدين وقد تحققت اللعنة فلتتحقق كذلك الشيطنة الى يوم الدين ، مهما خفت منذ قيام القائم لقوة في دولة الايمان وللمؤمنين.

احتناكا لذرية آدم ، وانظار ثان منه الى يوم القيامة الكبرى ولا يحسب له حساب ، حيث الدولة الحقّة الإلهية لا تفسح له مجالا فسيحا ولان الشيطان ربط احتناكهم إلا قليلا بإنظاره الى يوم الدين ، و ﴿صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنْ لَيْسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذه تلميحاً أخرى انه منظر الى يوم الدين.

ولماذا يربط احتناكه إلا قليلا بذلك الإنظار وهو محتك ذريته وان انظر ساعة؟ ... لأنّ «الا قليلا» لا يتحقق في حسابه الا في إنظاره إلى يوم الدين ، فلو انظر أقل منه فقد يتفقت كثير عن سلطانه فيما ليس له سلطان ، فهو بحساب كل زمان ومكان يحتك ذريته إلا قليلا حسب هذا المجموع ، فلو خرج شطر من زمان او مكان لاختل ميزان الشيطان ولم ينضبط في المجموعة «إلا قليلا» مهما انضبط بالنسبة للشطر الذي انظر فيه.

وقد ينصدم «إلا قليلا» بزمن القائم المهدي (عليه السلام) والله العالم! ثم الاحتناك قد يعني افتعالا من الحنك : لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها ، غير ممتنعة على قائدها ، استيلاء عليهم وملكة لتصرفهم كما يملك الراكب الحمار حماره ، بثني العنان تارة وبكبح اللجام أخرى.

أم يعني : لألقين في إحناكهم حلاوة المعاصي حتى يستلذوها ويرغبوا فيها ويطلبوها. او : لأستأصلن ذريته بالإغواء ، ولأستقصين إهلاكهم بالإضلال ، حيث اتباعهم غيّه ، وطاعتهم امره يؤولان بهم الى موارد الهلاك وعواقب البوار.

او : لأضيقن عليهم مجاري الأنفاس من إحتناكهم بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم ، يقال : احتنك فلان فلانا إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه فكان كالشبا في مقلته ، والشجا في مسعله»^(١).

او أنها كلها معنية تجمعها احتناكه لهم كالحمار حيث يؤخذ بحنكه فينقاد حيث يقاد احتناكا فطريا . عقليا . فكريا . عقيديا . عمليا . سياسيا . اقتصاديا إما ذا حيث الشيطان يحتنك كلاً حسب المكنة والاستطاعة بما عنده من هذه وتلك ، وعلى أية حال إنه يحقق نصيبه في كلّ باستحمار يناسبه بعلم او مال او مقال أماذا ، و «قليل» يعني المنحسر عن احتناك الشيطان ، المنحصرين بالله وفي الله فلا ينجو عن ذلك الاحتناك . قلّ او كثر . إلا القليل.

وترى من القليل المستثنى من احتناك الشيطان؟ هناك قلة مخلصه لا تشملهم أية غواية علمية او عملية او عقائدية أماهيه ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٣٨ : ٨٣) ثم له سلطان أيا كان على غير المخلصين : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٥ : ٤٢) ففي كل غواية سلطان للشيطان من سيئة صغيرة الى كبيرة والى كفر مطلق ، مهما اختلف سلطان عن سلطان ، فمن يتبع الشيطان كان للشيطان عليه قدر اتباعه سلطان ، فمنهم من ينجو بتوبة او شفاعة او رجاحة الحسنات او ترك كبائر السيئات ، ومنهم من لا ينجو إلا دخولا في النار لفترة طالت ام قصرت ثم يخرج الى الجنة ، ومنهم من يخلد بخلود النار ثم يفنى بفناء النار ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

فلا ينجو من سلطان الشيطان ككل إلا فريق من المؤمنين لا كلهم : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٤ :

(١) بين القوسين منقول عن مجازات القرآن للسيد الشريف الرضي ص ٣٠٢ . ٢٠٣ .

(٢٠) فلم يقل «إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ» وهذه الفرقة من المؤمنين هم المعنيون بآية النحل ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١٦ : ٩٩) إيماننا يتوكل فيه على الله ، فبالإيمان يخلص وبالتوكل يصبح من العباد المخلصين فليست هذه القلة إلا المعصومين! وهم عباد الله حقا إذ لا نصيب منهم للشيطان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (١٧ : ٦٥).

فالشيطان بين سلطان مطلق واحتناك لبني الإنسان ، وبين عباد مخلصين ليس له عليهم سلطان ، ثم بينهما عوان للشيطان عليهم سلطان قل او كثر . وترى ذلك الاحتناك يخص بني آدم دون سواهم من المكلفين حيث النص : ﴿لَا خَتَنَ كُنْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾؟ ... ان الشيطان يطمح في احتناك ذريته كأصول لدعوته ، انتقاما من تكريم آدم عليه ولأنه شيطان ، فهو شيطان بالنسبة للمكلفين كافة كما الآيات الأخرى تشملهم ف ﴿إِنَّ عِبَادِي ...﴾ لا يخص بني آدم! ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦٣).

«اذهب» أمر ليس دفعا الى الإضلال لا تكويننا ولا تشريعا ، بل هو سماح وإنظار يتبعه إنذار ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ...﴾ فهو امر تحديدي في معنى أشد النهي تشريعا لمن لا يحن الى هدى ولا يرجى منه الاهتداء فيطرد تحديدا ، وتحديدا ، مهما يحمل إمهالا تكوينيا كما في نظائره : ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ (٢٠ : ٩٧).

والجزاء الموفور هو الوفاق وفر العدل ، دون أن ينقص ما يستحقونه شيئا أو يزيد ، وقد يعني أنهم مهما كثروا فجهم لهم جزاء موفور لا تضيق

بهم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

وترى إن جهنم جزاء لكل من تبعه في أية تبعة؟ وهنا لك غفرانات بتوبات ام شفاعات او ترك كبائر السيآت او فعل الحسنات ام ماذا! الجواب أن هؤلاء ليسوا أتباع الشيطان ، وإنما هم من كانت حياته حياة التبعية للشيطان مهما كانت له حسنات ام ماذا ، فرجاحة السيآت جزاءها جهنم مهما خرج عنها باستحقاق ام خلد فيها باستحقاق.

«اذهب» وحاول ما استطعت في احتناكهم فلا تملك منهم إلا كيذا ، وقد ملّكوا عقولا وزودوا بآيات الحق صدقا ، برسالات دواخل الذوات وخوارجها ، فهم أقوى منك في هذا الميدان ، إلا من تغافل عن طاقاته ، وتجاهل عن بيناته ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ هذه النعمة القوة بسوء اختيارهم.

وترى لماذا «جزاءكم» خطاب الحاضرين وهم غيب وحاضر الخطاب هو إبليس؟ ... لأنهم أيا كانوا وأيان فهم حضور عند الله دون غياب ، قبل أن يوجدوا وبعده ، أحياء وأمواتا ، وان غائب الصيغة لا يشملهم وهو حاضر «جزاءهم» وحاضرها تشملهم وإياهم ، ثم وحاضر الإنذار أوقع من غائبه.

﴿وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤).

آية عديمة النظير تحمل فيما تحمل افتعالات الشيطان في أوامر اربعة لا تعني إلا ما عناه «اذهب» دون دفع تكويني او تشريعي ، وإنما سماح وإنظار وأنه لا يمنع تكويننا مهما منع تشريعا : «فان جهنم جزاءكم»

وترى إن الله يدلّه على موارد إضلاله؟ كلا! وإنما يدلنا على مجاري ضلاله ومناهل اعتقاله.

وتختصر الآية فيما تختصر قدر المستطاع من كيد الشيطان ، ولكي نكون على نبهة واهبة في مواجهته بما زودنا من طاقات ، وتزيدنا نجاحا في هذا النضال مواعيد ربنا ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (١٩ : ٦٣) ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

فهناك خطوة إبليسية اولى : ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ : فما هو صوته وما هو استفزازه بصوته؟.

الاستفزاز هو الاستخفاف الإزعاج من الفز : ولد البقرة لما تصور فيه من الخفة كما يسمى عجلا لما تصور فيه من العجلة ، ولا يحمل على العصيان ولا يحتنك للشيطان إلا من يستفز استخفافا عن ثقله ، وكما ان فرعون ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ﴾ (٤٣ : ٥٤) وأراد ان يستفز بني إسرائيل فثبتهم موسى ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرِفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (١٧ : ١٠٣) وكادوا ليستفوزوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُوا نَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٧ : ٧٦).

ليس للشيطان ان يستفز عباد الرحمن بعقلية راجحة او بحجة ووعد الصدق ، وإنما بما يزين لهم في الأرض : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٥ : ٤٠).

وللشيطان صوتان يستفزان ، صوت يلهي بما يشهي من غنى وموسيقا

ام ماذا؟^(١) ، فمهما لا يسمع منه نفسه ، يحمل من يحتنكه على صوته استفزازا لنا .
ثم وصوت يحمل وعودا في غرّة ومكيدة ، ولا يستفز بهما إلّا الأخفاء في عقولهم
وإيمانهم وفي أي حقل من حقولهم المستخفة المتخاذلة ، والصوت قد يلهي بنفسه سواء بلفظ
له معنى حق أو باطل ، أو لا يعني أي معنى ، كالأصوات الخاصة بالمراقص وسائر اللهو ،
فلهو الثالث ذو بعد واحد والثاني اثنين وفي الأول بعد بعيد فان فيه مهانة للحق كأن يقرء
القرآن بصوت يناسب الرقص ، وأما الصوت غير الخاص باللهو ، فقد يعني معاني واعظة
ومذكرة فأحسن ، أو معاني مضللة وباطلة ملهية فقيح ، أو معان عوان فعوان لا ممدوحة ولا
مذمومة.

ثم المعنى المضلل الملهي بصوت لا يلهي هو ذو بعد واحد بلهو المعنى ، فاللهو عما
يعنيه الإنسان في دينه ودنياه الى ما لا يعنيه او يعني ضلاله ويلهيه عن الله ، إنه محرم أيا كان
، لفظا ومعنى او هما معا ، وتختلف دركاته باختلاف دركات اللهو .
والاستفزات الشيطانية كلها محرمة ، سواء أكانت شهوانية ام عقائدية . ثقافية .
اجتماعية . سياسية . اقتصادية وحربية إمّا ذا من استفزاز الاستخفاف للثقالة الإنسانية
فاحتناك واستحمار وهنالك تقع الطامة الكبرى!
إذا فكل صوت مستفز عما يعنيه الإنسان في مفترضاته الإنسانية والإسلامية الى ما
يعني ضلاله او ما لا يعنيه ، تشمله «صوتك» وهي كافة

(١) الدرر المنثور ٤ : ١٩٣ . اخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاحية وابن جرير وابن المنذر وابن أبي
حاتم عن مجاهد في قوله «وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...» قال : استنزل من استطعت منهم بالغناء
والمزامير واللهو والباطل ..

الملاهي التي تسمع ، من غناء ملهية وموسيقا اماهيه؟ وهي كلها صوت الشيطان وإن تسمعها عن انسان.

ولأن استفزازهم بصوته بحاجة الى تكريس القوات المضللة ، إذ ليس كل انسان بالذي يستفز بصوت الشيطان إلا بمعدات ، فهنا لك خطوة اخرى.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ خطوة ثانية إبليسية لمن لا يحتنك بصوته : فالخيل والرجل هما الجند راكبا وماشيا ، وعلّهما كناية عن صوري الجيش الشيطاني من راكب في نضاله الإضلال يسرع ، ومن ماش يبطئ ، فللشيطان جنود يحملون دعوته ودعايته من الجنة والناس الى الجنة والناس : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ : وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٢٦ : ٩٧) من ذريته الجنة الشياطين : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (١٨ : ٥٠) ومن شياطين الإنس : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ...﴾ (٦ : ١٢).

فالشيطان يستفزهم بصوته ويجلب عليهم بخيله ورجله من شياطينه ، والإجلاب هو الصيحة بقهر ، فمن لا يستفزه صوت دون صيحة ، يصيح عليه بقهر باذاعاته العدة التي يحملها خيله ورجله ، صيحات على مسامع آذانهم وعقولهم وقلوبهم ولحد الاستفزاز ، وهنا لك دركات لهذه الصيحات كما يقتضيها مختلف الاستفزات على اختلاف الاستعدادات. معركة صاخبة تتجسم فيها وسائل الغواية والسلطة الابليسية ، باستخدام مختلف الأصوات المستفزة جلية وخفية ، من أية إذاعة شيطانية ، إزعاجا للخصوم ، واستدراجا لهم للفتح المنسوب لهم ، فإذا استفزوا الى العراء أخذهم في احتناك واستحمرهم في ذلك العراء. «فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله ::

فلعمر الله فخر على أصلكم ووقع في حسبيكم ودفع في نسبكم واجلب عليكم بخيله وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان ، لا يمتنعون بحيلة ولا يدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصه موت وجولة بلاء» (١) :

وفي ذلك الأمر الإمر استهانة بمكره ، وإقلال الحفل بخدائعه ، ثم وليس له . في الحق . خيل ورجل لا نراها ، فانه خلاف العدل ، وخلاف الواقع الملموس ، فانما كل راكب في معصية الله ، مرغب فيها سواء هو من خيله وعملائه ، وكل ماش فيها هكذا هو من رجله ، من شياطين الجن والإنس .

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ خطوة ثالثة في احتناكهم باحتكاكهم في الأموال والأولاد ، فما ذا تعني مشاركتهم في الأموال والأولاد؟ ومن الأموال والأولاد ما تختص بالشیطان ومنها ما تشترك؟

هذه الشركة تتمثل في الأموال والأولاد التي تحصل بغير حق او تصرف في غير حق ، او يجمع فيها بينهما من باطل الى باطل ، ام تجمّد وتكتنز بباطل .

فأية حالة باطلة في مال او ولد . وهما قوام الحياة الإنسانية . إنها شركة شيطانية ، اختص بها الشيطان أم شارك فيها ، كما الشرك بالله ، إذ لا يعني . فقط . ان يعبد الله مع خلقه ، بل وان يعبد خلقه دونه كالكثيرين من المشركين .

إن مثلث التحصيل والصرف والكنز للمال حراما ، تماما او بعضا ، كلّ من شرك الشيطان ، فلشرك الشيطان . أيا كان . دركات كما لتوحيد

(١) نهج البلاغة السيد الشريف الرضي عن الامام علي (ع).

الرحمن والايمن درجات ، فأسفل الدرجات في الأموال ثالث المحرم تحصيلها وصرفها وكنزا دون حلّ فيه ، وأعلىها المحرم في واحد على حلّ فيه وبينهما متوسطات.

كما الأسفل في الأولاد هو الاستيلاء بالسفاح ^(١) ثم التربية الشيطانية ، ثم الاستعمال في مختلف الشيطانات ، والأعلى نكاح محرم على حلّ ، أو تربية أو استعمال فيه شرك شيطان وبينهما متوسطات ، وقد يشمل النكاح دون ذكر الله لكي يصبح الولد صالحا متحللا حياته عن شرك الشيطان ^(٢).

فأية حالة شيطانية في الأموال والأولاد هي من شرك الشيطان أيا كان ، وقليل هؤلاء الذين يتخلصون عن أي شرك للشيطان ، وهم عباد الله المخلصون ثم المخلصون وهم قلة اللهم اجعلنا من هذه القلة.

ومن شرك الشيطان بغض الامام علي (عليه السلام) حسب المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول : «والله يا علي لا ييغضك من قریش إلا سفاحيا ولا من الأنصار إلا يهوديا ولا من العرب إلا دعيا ولا

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٤ ح ٢٩٥ تفسير العياشي عن عبد الملك بن اعني قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول :

إذا زنى الرجل ادخل الشيطان ذكره ثم عملا جميعا ثم تختلط النطفتان فيخلق الله منهما فيكون شركة الشيطان.

(٢) المصدر ص ١٨٥ ح ٣٠٠ عن يونس بن أبي الربيع الشامي قال كنت عنده (الباقر ع) ليلة فذكر شرك الشيطان فعظمه حتى افزعني فقلت جعلت فداك فما المخرج منها وما نصنع؟ قال : إذا أردت المجامعة فقل بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو بديع السماوات والأرض اللهم ان قضيت مني في هذه الليلة خليفة فلا تجعل للشيطان فيه نصيبا ولا شركا ولا خطأ واجعله عبدا صالحا خالصا مخلصا مصغيا وذريته جل ثناءك.

من سائر الناس إلا شقيا ولا من النساء إلا سلقلية وهي التي تحيض في دبرها ...^(١)».

﴿وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ... خطوة رابعة من خطوات الشيطان

الوعد الكذب الغرور ، فإنه كاذب غرور.

(١) ملحقات الأحقاق ج ١٤ : ٦٥٥ . الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ : ٣٤٣ ط بيروت بسند متصل الى جابر بن عبد الله الأنصاري عن علي (ع) قال : كنا مع النبي (ص) إذ أبصر برجل ساجد راکع متطوع متضرع فقلنا يا رسول الله (ص)! ما احسن صلاته؟ فقال : هذا الذي اخرج اباكم آدم من الجنة فمضى اليه علي غير مكترث فهزه هذا ادخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ثم قال : لأقتلنك ان شاء الله فقال : لن تقدر على ذلك ان لي أجلا معلوما من عند ربي ما لك تريد قتلي؟ فو الله ما أبغضك احد الا سبقت نطفتي في رحم امه قبل ان يسبق نطفة أبيه! ولقد شاركت مبغضك في الأموال والأولاد وهو قول الله في محكم كتابه ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ فقال النبي (ص) صدقك والله يا علي! الا يبغضك ... ثم اطرق مليا فقال : معاشر الأنصار! اعدوا أولادكم على محبة علي ، قال جابر : كنا نبور أولادنا في وقعة الحرة بحب علي فمن أحبه علمنا انه من أولادنا ومن أبغضه اشفينا منه.

وبإسناد متصل آخر من حبة العرفي ، قال سمعت علي بن أبي طالب يقول : دخلت على رسول الله (ص) في وقت كنت لا ادخل عليه فيه فوجدت رجلا جالسا عنده مشوه الحلقة لم أعرفه قبل ذلك فلما رأيته خرج الرجل مبادرا قلت يا رسول الله (ص) : من ذا الذي لم أره قبل ذي؟ قال : هذا إبليس الابالسة سألت ربي ان يرنييه وما رآه احد قط في هذه الحلقة غيري وغيرك قال (ع) فعدوت في اثره فرأيت عند أحجار الزيت ، فأخذت بمجامعه وضربت به البلاط وقعدت على صدره فقال : ما تشاء يا علي؟ قلت : أقتلك قال : انك لن تسلط علي قلت : لم؟ قال : لأن ربك انظرني الى يوم الدين خل عني يا علي فان لك عندي وسيلة لك ولأولادك قلت : وما هي؟ قال : لا يبغضك ولا يبغض ولدك احد الا شاركته في رحم امه ليس الله يقول ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؟

وبإسناد متصل عن جعفر بن محمد في حديث عبد الرحمن بن كثير قلت جعلت فداك بأيش تعرف ذلك (يعني شرك الشيطان) قال : بحبنا وبغضنا ... قال الحسكاني : والرواية في هذا الباب كثيرة وهي في كتاب طيب الفطرة في حب العترة مشروحة.

«عدهم» هنا يعم الوعد الخير والوعيد الشر ، وعدا يمنيهم ترغيبا الى الشهوات :

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤ : ١٢٠) ووعدا ترهيبا عن المكرمات :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ : (٢ : ٢٦٨).

ثم ولا يخص وعده ترغيبا وترهيبا يوم الدنيا ، بل وكذلك الأخرى ، وعدا يشككهم في الآخرة ، وآخر يرجيهم رحمة الله فيها ام يغلب رجاءهم على خوفهم ، وثالثا بمغفرة في شفاعته اماهيه ، وقد تعنيهما فيما تعنيه ﴿ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (٧ : ١٧) حيث الآخرة هي ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ إذ يستقبلونها متجهين إليها ، والدنيا هي «من خلفهم» إذ يستدبرونها مولين عنها.

ووعد الشيطان أيا كان ليس إلا غرورا فانه غرور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٥ : ٥) . (٣١ : ٣) ..

خطوات اربع كبريات تحمل كافة الشيطانات ، وهي هي مجالات واسعة النطاق للسلطات الشيطانية ، لا ينجو منها إلا عباد الله الخصوص ، واما عباد الشيطان فلا عنت له في تمشيتهم فيها ، والعباد المشركون المشتركون يمشيهم كما يتمشون فيأخذ نصيبه منهم كما يحتنون ، ثم يتخلص العباد المخلصون بالله والمخلصون لله :

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥) :

ولو لا الوكالة الربانية ل «عبادي» المخلصين المختصين بالله لم يتخلصوا عن خطوات الشيطان ، فلا كفاية للإنسان أيا كان إلا بهذه الوكالة.

ف «عبادي» تلمح بذلك الاختصاص ، أنهم هم الذين وقفوا أنفسهم في الله

لعبادة الله ، وطاعوا في ذوات نفوسهم لطاعة الله ، واستعاذوا في كل ذلك بالله ، بعد ما قدموا طاقاتهم كلها لسلوك سبيل الله ، فمنهم من اصطفاهم الله برسالاته فعصمهم عن الأخطاء كلها ، تلقيا من الله وإلقاء وتطبيقا. فهم معصومون في هذا المثلث البارِع ...

ومنهم من أيدهم وسددهم دون تلكم العصمة البارعة فخلصهم من سلطان الشيطان دون العصمة العلمية ، وقد يعنيهما «عبادي» هنا مهما اختص المعصومون في مجالات أخرى : ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٥ : ٤٠) كدرجة اولى ورتبة أعلى من «عبادي» ، ومن ثم درجة ثانية ليسوا من الغاوين مهما لم يكونوا من المخلصين : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

فعباد الله الخالصون لله مخلصين كانوا ام مخلصين ليسوا من الغاوين ، فلا سلطان عليهم من شيطان ، ^(١) ولا على غيرهم إلا دعوة ودعاية متحللة

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٥ ح ٣٠٢ في تفسير العياشي عن جعفر بن محمد الخزازي عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يذكر في حديث غير خم انه لما قال النبي (ص) لعلي (ع) ما قال واقامه للناس صرخ إبليس صرخة فاجتمعت له العفاريت فقالوا : سيدنا ما هذه الصرخة؟ فقال : ويلكم يومكم كيوم عيسى والله لأضلن فيه الخلق ، قال : فنزل القرآن ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «فقال : فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا : يا سيدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال : ويحكم حكى الله والله كلامي قرآنا وانزل عليه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ...﴾ ثم رفع رأسه الى السماء ثم قال : وعزتك وجلالك لا لحقن الفريق بالجميع ، قال فقال النبي (ص) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قال : فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا : يا سيدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟ قال : والله من اصحاب علي ولكن وعزتك وجلالك لأزينن لهم المعاصي حتى ابغضهم إليك قال : فقال ابو .

عن البرهان : ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾ (١٤) :
(٢٢) فالأن دعوته توافق الشهوة لا يطلب منه عليها دليل.

. عبد الله (ع) : والذي بعث بالحق محمدا للعفاريات والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم والمؤمن
أشد من الجبل والجبل تدنوا اليه بالفأس فتنحت منه والمؤمن لا يستقل عنه دينه.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَرَضْتُمْ وَقَالَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ

وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)
وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا (٧٣) وَلَوْ
لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا﴾ (٦٦).

الرب الوكيل الكافي هو ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ والإجزاء هو
الدفع للانسياق ، ف «ربكم» يدفع الفلك لصالح الناس ابتغاء فضله ، دفعا بالرياح قوات
اخرى بترولية اماهيمه ل «انه كان» قبل

خلقكم ﴿بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وإزاء الفلك هو من مظاهر الرحمة الرحيمية الربانية. أنتم تنساقون على الفلك بتنسيق الرب ، فكونوا في الحياة كلَّها على النسق الذي يسوقكم الرب ، ولا تدعوا من دونه أربابا ، لكنكم توحدونه عند الضر وتشركون به حين النجاة! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧).

هنا لك إزاء رخي بغية الرحمة ، وهنا اضطراب عتي ، مشهد لطيف عطيف يجمع بين الرخاء الرجاء ، ومكابدة العناء ، حيث تحس القلوب الواجفة المتعلقة بكل رجة وهزة كالريشة الصغيرة الهزيلة في مهب الرياح القاصفة على ثيج البحار والموج الجبار! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ في خضم هذه الرحمة المزجية «ضل» عن قلوبكم ونفوسكم وتعلقاتكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ حيث القلوب حالة الرخاء المتعلقة بالله وسواه ، تحسب أن لمن سوى الله دخلا في نجاة ونجاح ، فإذا وقع في واقع منقطع عمن سوى الله كالبحر الملتطم ، ينسى الركب في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وسناد إلا الله ، إذ لا يرى إلا الأمواج ، وحينذاك تظهر بارقة الفطرة المتعلقة في عمقها بالله ، ويبرز رجاء واحد ليس إلا بالله ، رغم خفاءه عن الأبصار ، وجلاء سواه للأبصار ، فهنا تتفتح البصيرة المغشية وتغمض الأبصار ، ويظهر الرب للبصائر كالشمس في رابعة النهار!.

﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ ... فحين تنجلي الغمرة ينمحي نور الفطرة حيث الإنسان هو الإنسان كأن كيانه النسيان ، يضل هنا عنه الله ، كما ضل عنه قبله من سواه ، حيث تتقاذفه الأهواء ، وتتجاذبه الى غير الله

فيعرض عن الله.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ كأنه يضرب الى عمق الماضي في عمق الذات ، رغم أن الذات الفطرة متجهة الى الله ، ولكنما اللذات والشهوات تحول دون المقام في مقام الذات!

..

وهكذا يكون الإنسان النسيان ، يذكر ربه وحده حين البأساء والضراء ، وينساه حين النعماء ، فليذكر أنه هو ربه لا سواه ، حين يضل من يدعوهُ إِلَّا إِيَّاهُ.

هذا البحر الملتطم نجوتم من ضره الى بره ثم أعرضتم ، فهل أنتم آمنون من ضر البر؟! ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٦٨).
فأين الأمن ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ (٢٩ : ٤٠) وكما في قارون : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (٢٨ : ٨١).

ليس هول الغرق منحصر في البحر منحسرا عن جانب البر ، فأنتم الآن نجوتم عن البحر الى البر فما ذا يأمنكم ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ فلما ذا أعرضتم عن الله وأنتم بعد عرضة الخسف وهو أشد وأنكى؟ ... أنتم في قبضة الله في البحر والبر ، ولا أمن عن غرق في البحر أم خسف بزلزال وبركان في البر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ : ريحا مهلكة ترمي بالحصباء والحصا ، عاصفة بركانية ام ماذا؟ تقذفكم بالحمم والماء والطين والأحجار! فأنتم الهزالي الأذلاء في مثلث الغرق بحرا وبراً ام جوا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ينجيكم عن غرقكم.

هب إنكم أمنتُم البرّ حالا كما امنتُم البحر ترحالا فما ذا يامنكم ان يعيدكم الى ضر
البحر؟.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٩).

وهب إنه أمهلكم في البحر فما أغرقكم ، ثم أمهلكم في البر فما خسف بكم ولا
أرسل عليكم حاصبا ، فكيف تأمنون ان يعيدكم في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح تقصف الصواري وتحطم السفن ، ثم لا تجدوا لكم علينا بقاصف البحر تبيعا
يلاحق في نجاتكم؟

أيتها الحشرة الهزيلة الذليلة ، العائشة بين أخطار الغرق والخسف والحاصب والقاصف
، بحرا وبراً وجوا ، لماذا هذه الغفلة الحمقاء ، هذا الكفران المتواصل في النكران والعصيان ،
وهنا لك القدرة الإلهية تتصدى لك ثم لا تجد عليه وكيلاً ولا تبيعاً؟!

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠).

آية عديمة النظر في صيغة التعبير ، إذ تحمل بعدين بعيدين للمحتد الإنساني ومنزلته
على «من خلق» ككل : ﴿كَرَّمْنَا ...﴾ ﴿فَضَّلْنَاهُمْ ...﴾!

كرامة مطلقة بين «من خلق» في تأكيدات ثلاث : «ل» «قد» . «كرمنا» :
فالتكريم يفوق الإكرام عدة وعدة ، ثم «ولقد» يؤكد مرتين ، بينها الملائكة المعصومون
﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢١ : ٢٦) خلوا عن هذه الثلاث ، ومن ثم «نا» في كرمنا هذه حيث
تعني جمعية الصفات.

وفي سائر القرآن تصريحات وتلميحات بهذه الكرامة العليا للإنسان ، فانه في التين
﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وفي الأنبياء ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

وفي آيات عدة مسجود الملائكة أجمعين ، ثم لا نجد للملائكة ولا تلميحة على هذه الكرامة المطلقة! أليس لأنه في أعلى قمم القوامة وأحسنها بكله وجزئيه ، وان خلقه في سائر الخلق استوجب توصيف الخالق بـ ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وكما هو أحسن من سائر الخالقين في خلقه أجمعين.

ولو لم يكن مفضلاً على الملائكة أجمعين لما أمروا ان يسجدوا له أجمعين ، وقد أمروا! ولان في صلبه أهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حذى حذوهم من المؤمنين^(١).

ذلك التكرم الرباني لبني آدم كما يشمل جزئهم قلباً وقالبا في أصل الخلق ، كذلك في كرامة التقوى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ فلو لم يكن فيهم الأتقى لم يكن ذلك التكرم : «والملائكة خدام المؤمنين»^(٢) ثم

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٨ ح ٣١٧ علل الشرايع عن الامام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) حديث طويل يقول فيه «فلان الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا. يا علي! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولائتنا. يا علي لو لا نحن ما خلق الله آدم ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربنا وتسبيحه وتقديسه ان الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وامر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم من الله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟

(٢) المصدر ١٨٩ ح ٣٢٠ في اصول الكافي عن أبي جعفر (ع) قال : ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من مؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين وان جوار الله للمؤمنين وان الجنة للمؤمنين وان الحور العين للمؤمنين...» وفي الاحتجاج عن النبي (ص) يا رسول الله (ص) أخبرنا عن علي هو أفضل ام ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله (ص) : وهل شرفت الملائكة الا بحبها لمحمد وعلي وقبول ولايتهما؟ انه لا احد من محبي علي (ع) نظف قلبه من الغش والدغل والعلل ونجاسة الذنوب الا كان اطهر وأفضل من الملائكة.

ويشمل النشاطين الدنيا والآخرة ، تكريما في مثلث قاعدته التقوى ، وهي تتبنى تكريمه تكوينا ، وتنتج تكريمه في ميزان الله دنيا وعقبى!.

وأهمّ المظاهر في هذا التكريم نراه في «حملناهم . رزقناهم . فضلناهم» وإن كان الأخير يحمل حملهم ورزقهم أم ماذا؟.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حملا فيهما مع بعض على سفينتنا الفضائية في خضمّ

البحر : الفضاء المحيط : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ، أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ (٧٧ : ٢٥)!

وحملا في البحر لبني آدم كلهم في الفلك المشحون : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي

الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٣٦ : ٤١) حملناهم وهم ذرية في تلكم الأصلاب : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى

الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (٦٩ : ١١).

وحملا فيه لركاب البحر على مرّ الزمن على السفن فوق البحرية وتحت البحرية ،

وحملا في البر بمختلف الحمولة الحيوانية وسواها ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ

مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦ : ٨) فهم في رباعية الحمل برا وبحرا ام ماذا؟.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما تستطيعه النفس السليمة الإنسانية مأكلا ومشربا

ومسكنا ومنكحا إمّا ذا من متطلبات الحياة ، أو أنما ككلّ حياة طيبة في كافة جنباتها :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (١٦ : ٩٧) ومن

أفضلها طيبة النفس ، وطيبة الذرية : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (٣ : ٣٨) وأن

يصبح الإنسان كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (١٤ : ٢٤) :

فمن أفضل الرزق الطيب العلم ^(١) وقد فضل فيه الإنسان على

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٨ ح ٣٠٧ تفسير القمي عن أبي جعفر (ع) ان الله لا يكرم روح .

الملائكة كما في آدم ، فرزق الإنسان كحيوان مفضل على سائر الحيوان ، ورزقه كإنسان مفضل على من في عالم الإمكان ، اللهم إلا من يوازيه من القلة في هذه الكرامة.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

هنا تفضيل لبني آدم على كثير ، فهناك قليل لم يفضّلوا عليهم ، فمن هم ، وهل هم أمثالهم في الفضل ام هم مفضّلون عليهم؟ ...

آية التين حيث تجعل خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وهي تصريحه قيمة انه لا أحسن منه ، ولو لا آية التفضيل لكان الإنسان في قمة لا توازي ، ولكنها تستثني قليلا ، فهم كالإنسان في أحسن تقويم ، ولا نعرفهم حتى الآن من هم.

ويكفي أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأن في ذريته آل بيت الرسالة المحمدية ، أنهم ككل أفضل من الملائكة.

ولاننا لا نجد هذه القلة هنا فهم من ساكني سائر الأرضين ام سائر الكرات كما لمحت لهم آية الشورى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٤٥ : ٢٩).

ذلك التكريم وهذا التفضيل يجعلان الإنسان في قمة التكوين بأحسن تقويم في صورته وسيرته ، لو تبناه بطاقاته وإمكانياته لأصبح في أحسن تقويم ثان ، كما أنه في تغافله وتجاهله عن أحسنه في التكوين يرد إلى أسفل سافلين ، فلا أحسن منه إن أحسن ، ولا أسفل منه ان سفلي! «فمن

. الكافر ولكن كرم أرواح المؤمنين وانما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم.

غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»^(١).
فالصورة الانسانية ككلّ بجزيئه «هي أكرم الصور على الله»^(٢) ف «الحمد لله الذي
خلقني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري واکرمني
بالإسلام»^(٣).

وكونها أكرم الصور تلمح أن القليل الموازي للإنسان هو ايضا في تقويم الإنسان مهما
سمي باسم الإنسان ام سواه ، إلا ان لأهل بيت الرسالة المحمدية فضيلة تفوق الفضائل ، فلا
أحد يساويهم أو يساميه في العالمين.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ
فَتِيلًا﴾ (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾.

تلكم الكرامة والفضيلة سلبا وإيجابا في تبني العقائد والأعمال تسرح في مسرح القيامة
، مشهد يشهد فيه كل أناس ما قدم وما أخر ، فانه يوم الطاقة التامة.

(١) المصدر ح ٣١١ : في علل الشرايع باسناده عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله (ع) فقلت :
الملائكة أفضل ام بنو آدم؟ فقال قال امير المؤمنين (ع) : ان الله عز وجل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب
في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله ...».

(٢) المصدر ح ٣١١ في كتاب الخصال فيما علم امير المؤمنين (ع) أصحابه : إذا نظر أحدكم في المرأة فليقل ...

(٣) نور الثقلين ٣ : ١٨٧ ح ٣٠٨ تفسير القمي عن علي (ع) في حديث «... فاما ملك منهم ففني صورة
الآدميين وهي أكرم الصور على الله ...».

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أناس الخير الناس يدعون بإمام الخير ، وأناس الشر

النسناس يدعون بإمام الشر!

ففي واجهة الخير رسول كل أناس إمامهم ، وخلفائه أئمتهم ، وكتاب شرعتهم إمامهم ، وكتاب اعمالهم إمامهم وكما يروى عن إمام الأئمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم»^(١) وكذلك واجهة الشر ، حيث الإمام هو من يؤتم به إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

فكل رسول من اولي العزم الخمس يدعى به اناسه ، وكل إمام من خلفاء الرسول (عليهم السلام) يدعى به قرنه كما يدعى الكل برسولهم^(٢) ، وكل كتاب من الخمس يدعى به أتباعه ، كما وكل كتاب من كتب الأعمال يدعى به ناسه واناسه وكتاب السقوط والنجاح نتيجة حساب الأعمال.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٤ . اخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال : يدعى ... وأخرجه في عيون الأخبار عن الرضا (ع) عنه (ص) ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٩٠ ح ٣٢٥ في محاسن البرقي ... عن يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبي عبد الله (ع) ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فقال : يدعوا كل قرن من هذه الأمة بإمامهم. قلت : فيجيء رسول الله (ص) في قرنه وعلي (ع) في قرنه والحسن في قرنه والحسين في قرنه الذي هلك بين أظهرهم به قال : نعم.

أقول : ولكن قرن الرسول يعم القرون كلها وهم الأمة الاسلامية اجمع كما في ٣٢٩ عن عبد الله بن غالب عن أبي جعفر (ع) قال : لما نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال المسلمون يا رسول الله (ص) الست امام الناس كلهم أجمعين! قال : فقال رسول الله (ص) انا رسول الله الى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من اهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون وتظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعى وسيلقاني ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معى وانا منه برىء.

أئمة خمس لمن هي له ، واربعة لمن عاش رسوله دون خلفائه.

الرسول لكل ناس هو الإمام الناطق الأصيل وكتابه هو الإمام الصامت الأصيل ثم خلفاء كل رسول هم الفرع الناطق ^(١) ، وسنته هي الفرع الصامت ، ومن ثم كتاب الأعمال إمام صاحبه حيث يأتى به يوم الجزاء ، فالأعمال أئمة تقود أصحابها بخيرها وشرها في الآخرة الأوفى وفي الدنيا أحيانا ، كما كتب النجاح والسقوط أئمة.

وقد نطق القرآن بامامة كل من الخمسة ، فكتاب الأعمال من إمام مبین : ﴿وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (٣٦ : ١٢) وكتاب النجاح او السقوط : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُوا كِتَابِيَهُ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ﴾ (٦٩ : ١٩ و ٢٥).

وكتاب الوحي إمام : ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (٤٦ : ١٢) فباحرى القرآن إمام بل هو إمام الأئمة من سائر الوحي.

ورسول الوحي امام : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٢ : ١٢٤)

(١) ملحقات الأحقاق ١٤ : ٦٣٧ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٦ ط بيروت عن الحسين بن سعيد عن الحسن بن سماعة عن حبان عن ابان بن تغلب سألت جعفر بن محمد (ع) عن قول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال : نحن اهل البيت ويسند آخر عن أبي هارون عن أبي سعيد في قوله ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال : علي (ع).

وفيه قدم ورد (توصيفه (ص) عليا بالإمامة بعناوين مختلفة وقد تقدم نقل الأحاديث الماثورة عنه (ص) في انه الامام بعده في ٤ : ٨٦ وامام كل مسلم ٤ : ٣٣١ وامام الأمة ٤ : ٩٣ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ٣٣٠ وامام الاتقياء ٤ : ١١٨ وامام كل مؤمن ومؤمنة ٤ : ١٣٩ وامام من أطاع الله : ١٦٧ وامام القوم ٤ : ٢٨٤ وامام المسلمين (٤) : ٢٨٤ وامام من يدخل الجنة ٤ : ٢٨٩ وامام الأولين والآخرين ٤ : ٣٦٢ وامام المتقين ٤ : ١١ . ٢٠٠ و ٩٩ و ٢٨٤ و ٣٣٤ و ٣٨١ .

فباحرى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه إمام الأئمة من سائر حملة الوحي :
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (٢١ : ٧٣).

وورثة الرسل أئمة بعدهم بالوراثة النيابية : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾ (٣٥ : ٣٢)^(١).

ولا يخلو أي زمان من إمام ناطق بالحق إما ظاهرا او غائبا : «اللهم انك أيدت دينك
في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك ومنارا في بلادك بعد أن وصلت حبله بجبلك وجعلته
الذريعة الى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته ، وأمرت بامتثال امره والانتهاء عند
نهيهِ ولا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر»^(٢).

وترى ان إمام كل أناس هو كل من افترض عليهم طاعته وإن لم يطيعوه؟ فلا يدعى إذا
باي امام ضال؟ والدعوة تعم أئمة الهدى وأئمة الضلال! ام يدعى كل أناس بمن اعتقدوه لهم
إماما وان لم يعتمدوه عمليا؟ والالتزام لا يخص جانب العقيدة ، فانه الايمان والعمل الصالح
^(٣)! فالإمام الناطق والصامت من هاد او مضل هو المقتدى عقيدا

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٤ ح ٣٤٤ عن بشير الدهان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أنتم والله على دين
الله ثم تلا ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ثم قال : علي امامنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امامنا. كم
من امام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه ونحن ذرية محمد وامنا فاطمة.

(٢) عن الصحيفة السجادية عن الامام السجاد (عليه السلام).

(٣) المصدر ح ٣٢٧ في كتاب الخصال باسناده الى الأصبغ بن نباتة قال : أمرنا امير المؤمنين (عليه السلام)
بالمسير الى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا الى مكان بالحيرة
يسمى الخورنق فقالوا : نتنزه فإذا كان الأربعاء خرجنا فلحقنا عليا قبل ان يجمع ، فبينما هم يتغذون إذ خرج عليهم
ضب .

وعمليا بدرجاتهما ، وكتاب الأعمال هو مسجلة الصور والعقائد والأصوات

. فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال : بايعوا هذا امير المؤمنين فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم وارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وامير المؤمنين (عليه السلام) يخطب ولم يفارق بعضهم بعضا وكانوا جميعا حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : ايها الناس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسر الي الف حديث في كل حديث الف باب لكل باب الف مفتاح واني سمعت الله جل جلاله يقول ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ واني اقسم لكم بالله لبيعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت ان اسميهم لفعلت قال : فلقد رأيت عمرو بن حريث سقط كما تسقط السقفة حياء ولو ما . وفي مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام): قال الله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ اي من اقتدى بمحق قبل وزكى .

وفي الخرائج والجرائح في أعلام أبي محمد العسكري قال ابو هاشم بعد ان روى كرامة له (عليه السلام) فجعلت أفكر في نفسي عظم ما اعطى الله آل محمد وبكيت فنظر الي وقال : الأمر أعظم مما حدثت به في نفسك من عظم شأن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحمد الله أن يجعلك متمسكا بجبلهم تدعى القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم إنك على خير» وح ٣٣١ في رجال الكشي عن حمزة بن الطيار قلت لابي عبد الله جعلني الله فداك لو فلقت رمانة فاحللت بعضها وحرمت بعضها لشهدت ان ما حرمت حرام وما أحللت حلال فقال : حسبك ان تقول بقوله وما انا الا مثلهم لي ما لهم وعلي ما عليهم فان أردت ان تحيى مع الذين قال الله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ فقل بقوله. وح ٣٤٥ عن إسماعيل بن همام قال الرضا (عليه السلام) في الآية إذا كان يوم القيامة قال الله : أليس عدل من ربكم ان تولوا كل قوم من تولوا؟ قالوا بلى قال : فيقول : تميزوا فيتميزون و ٣٤٦ عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان كنتم تريدون ان تكونوا معنا يوم القيامة لا يلعن بعضنا بعضا فاتقوا الله وأطيعوا فان الله يقول : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ . أقول : هذه الأحاديث كلها دليل على أن إمام كل أناس هو من يأتمن به عقائديا وعمليا دونما ادعاء

خاو!

كما كانت وصدرت ، وكتاب النجاح او السقوط هو حصيلة الحساب في كتاب الأعمال .
فالطاهر يدعى بإمام طاهر والغازي بغادر «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة ما يلا
شدقه حتى يدخل النار»^(١).

وهل الكتاب المؤتى هنا باليمين هو كتاب الأعمال؟ فيقرأه كل بصير وأعمى حجة له
او عليه : ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٧ : ١٤)؟ وهنا القراءة لمن
يؤتاه يمينه ، وغيره أعمى لا يستطيع قرائته!.

ام هو كتاب السقوط او النجاح؟ وليقرئه كل ساقط وناجح : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ﴾ (٦٩ : ٢٦) وهنا الأعمى لا يقرء
كتابه! او هو يقرء عذابا فوق العذاب.

او هو كتاب شرعته الإلهية حيث توجب عليه اتباعها ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ
يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾ يوم الاخرى كما قرءوه يوم الدنيا فهو هنا بصير كما كان هناك بصيرا . ﴿وَمَنْ
كَانَ فِي هَذِهِ﴾ (لدنيا) «أعمى» لم ينظر الى كتاب شرعته ، او نظر وبسر وأدبر واستكبر ،
ام اي نظر لم تلحقه عقيدة او عمل ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا ينظر الى كتاب شرعته
مهما حاول ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ إذ كان له في الدنيا أن ينظر ولم ... وليس له هنا ان ينظر ولن
(٢) وقد كان له في الدنيا توبة ما دام فيها أن ينظر بعد ما ترك،

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٢ ح ٣٣١ . الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) : ...

(٢) المصدر ح ٣٥٨ عن ثواب الأعمال باسناده الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ومن قرأ القرآن
 ولم يعمل به حشره الله عز وجل يوم القيامة أعمى فيقول : .

ولا يفيد هذا النظر فلا ينظر ، ولا ينظر ولو نظر^(١).

وقد تعني وحدة الكتاب « كتابه » وحدته الشخصية فيما كتاب الشرعة او كتاب النجاح ، ام وحدته في الحقيقة فيشملها حيث النجاح او السقوط من مخلفات تطبيق كتاب الشرعة وعدمه.

وترى إذا كان في الآخرة أعمى فكيف يقرأ كتاب عمله او كتاب سقوطه ، او يترائى اهل النار واهل الجنة؟

الجواب ان العمى هنا لك نسبية وقتية ، فقد يعمى وقد يبصر وكلاهما عذاب فوق العذاب ، وهو فيها أعمى القلب مهما يبصر. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (٢٠ : ٩٧). ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾ (١٧ : ٩٧).

فمهما هم يحشرون عميا وبكما وصما ، عميا ، عن كتاب الشرعة ، وبكما عن الحجاج واللجاج ، وصما عما يلذ ، ولكنهم يرون كتاب أعمالهم وسقوطهم عذابا فوق العذاب ، كما حشرهم عميا وبكما وصما عذاب فوق العذاب ، وسماعهم لما يسمعون ونطقهم بما يتكلمون عذاب فوق

. ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ فيؤمر به الى النار. (١) المصدر ح ٣٤٠ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه إذا كان يوم القيامة يدعى كل بإمامة الذي مات في عصره ، فان انتبه اعطى كتابه بيمينه لقوله ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فان اوتي كتابه بيمينه ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهٗ ... إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ﴾ الآية والكتاب الامام فمن نبذة وراء ظهره كان كما قال نبذوه وراء ظهورهم ومن أنكره كان من اصحاب الشمال قال الله ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي يَوْمٍ خَمِيمٍ وَظَلٍّ .

العذاب ، فلا هم هناك صم بكم عمى ما هم هنالك ، ولا هم يسمعون ويتكلمون ويرون ما هم هناك ، فقد يعذبون عذابا فوق العذاب فقدانا لهذه ، وقد يعذبون وجدانا لها ، مهما كانوا عميا عن الحقائق الموجودة»^(١).

وتراهم يقرءون كتابهم إن كانوا من أصحاب اليمين ولا يظلمون فتىلا ، فهل يظلم أصحاب الشمال العمى كما لا يقرءون كتابهم؟

كلّا! ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤٠) :
 (١٧) وقد اختص هنا أصحاب اليمين بنفي الظلم لأنهم بذلك أحق وأحرى.
 وقد لا يعني ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عمى من قراءة كتابه ألا يستطيعها ، وإنما عمى القلب عن الحقائق الموجودة^(٢) مهما قرء كتاب شرعته وأعماله وسقوطه ، فالآخرة نسخة كاملة عن الدنيا بأعمالها حيث تظهر فيها

. مِنْ يَحْمُومٌ﴾ الى آخر الآية أقول : من استدلاله (عليه السلام) بقوله تعالى ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ كِتَابِيَهٗ ...﴾ يعرف أنه كتاب الشرعة ، وعلمنا مراد ان في الآية.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٥ ح ٣٥٠ في عيون الاخبار في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع اهل الأديان والمقالات في التوحيد كلام الرضا (عليه السلام) مع عمران وفيه : إياك وقول الجهال اهل العمى والضلال الذي يزعمون ان الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب والثواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله عز وجل نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة ابدا ولكن القوم تاهوا وعموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني أعمى عن الحقائق الموجودة.

(٢) المصدر ح ٣٥٢ في كتاب التوحيد باسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ﴾ قال : من لم يدلله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على ان وراء ذلك امر أعظم منه ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

الحقائق ، و «أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى وشر العمى عمى القلب» ^(١).
 فلا بد لكل أناس من إمام يَأْتِمُ به في حق ، و «من مات بغير إمام مات ميتة
 جاهلية» ^(٢).

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا
 (٧٣) وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾ (٧٤).

«وان كادوا (من كان في هذه أعمى) ليفتنوك (أيها الرسول) عن الذي أوحينا إليك
 لتفتري علينا غيره (كما يشتهون) وإذا لا تخذوك خليلا (يتخللونك حبا ووفقا بما تخللوا فيك
 فرية ونفاقا جزاء وفاقا)! ﴿وَلَوْ لَا ..﴾».

«كادوا» من الكيد وهو هنا مقارفة الاحتيال المذموم ، ام الكود مقاربة للفعل المذموم
 ، وعليهما هنا معنيان انهم احتالوا الفتنة واقتربوا لها لو لا ...
 الفتنة الشيطانية مهما اتجهت الى الرسول بكل كيد وخدعة ، ولكنها لا تصله بما
 يحذره هو ويحذر الله عصمة ذات بعدين : ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ

(١) المصدر ح ٢٥٦ من خطبة للإمام علي (عليه السلام). ٣٥٦.

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٩٤ ح ٣٤٣ تفسير العياشي عن عمار الساباطي عن أبي عبد الله (عليه السلام) لا تترك
 الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله وهو قول الله : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ ثم قال : قال
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية فمدوا أعناقهم وفتحوا أعينهم فقال
 ابو عبد الله (عليه السلام) أليست الجاهلية الجهلاء؟ فلما خرجنا من عنده قال لنا سليمان : هو والله الجاهلية
 الجهلاء ولكن لما راكم مددتم أعناقكم وفتحتم أعينكم قال لكم كذلك.

عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ : ﴿٥ : ٤٩﴾ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ ...!

ولا سيما الفتنة التي تحملها على الفرية في رسالته الإلهية و ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (١٦ : ١٠٥) ﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَلَمْ يَكُونُوا لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠ : ١٥).

ومهما كانت الفتنة كيذا في استلامه آهتهم سماحا في استلام الحجر الأسود ^(١) ام دخولا في دينه ^(٢) ام طردا للذين اتبعوه من سقاط الناس ومواليهم حتى يتبعوه ^(٣) ام ماذا من الفتنة المكيدة له القربة اليه ... فكل ذلك بعيد عن ساحته بعصمته وما تحذر بما حذر الله ، مهما كان قريبا اليه كبشر. ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ﴾!.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٤ . اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستلم الحجر فقالوا «ندعك تستلمه حتى تستلم آهتنا فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فانزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾...».

(٢) المصدر اخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : ان امية بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالا من قريش أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا تعال استلم آهتنا وندخل معك في دينك وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشتد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم ففرق لهم فانزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا ... نَصِيرًا﴾.

(٣) المصدر اخرج ابن أبي حاتم عن جبیر بن نفير ان قريشا أتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا له : ان كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله اليه ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ ... أقول «فركن إليهم» خلاف نص الآية «لقد كدت تركن إليهم فليكن فكاد ان يركن إليهم ...».

فما يروى من ركونه إليهم او افتراءه على الله في قصة الغرانيق ^(١) وأمثالها إنها مضروبة كلها عرض الجدار حيث العصمة الإلهية تسده عن هذه وتلك.

والشيطان أيا كان ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١٦ : ٩٩) فإني له ذلك السلطان على أول العابدين ورسول المؤمنين المتوكلين!

فهناك العصمة الربانية ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ﴾ عصمته عن وصمة مقارنة الركون إليهم وإن شيئا قليلا ، بعد ان عصمته العصمة البشرية . بعون الله . مقارفته وان ﴿كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ دون اي ركون ام قربه شيئا كثيرا! ^(٢) :

﴿إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥).

ترى وماذا تعني «إذا» ظرفا لضعفي الحياة والممات؟ هل هو قرب الركون إليهم شيئا قليلا ﴿لَقَدْ كِدْتَ ... قَلِيلًا﴾؟ وليس هذا تقصيرا منه

(١) المصدر واخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال : انزل الله ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾ فقرأ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ فالقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى . فقرأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بقي من السورة وسجد فانزل الله : ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ...﴾ فما زال مغموما حتى انزل الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ...﴾ .

(٢) هذا التشييت الإلهي ليس العصمة التي اوتى بداء رسالته ، إذ لا يوكل في العصمة ولا يخول فيها ، وانما هي تدريجية استمرارية بمشيئة الله ، فلئن وكله الى نفسه طرفة عين لركن إليهم!.

(صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) حتى يستحق ضعفي العذاب! فانه حاول غايتها بشريا قدر المستطاع! وليس - إذا - ألا ترك التثبيت الإلهي وليس تركه من فعله ، ومن ثم فلا عذاب إلا على واقع الركون ، وليس هنا إلا قربه قليلا دون واقعه!.

ام هو الافتنان عما أوحى إليه ، فافتراؤه على الله غيره ، وهنالك الطامة الكبرى ، وهنالك ضعف الحياة وضعف الممات ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٦٩ : ٤٧) وكما هنا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

أم إنه يعني الفرية والركون حيث ينبعان من نبعة واحدة هي التخلف عن الرسالة الإلهية ، وترى لماذا الضعفان وهما اربعة ، اثنان في الحياة وآخران في الممات؟ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ (٦ : ١٦٠) ثم وليست الدنيا دار جزاء!؟

الجواب : أن العذاب يقدر بقدر العاصي والعصيان ، وهنا الرسول أعلى محتدا ممن سواه ، وعصيان الرسالة أخطر مما سواه ، فليكن العذاب ضعفا له عمن سواه ولا سمح الله! وإذا تجاوز العصيان حده ، جاوز الى الدنيا من الآخرة كما في قرون أهلكت.

ثم الضعف لا يعني . فقط . مرتين ، وانما المضاعف زيادة عن مرة والى عشرات وعشرات.

كل هذه التهديدات البعيدة المدى ، المستحيلة في واقعها لمكان عصمة الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) إنها تنبيهات لعظيم الخطر في متحد الرسالات الإلهية ، حيث المحاولات بكل ألوان المكيدات تتربص دوائر السوء الانحراف والانحراف بالرسالات السامية! فقد حاولوا مساومته (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أن يعبدوا إلهه قبال

أن يترك التنديد بأهنتهم ، أو أن يجعل أرضهم حراما كالبيت الحرام ، أو يطرد سقاط الناس حتى هم يؤمنوا به دونهم ، أو يستلم أهنتهم حتى يسمحوا له باستلام الحجر ، أما ذا من أنصاف حلول التي تجمع بين الجانبين!

هذه وأمثالها هي محاولات أصحاب الشهوات مع اصحاب الدعوات ، لتتحرف الدعوة في بدايتها عن استقامتها ثم يهون أمر استئصالها ، فإنهم لا يتطلّبون من صاحب الدعوة أن يترك دعوته كلها ، وإنما تنازلا عن حدتها وشدتها لكي يتنازلوا هم أيضا عن معارضتها أو علّهم يتقبلونها ، وهنا لك الشيطان يدخل على حامل الدعوة . ان استطاع . من هذه الثغرة المغرية : أن خير الدعوة وصالحها في كسب أصحاب السلطان وإن بالتنازل عن جانب منها!

ولكنها ثغرة رخيّة ، وإن كانت في البداية طفيفة خفيفة خفيّة حيث تنهار عند بزوغها ، فيبتدئ غروبها في طلوعها ، إذ يشجع أعداءها على تفتح الثغرة ، فاستئصالها عن آخرها بالمرّة!.

فأهم الفرائض على أصحاب الدعوة الإلهية الصمود الكامل والاستقامة الدائمة ، ولكي تتنسق في نهايتها على نسق بدايتها ، وحدة متناسقة دائمة.

كما أخطر التخلفات لأصحاب الدعوة التنازل وان كان طفيفا في طرف منها ، فكل أطرافها عظيمة عزيمة ، دون فرض فيها ونافلة ، حيث الكل فرض كوحدة متكاملة متناصرة ، لا يجوز الغض عن البعض بغية قبول البعض ، أو تصديقهم للبعض ، وإلا ف ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لا نقبل أنصاف حلول وتقسيم البلد بلدين!.

وأنت يا حامل الدعوة الأخيرة لست ممن يستفز عن دعوته ، وإنما الشيطان يستفز ويحتنك الغاوين ، وأنت أوّل المهتدين والعابدين لكن :

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦).

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ كيدا وقربوا دنوا ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ لم يتمكنوا من استفزاز واستخفاف دعوتك ورسالتك ولا طرفا منها ، فيكيدون إذا كيدهم لاستفزازك عن أرض الوطن وعاصمة الدعوة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ إخراجا للدعوة واستفزازا للرسالة عن عاصمتها «وإذا» حيث يخرجونك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾ بعدك وفي خلافتك ، «إلا قليلا» كما لم يلبثوا إلا عشرة ، وفي خلالها غزوات وانهازمات ام ماذا من معارك!

ترى ولما إذ تأتي مكة هنا في صيغة عامة «الأرض» عله لأنها أصل الأرض حيث مكّت وبكّت من تحتها ، ولأنها عاصمة الرسالة الإسلامية فاستفزاز الرسول عنها استفزاز له عن الرسالة كلها ، او أن في تنحية له الرسول عن أرض الوطن العاصمة الى الغربية النائية عن العاصمة تنحية له عن دعوته ولكن : ﴿إِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٨ : ٣٠) مكرا في الحفاظ عليه إذ هو في الغار ، ومكرا في ارجاعه الى مكة بفتح مبين.

ولماذا خلافتك ، تاتي هنا بمعنى بعدك وخلفك وقد تنافيه فصاحة التعبير؟ لان «خلافتك» هنا تعني الخلف والخلاف! فهم خلف اخراجك من الأرض لا يلبثونه ولا خلافتك إلا قليلا ، وقد زالت هذه الخلفية بفتح مكة ان رجع إليها فاتحا ، ورجعوا هم عن خلافتهم الى وفاقه طوعا او كرها ، وهذه من الإنباءات الغيبية القرآنية ، تبشرة برجوعه الى العاصمة بعد قليل ، وان المشركين المستفزين سوف يرجعون مسلمين او مستسلمين!

﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (٧٧).

سنة إلهية سلبية للرسل على الذين يستفزونهم ليخرجوهم من أرض الدعوة ، أنهم لا يلبثون خلافهم إلا قليلا ، كما حق عليهم في مكة ان رجع إليها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته منها فاتحا ، وكذلك في المدينة. ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٣٣ : ٦٢) ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٣ : ١٧).

ثم سنة ايجابية لهم ان الله يشبثهم ان كادوا ليفتنوهم عن الذي اوحى إليهم! وهذه السنة لن تتحول في أية رسالة مهما اختلفت عن بعض في درجاتها ومتطلباتها.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (٨١) وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ

بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
(٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ
يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا

عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨).

الصلاة هنا تعني المفروضات اليومية الخمس ، فان دلوک الشمس وغسق الليل والفجر لا تناسب ساير المفروضات كصلاة الآيات والأموات واضرابها لأنها واجبة بأسبابها دون اوقات لها معينة كهذه!

الدلوک في الأصل هو الميل وهو الانخفاض بعد كمال الارتفاع ، فهل ان ميل الشمس هنا غروبها؟ ^(١) وليس غروبها ميلها ، بل هو نتاج الميل الأخير لها عن قرصها! ولو عني بدلوکها غروبها لكان الفصيح الصحيح «لغروب الشمس» لا لدلوکها!

ام هو زوالها عن كبد السماء ^(٢)؟ وهو بداية ميلها لا ميلها كلها! ولو كان فقط زوالها لكان الفصيح الصحيح «من زوالها» لا «لدلوکها» ولا «لزوالها» حيث اللام لا تعني البداية وجاه «إلى» النهاية ، وإنما تعني لزام وقت واسع كما بين زوالها وغروبها! ..

ام هو ميلها منذ زوالها الى غروبها؟ ويوافقه مطلق الميل الدلوک حيث يشمل دلوک الزوال ودلوک الغروب وما بينهما ، جمعا لاوقات الظهرين على درجاتها ، وملائمة لصيغة التعبير. «لدلوکها» حيث اللام لزام والدلوک

(١) في مفردات القرآن للراغب ولسان العرب لابن منظور الافريقي انه غروبها وفي الدر المنثور ٤ : ١٩٤ . اخرج

ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي (رضي الله عنه) قال : دلوکها غروبها.

(٢) لسان العرب انه زوالها ...

تعم منذ زوالها الى غروبها ، وهو وقت الظهرين إجزاء ، وبذلك يجمع بين اللغة والرواية المفسرة لدلوکها بزوالها وغروبها ، بل هو لغة من لغاتها ^(١) والسنة القطعية تقول : انه زوالها ^(٢) وعلاها تعني مطلق زوالها منذ البداية عن كبد السماء ، وحتى النهاية في غروبها من قرصها ، وفيما تختص بالزوال الاوّل تعني اوّل وأفضل زوالها :

إذا فهذه الآية المكية تشمل الصلوات الخمس من بداية زوال الشمس

(١) لسان العرب وروى ابن هانئ عن الأخفش انه قال : دلوک الشمس من زوالها الى غروبها.

وقال الزجاج : دلوک الشمس زوالها في وقت الظهر وذلك ميلها للغروب وهو دلوکها ايضا ، ومثله قال الزجاج والقفال : اصل الدلوک الميل يقال مالت الشمس للزوال ومالت للغروب ويقال للشمس دالكة إذا زالت نصف النهار وإذا أفلت.

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٩٥ . اخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله : أقم الصلاة لدلوک الشمس قال : لزوال الشمس» أقول : علّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني مطلق الزوال ، وان كان يعني بداية الزوال في لفظ آخر كما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتاني جبرئيل (عليه السلام) لدلوک الشمس حين زالت فصلّي بي الظهر واخرج ابن مردويه عن انس (رضي الله عنه) قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي الظهر عند دلوک الشمس وروى الواحد في البسيط عن جابر انه قال : طعم عندي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا حين دلكت الشمس» وروى في الكشف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : اتاني جبرئيل (عليهم السلام) لدلوک الشمس حين زالت فصلّي بي الظهر.

أقول : واتفقت رواية اهل البيت (عليهم السلام) ايضا انه زوالها ، كما اتفقت الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما رووه عن علي (عليه السلام) لا يعني الا الدلوک الأخير للشمس لا دلوکها كله.

الى فجرها : فالظهران ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ ولو كان الدلوك خصوص البداية لما شملت العصر ، ولا الظهر بعد الظهر ، والعشاءان ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ و ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ فجرا وكما في أحاديثنا.

وغسق الليل غاية ظلامه في منتصفه ومنحدره كما الليل الغاسق هو المظلم ، ولأن بداية الليل هي مغرب الشمس دقائق بعد غروبها ، ونهايته بدقائق قبل طلوعها ما صدق الليل بداية ونهاية ، فمنتصف الليل هو الوسط بينهما ، لا بين المغرب وطلوع الفجر ، فانه ليس غسق الليل مهما كان وسطا لما يسمى ليلا شرعيا ، وتفسير غسق الليل بمنتصفه في أحاديثه تفسير لغوي دون اصطلاح شرعي خاص ^(١) :

فغسق الليل هو بداية زواله وانحاده كزوال الشمس ، كما يروى عن الامام الصادق (عليه السلام) في جواب السائل : «زوال الشمس نعرفه بالنهار فكيف لنا بالليل؟» . قال (عليه السلام) : لليل زوال كزوال الشمس ، قال فباي شيء نعرفه؟ قال . بالنجوم إذا انحدرت ^(٢) وعن

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٠٠ ح ٣٧٠ عن تهذيب الأحكام باسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سألته عما فرض الله من الصلاة؟ فقال : خمس صلوات في الليل والنهار فقلت : هل سماهن وبينهن في كتابه؟ فقال : نعم قال الله عز وجل لنبيه ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ودلوها زوالها ففي ما بين دلوك الشمس الى غسق الليل اربع صلوات سماهن وبينهن ووقتتهن وغسق الليل انتصافه ثم قال : وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فهذه الخامسة.

أقول : وفي تفسير العياشي يروى زرارة وحمran ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) تفسير الغسق بالانتصاف ، ومثله فيه عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام).

(٢) وسائل الشيعة باب ٥٥ من أبواب المواقيت ح ١ و (٢) ح ٢ .

أقول : وليس انحدر النجوم الا في غاية الظلام وهي وسط بني غروب الشمس وطلوعها لا فجرها ، وكذلك زوال الليل ، وليس انحساب بين الطلوعين في باب .

الامام الباقر (عليه السلام): «دلوك الشمس زوالها وغسق الليل بمنزلة الزوال من النهار» إذا فالأشبه الأقوى اعتبار الغسق وسطا بين بداية الظلام ونهايتها.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ عطف على الصلاة فتعني : وأقم قرآن الفجر : الفجر الصادق للشمس ، لا كاذبه ولا طلوعها ، وإنما فجرها حيث يشق ضوءها ظلام الليل فيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

قرآن الفجر هي صلاته صلاة الصبح حيث تبتدئ من فجر الشمس الى ما قبل طلوعها ، وكما صلاة العصر الى ما قبل غروبها : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (٢٠ : ١٣٠) :

وكما دلوك الشمس يشمل بين الوقتين كذلك فجرها فإنها تشق وتفجر ظلام الليل شيئا فشيئا حتى تطلع فيتم الفجر ، فالظهران هما صلاة الدلوك والصبح هي صلاة الفجر حيث يتنفس حتى يزيل آخر رمق من الليل.

ولماذا ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ دون صلاته وجاه الصلوات الأربع ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾؟ تلميحاً لمزيد الأهمية فالاهتمام بصلاة الفجر : انما قرآن وان كانت كل صلاة قرآنا واجبة القراءة والمتابعة ، إلا ان قرآنها أهم وأتم من قرآنها ، ل ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ دون سائر القرآن ، فمهما تشهد قرآن الدلوك ملائكة النهار ، وتشهد قرآن الليل الى غسقه ملائكة الليل ^(١) فقرآن الفجر تشهده ملائكة الليل والنهار ، فبين

. الصلاة والصوم من النهار دليلا على كونه منه في كافة الأبواب وحتى فيما يخالف الحس من كون غسق الليل قبل غسقه إذ تحسب نهايته بداية الفجر.

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٦ . اخرج عبد الرزاق والبخاري ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة : اقرؤا ان شئتم .

الطلوعين لا هو من ساعات الليل ولا من ساعات النهار ، أم هو من ساعات الليل والنهار ، ولذلك تجمع لشهودها ملائكة الليل والنهار!

وقد تكون صلاة الفجر هي الصلاة الوسطى المأمور بها خاصة في آيت ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢ : ٣٣٨) لأهميتها المصرح بها هنا بين الخمس وأنها الوسطى بين الصلوات الليل والنهارية ، وأنها من الصلاة الوسطى حيث الظهر ايضا وسطى ب الصلوات النهارية ، فلا تعني الوسطى إلا وقتيا لا في الفضيلة فانها

. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن أبي الدرداء قال : قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال : يشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار ، أقول : شهادة الله تعمها وسائر الصلوات الا ان يعنى بها هنا شهادة تخصها بما كرمها فضّلها على سواها.

ثم أقول : ورواها أئمة اهل البيت (عليه السلام) دون خلاف واختلاف كما رواه في الكافي باسناده عن يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) وباسناده عن إسحاق بن عمار عنه (عليه السلام) وباسناده عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وفي تفسير العياشي عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عنهما (عليهما السلام) ... وفي علل الشرائع باسناده الى سعيد بن المسيب قال سألت علي بن الحسين (عليه السلام) ... واقترّ الفجر على ما فرضت بمكة لتعليل عروج ملائكة الليل الى السماء ولتعجيل ملائكة النهار الى الأرض فكانت ملائكة النهار وملائكة الليل يشهدون مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة الفجر فلذلك قال عز وجل : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده المسلمون ويشهده ملائكة النهار وملائكة الليل.

وفي العلل ايضا باسناده الى الحسن بن عبد الله عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ان قال : وهي الصلاة التي يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.

الكبرى ، ولا وقتية وسطى إلا صلاة الظهر وهي وسطى النهارية ، والفجر وهي الوسطى المطلقة بين الليلة والنهارية! كما وان صلاة الجمعة من الوسطى فانها مكان الظهر والجمعة هي قلب الأسبوع فهي إذا وسطى من جهتين.

هنا صرحت بصلاة الفجر وأجملت عن الأربع الاخرى ، وفي سائر القرآن تصريحات او تلميحات بالأخرى الا المغرب : ﴿... مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ...﴾ (٢٤ : ٥٨) ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشَاءِ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٣ : ٤١) ^(١).

إذا فصلوات الفجر والظهرية والعصر والعشاء مذكورة ، ثم لا تجد تصريحاً بالمغرب اللهم إلا تلميحاً في آية الدلوک ، والصلاة الوسطى منها كما بينا هي الفجر ثم الظهرية . وآية الزلف ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ (١١ : ١١٤).

هذه ، إلا أننا لا نجد آية تشمل الخمس إلا آية الدلوک وان كانت لا تصرح إلا بقرآن الفجر ، وقد نلمس الفضيلة الكبرى بين الخمس لقرآن الفجر ، حيث تختص بالذكر هنا وفي سبع اخرى : ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ (٢٠ : ١٣٠ و ٥٠ : ٣٩) و ﴿صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ (٢٤ : ٥٨) والإبكار ^(٢) عدد أبواب الجنة.

ومن ثم الظهرية فانها من الصلاة الوسطى ، وتلمح لها او تصرح بها آيات عدة كالدلوک والظهرية (٢٤ : ٥٨).

(١). نجد التسييح والدعاء بالعشي والإبكار في ٦ : ٥٢ و ١٨ : ٢٨ و ٤٠ : ٥٥ . ايضاً.

(٢). كما في ٣ : ٤١ و ٦ : ٥٢ و ١٨ : ٢٨ و ٤٠ : ٥٥ .

ثم العصر كما في آية الدلوك وآيتي «قبل غروبها وقبل الغروب» وآيات العشي الخمس ، وطرفي النهار .

ثم العشاء كما في آية الدلوك الغسق ، وآية العشاء ﴿مَنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (٢٤) : (٥٨) وآيات العشي .

ومن ثم المغرب داخلية في تلميحات كآية الدلوك وزلفا من الليل :

آيات بينات تبين موقف كل صلاة وصلاة تلو الاخرى وكما الروايات على أضوائها .
وقد تدلنا او تلمح لنا آية قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وآيات العشي والإبكار أن
الفرص كان في البداية ثنتين : صلاة الفجر والعصر ، ثم آية الزلف والظهيرة أنه تحوّل الى
ثلاث او اربع ، ثم آية الدلوك وآية العشاء والظهيرة الى خمس ، وهي مكية فلتكمل الفرائض
الخمس في مكة على فترات .

وإذا كان البعض من آيات العشي والإبكار مدنية فقد تعني البعض من المفروضات لا
كلها ، وإن كانت ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المكية تعني كلها لمكان القرينة في
المدنية دون المكية .

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩) .

الهجود هو النوم كما الهاجد النائم ، والتهجد إزالة النوم كالإطاقة إزالة الطاقة
والتمريض إزالة المرض بمراقبة المريض .

ولأن التفعّل تكلف فقد تعني هنا التكلف في التيقّظ ، ومن الصعب التيقّظ بعد النوم
في بدايته كما يصعب في نهايته او وسطه هو درجات حسب الصعوبات .

هنا يؤمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيا بالتهجد فاختصاص الأمر به إضافة الى صيغته يدلان على وجوب ﴿نافلة لك﴾ و ﴿من الليل﴾ يعني بعضه ، اقتسام له الى ثلاثة ابعاض : فبعض للعشائين وسائر الحاجيات ، ومن ثم النوم بين العشائين ام بعدها ، ثم التهجد المقدر في أكثره ثلثي الليل وفي أقله ثلثه ، وفي متوسطه بنصفه ﴿فم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ (٧٣ : ٤) ولان «من الليل» تعني بعضه المفسر في المزمّل ف «به» تعني هذا البعض تهجدا به ، قياما في عبادته ، صلاة وقراءة للقرآن ام ماذا؟

ثم ﴿نافلة لك﴾ حيث تعني زائدة خاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة او طاعة نافلة على فرضه (صلى الله عليه وآله وسلم) دون الامة في فرض صلاة ام وقراءة ، لا زائدة على فرض الامة حتى تعني مقابل الفريضة ، حيث النافلة المستحبة على فرضهم لا يخصه (صلى الله عليه وآله وسلم)! إذا فهي فريضة زائدة عليه بين سائر المكلفين^(١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٠٤ في تهذيب الأحكام بإسناده عن عمار الساباطي قال : كنا جلوسا عند أبي عبد الله (عليه السلام) ما فقال له رجل : ما تقول في النوافل؟ فقال : فريضة . قال : ففزعنا وفزع الرجل فقال ابو عبد الله (عليه السلام) انما اعني صلاة الليل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله عز وجل يقول : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾.

وفي الدر المنثور ٤ : ١٩٦ عن ابن عباس في قوله : نافلة لك يعني خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امر بقيام الليل وكتب عليه واخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن عائشة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة : الوتر والسواك وقيام الليل.

وهي «له» حيث ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وان كانت عليه تكليفا ،
ولأنه من أفضل الخاشعين وهو أوّل العابدين فليست العبادة له حملا وكبيرة ﴿وَإِنَّمَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا
عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

ولان الصلاة هي المذكورة مسبقا دون القرآن ، إذا فهي ﴿نافلة لك﴾ صلاة زائدة
لك على فرضك ، مهما شملت قراءة القرآن في صلاة وسواها ، إلا أن آيات المزمّل بشأن
ترتيله في قيام الليل تضم ترتيل القرآن إلى صلاة الليل ، قرآن الصلاة ام سواه : ﴿وَرَتِّلِ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ كما وأن القرآن هو روح الصلاة!

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ... بذلك التهجد الصارم ولأنك أفضل
الخلق أجمعين وانك أوّل العابدين «عسى ...» فما هو ذلك المقام المحمود؟ هل إنه الرسالة
الختمية؟ وقد بعث بها! ام إلقاء قول ثقيل ﴿قُمِ اللَّيْلَ ... إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؟
وذلك حتم في تلکم الرسالة موعود «سنلقي» ، و «عسى» موضع ترج دون حتم! أم إنه
العصمة العليا والقمة الأعلى من مقامات الولاية؟ فما هي والى؟!

بما انه لا حمد إلا لله ولا محمود إلا الله ، اللهم إلا ما عساه يبعثه الله ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾
فليكن قمة في الاولى واخرى في الاخرى ليست لأحد من العالمين وهي الولاية الكبرى هنا
والشفاعة الكبرى هناك ، حيث الحمد مطلق ، فلتشمل ولايته في الدنيا كل العالمين ، ان
تشمل شرعته كل العالمين ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤٨ : ٢٨) كما وأن ولايته الرسالية تشمل كافة المرسلين ﴿وَإِذْ
أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لْتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلْتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا
مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٣ : ٨١) ثم سلطانه النصير في فتح العاصمة الرسالية بعد ما
ضاقت

عليه بما رحبت وذاق منهم أشد الأذى في العهد المكي والمدني ، ومن ثم شفاعته الكبرى التي تشمل كل العالمين ، مزيدا على محمد النبيين ، وترفيعا للمؤمنين ، وغفرانا للفاسقين ، وتخفيفا عن الكافرين كما تضافرت به الروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن عترته (عليهم السلام).

ولماذا «عسى» وليست إلا للترجي والله لا يترجى ما هو باعته لا سواه؟ ... إنه ليس ترجيا من الله ، فعساه ليس إلا ترجيا لرسول الله ، دون تحتم على الله ، فالظروف الرسالية هذه ، وهجده أم ماذا من لياقته ولباقته ، هذه وتلك مواقع لترجي المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

ولان «مقاما» مصدر ميمي واسم زمان ومكان ، فمقامه المحمود مجموعة من قيامه المحمود ، وزمن القيام ومكان القيام المحمود ، وقد قام قيامه المحمود في خير مكان «مكة المكرمة» وخير زمان ، وكما يقوم في شفاعته يوم القيامة قياما محمودا في خير زمان وخير مكان ، وقد يجمع ذلك كله محتده المحمود في كافة المجالات.

وبعته (صلى الله عليه وآله وسلم) مقاما محمودا لا يعني إلا إرساله استجاشة ذلك المقام ، لا الى مقام محمود ، ولا جعله وإجلاله مقاما ، خلاف ما يروى شاذا انه تعالى «يجلسه معه على السرير»^(١) ولا . فقط .

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٨ . اخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية : يجلسني معه على السرير .

إنطافه بما ينطق «لبيك وسعديك :» ^(١) وان كان هذا من مخلفات مقامه المحمود!
ومهما يكن من شيء فالمقام المحمود الذي عساه يبعث إياه أمر مستقبل تتبناه عصمة
الرسالة الاخيرة والولاية العامة الإلهية على كونه دائباً قائم الليل سابع النهار سبحا طويلا.
﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا﴾ (٨٠).

وسلطانه النصير هو من مقامه المحمود هنا ، كما شفاعته الكبرى من سلطانه النصير
هناك! فقد جعل الله له سلطانا نصيرا في الأولى والأخرى!
تلك دعاء يحتاجها الرسول ولكي يجتث ويحتاج كل عراقيل الدعوة ، يؤمر على طول
خط الدعوة الرسالة إدخال صدق وإخراج صدق ، وسلطانا نصيرا حينهما وقبلهما وبعدهما
، دعاء مثلثة الزوايا تجمع مجامع الخيرات لصاحب هذه الرسالة السامية.
فالصدق هنا مطلق دون قيد ، صدقا في العلم والايمان ، وصدقا في

(١) المصدر اخرج ابن أبي شيبة والنسائي والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابو نعيم
في الحلية وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول : لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا
منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود.

النية والعمل ، تطابقا في جنباته كلها ، دون نفاق وشقاق ، ودون اية كذبة ولا نقيرا!
صحيح أن على الإنسان أيا كان أن ينتظم دخوله في كل مدخل وخروجه عن كل
مخرج بصدق صارم قاطع ، ولكننا هناك العراقيل التي تحول دونه وما يريد متغلبة على ما يريد
وإن قليلا ، فليطلب من الله أن يدخله ويخرجه بصدق ، عصمة عن المزالّ وحفاظا عن
الضلال ، والعصمة القمة التي مالها من سباق هي العصمة المحمدية التي يطلها ربّه ليل نهار.
وإن ذلك استسلام تام للرب تبارك وتعالى ، أن يستضيف الى حوله حول الله ، والى
قوته قوة الله ، والى ارادته ارادة الله ، بل يرى انه «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيجعل نفسه
مجالا لمشئته الله ، فلا يشاء ألا ما يشاء الله ، بعد ما يكرّس كل طاقاته في تحقيق وتطبيق
مرضات الله ،

لقد كان للرسول خروج عن مكة هجرة الى المدينة دخولا فيها ، ومن ثم دخول في
مكة يوم الفتح ثم خروج عنها منتصرا مظفرا ^(١) ، وبين ذلك دخولات وخروجات في مداخل
ومخارج شتى لتحكيم الدعوة وتدعيم الرسالة ، وكل ذلك تشمله دعاءه ﴿وَقُلْ رَبِّ ...﴾ كما
ادخله وأخرجه صدقا ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا ^(٢) نَصِيرًا﴾ سلطانا من لدن الرب

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٨ . اخرج احمد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه
وبان مردويه وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل والضيء في المختارة عن ابن عباس قال : كان النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم) بمكة ثم امر بالهجرة فأنزل الله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي ...﴾.

تبارك وتعالى. نصيرا له في دعوته الرسالية العالمية في كل مدخل ومخرج وكل مقام ومقام^(١).
 ان السلطان النصير أيا كان يختص بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا نجد في
 سائر القرآن سلطانا نصيرا لمن سواه إلا سلطانا مبينا هو معجزة الرسالة وهي لزوم الرسالات
 كلها ، وقد بدء الرسول بها في قرآنه فإنه أفضل سلطان وأخلده.
 ومن سلطانه النصير نظيره ووزيره علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فانه شاهد لبينة
 الرسالة حيث يتلوه : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ
 إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ (١١ : ١٧)^(٢).

كما وان من سلطانه النصير استقامته وهيبته وسيطرته ، فقد زوده الله بسلطات ربانية
 متصلة به ومنفصلة عنه ، ولأن هذه الرسالة السامية عالمية خالدة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
 بِالْمُهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤٨ : ٢٨).
 ومن سلطانه النصير في آخر الزمن القائم المهدي (عليه السلام) من

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٨ . اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن قتادة في الآية قال : أخرج الله من مكة مخرج صدق وادخله المدينة مدخل صدق . قال : وعلم نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه لا طاقة له بهذا الأمر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله تعالى وحدوده وفرائضه واقامة كتاب الله تعالى فان السلطان عزة من الله تعالى جعلها بين عباده ولو لا ذلك لغار بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم.
 (٢) ملحقات الاحقاق. اخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٨ ط بيروت بإسناد متصل عن عبد الله بن عباس في الآية قال : والله لقد استجاب الله لنبينا دعاءه فأعطاه علي بن أبي طالب سلطانا ينصره على أعدائه.

عثرته المعصومين (عليهم السلام) : فيه . لا سواه . «بملا الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا» ، وفي الحق إن هذه الدولة المباركة هي تحقيقة شاملة وتطبيقه كاملة لرسالته في العالمين ، كما تحققت على ضوءها كافة الرسالات الإلهية.

إذا فهي حصالة غالية من كل سلطانه النصير ، المنقطع النظر في كل سلطان نصير ، فانها انتصاره صارمة لرسالة السماء في الأرض ، بعد كل تشرد له بتمرد مارد من المرسل إليهم طوال التاريخ الرسالي ، والآية التالية تبشيرة لطيفة بحق ذلك السلطان النصير :

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١).

اجل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٢١ : ١٨) ! ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْقُذُ بِالْحَقِّ عَلاَمُ الْغُيُوبِ. قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٣٤ : ٤٩).

«انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الأمثال» (١٣ : ١٧) ! ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (١٤ : ٢٦).

لقد قال الرسول هذه الكلمة الطيبة فيما قال في سلطانه النصير عند ما فتح مكة وأخذ يكسر الأصنام ^(١) وإذا لم يزهق الباطل في صورته زهاقه في

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٩ . اخرج ابن أبي شيبة وابو يعلى وابن المنذر عن جابر (رضي الله عنه) قال : دخلنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فامر بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأكبت لوجهها .

سيرته زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى الآن فسوف يزهرق تماماً زمن الدولة المباركة الإسلامية العالمية في قيام الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ف«إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»^(١) فان للحق دولة وللباطل صولة وجولة ، يتنقّح ويتنقّح ولكنه هشّ سريع العطب كشعلة الهشيم!.

وقد كانت هذه الآية مكتوبة على ذراع المهدي (عليه السلام) الأيمن لما ولد^(٢) حيث تعني أن مجيء الحق تماماً وزهاق الباطل تماماً ليس إلا بيمين

. وقال : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ وأخرجه مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخرجه ابن أبي شيبه والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزيادة الآية ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ومثله في أمالي الطوسي بإسناده الى سليمان بن خالد قال حدثنا علي بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه قال : وفي كفاية الخصام ٥٣٦ . ان هبل وهو أكبر الأصنام التي كانت على جدران الكعبة انما نزلها وكسرها علي (عليه السلام) بأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين وضع قدمه على ظهره الشريف ، رواه ابو بكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن امير المؤمنين (عليه السلام) عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دخل الكعبة ...

ورواه مثله ابو المؤيد موفق بن احمد بسنده عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٢ عن روضة الكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في الآية قال : إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.

(٢) المصدر ص ٢١٣ ح ٤١٠ في الخرائج والجرائح عن حكيمة في خبر طويل وفيه لما ولد القائم (عليه السلام) كان نظيفا مفروغا منه وعلى ذراعه الأيمن مكتوب ﴿جَاءَ الْحَقُّ...﴾.

المهدي (عليه السلام) لا سواه ، مهما بذر بذوره الرسول البشير النذير ، حيث بذر بلا اي تبذير :

وفي الحق ان الحق كيانه الانجلاء والقرار ، والباطل كيانه الجلاء والاندحار! ... والحق وان كان جائيا قبل ذلك الحق ولكنه لم يكن بالذي لا ينسخ ولا يحرف ، وأما ذلك الحق فكتابه حق لا ينسخ او يحرف ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤١ : ٤٢) ورسوله لا يزول فان رسالته مؤبدة ، ودولته سوف تفوق الدول وتشمل العالم أجمع ، إذا ف ﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ نفسه أن يبدأ حياته من جديد ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ما كانت من حياته البائدة ، فلا بدء له بعد ولا عود ، وانما هما الآن وعلى مر الزمن والأجيال للحق!

الحق الخالص الصارم بمن له من أنصار صامدين ، ثابت لا حول عنه ، والباطل زاهق مهما كان له من أنصار ... فالباطل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار حيث لا يطمئن الى حقيقة مهما تنفج وتنفخ فانه هش سريع العطب ... وهو زبد يطفو على الماء ويخيل الى من غربت عقولهم أنه عال ، ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء.

في معترك الحق والباطل ، القوة كلها للحق حيث يضرب على الباطل فيدمغ ﴿وَلَكُمُْ الْوَيْلُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ومهما انهزم أهل الحق أحيانا ولكن الحق لا ينهزم ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤٢ : ٢٤).

إن الحق من الله وهو مع الله ومن ورائه الله ، والباطل من الشيطان ومن وراءه الشيطان ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾!

الباطل كلما أرعد وأبرق وعربد لا يملك عقولا صافية وحقولا ضافية ، مهما ملك غاربة من سنخه وفي مجراه ، ولكننا الحق يملك عقولا وتنضح به عقول ، مهما عارضه من لا يعقلون!

لقد جاء الحق في القرآن (٢٥٤) مرة ولم يجيء الباطل إلا (٢٦) مرة ، ولان دلائل الحق تحيط بنا وليس للباطل دلائل إلا زورا وغرورا! ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (١٨ : ٥٦) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٢١ : ١) ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٤٠ : ٥٠)؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢١ : ٢٤) لذلك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٢٣ : ٧٠) :

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَلِيَقُ وَيَقُيَ﴾ ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ لان حقه الزهاق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ﴾ منذ وجد وفي أعماق الزمان والمكان «زهوقا» لاثبات له فلا مساك له ولا سماك لبنائه وإنما يبقى امتحانا وبلاء في دار البلاء ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ :

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢). القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ومزيد خسار للظالمين ، ولا تعني «من» تبعيضا في القرآن ، بل هو بيان لكيان القرآن أيا كان كما ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ فالرجس هو طبيعة الأوثان ، والشفاء والرحمة هما طبيعة القرآن ولكن لمن؟ «للمؤمنين»! أترى إذا اختص القرآن في شفاءه ورحمته بالمؤمنين فما بال غيرهم يؤثبون ويعذبون ولا يشملهم هدى القرآن؟ رغم انه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾

وَيَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ! ثم الشفاء والرحمة حاصلتان للمؤمنين بالايمان ، وغيرهم يحتاجونها حتى يحصل الايمان! والظلم داء عضال فكيف لا يشفيه القرآن.

«المؤمنين» هناك «المتقين» في **﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** تعني من يبتغي الايمان أصلا او مزيدا ، ويتقى خلاف الايمان أصلا او مزيدا ، فالكافر أيا كان . إذا فتش عن الايمان ، وكفره قصور وشك مقدس ولما يصل الى برهان الايمان . هو هنا من «المؤمنين» فإنه : **﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (٧ : ٢٠٣).

واما المتعنت المتعمد في كفره وظلمه فهو الظالم الذي لا يزيده القرآن إلا خسارا ، وان كان منسلكا في سلك المسلمين كالمنافقين ، ام والمؤمنين الضعفاء **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾** (١٢ : ١٠٦)

فالقرآن هو منبع الشفاء والرحمة بجاذب الإيمان ممن نظفت فطرته ولطفت سريرته ، وان لم يصل قبل الإمعان في القرآن الى واقع الايمان.

والظالم نفسه والظالم آيات ربه ، الذي غربت فطرته لا يزيده هذا القرآن إلا خسارا **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾** (٣ : ١٠)

ليست الشفاء إلا عن مرض أيا كان في الروح ام في البدن ، ولا الرحمة إلا مزيد قوة بعد نقاهة ، وليستا إلا للذين يؤمنون : **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾** (٤١ : ٤٤) مهما خوطب بهما الناس أجمعون **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾** (١٠ : ٥٧) فالشفاء هنا وهناك هي الشفاء ، تخلية عن الأمراض ، والرحمة هي الموعظة والهدى تخلية وتجليه للأرواح ، وهي مزيد سلامة للأبدان! إن القرآن شفاء ورحمة لحد سمي شفاء ورحمة ، شفاء في مثلث الآيات

ورحمة في عشرات : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ٥٢) ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ٢٠٣) ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢ : ١١١)

ف «يؤمنون» هنا وهناك تلمح الى معنى «المؤمنين» في آية الشفاء والرحمة ، كما بيناه.

فهو «شفاء» عن أمراض الفطرة والعقل ، ومضايق الصدر وعمى القلب ، عن ظلمات الأفكار ام ماذا؟ وعن أمراض الأبدان ما كان لها شفاء ^(١) لمن دخل مستشفى القرآن ، فانه «الشفاء الأشفى» ... «من استشفى به شفاه الله» ^(٢) «شفاء لا تخشى اسقامه» ^(٣) : «شفاء» ومن ثم «رحمة» ف «إنه هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم» ^(٤).

(١) نور الثقلين ٣ : ٣١٣ ح ٤١٥ طب الائمة قال ابو عبد الله (عليه السلام) ما اشتكى احد من المؤمنين شكاية قط وقال بإخلاص نية ومسح موضع العلة ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الا عوفي من تلك العلة اية علة كانت ومصادق ذلك في الآية حيث يقول ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وباسناده الى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : يا بن سنان لا بأس بالرقية والعوذة والنشرة إذا كانت من القرآن ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله وهل شيء ابغ في هذه الأشياء من القرآن أليس الله يقول : ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبة مفصلة حول القرآن راجع ج ٣٠ المقدمة من الفرقان.

(٣ ، ٤). نهج البلاغة الخطبة ١٩٣ ص ٢٠٢ . راجع مقدمة الفرقان ج ٣٠.

«وانما الشفاء في علم القرآن ^(١)» للأرواح والأبدان ، للمؤمنين بدرجاتهم ، عالية في أئمة الهدى ^(٢) ونازلة لمن ذاق طعما من الايمان ^(٣) ، فالشفاء والرحمة لكل قدر الايمان ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ :

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (٨٣).

تنديد بنسيان الإنسان نعمة ربه حين ينعم عليه ، ويأسه حين يمسه الشر «والدهر لك يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر» ولكن ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَطْفَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾! فحين يترك الإنسان بلا شفاء ولا رحمة يعيش دهره خسارا في يوميه : حيث يبطر إذا أنعم الله عليه فاعرض ونأى بجانبه ، ويئس حين يمسه الشر ، فمن طبيعة النعمة أنها تطغي وتبطر ما لم يذكر المنعم واهبها فيحمد ويشكر ، والشر والضر يقنط ويئس ما لم يرجو الله ويأمل ، وهنا لك تتجلى القيمة القمة لشفاء القرآن ورحمته ، او خساره ونقمته ، وكل يعمل على بشاكلته.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِئُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (٨٤) :

(١ ، ٢) نور الثقلين ٣ : ٢١٣ في ٤١٢ في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : وانما الشفاء في علم القرآن لقوله : تنزل من القرآن ما هو شفاء . للناس ورحمة لأهله لا شك فيه ولا مرية واهله أئمة الهدى الذين قال الله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ .
 (٣) المصدر بنفس السند عنه (عليه السلام) قال : انما الشفاء في علم القرآن لقوله ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأهله لا شك فيه ولا مرية آه.

«قل» يا رسول الهدى «كل» من المؤمن والظالم ﴿يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ متبنيا كلما يعمل من عمل الايمان واللايمان على شاكلته الخاصة به «فربكم» : أنتم العاملون ، الخالق المدبر لكم ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ حيث الرب يعلم عمل المربوب بشاكلته!

ترى وما هي شاكلة كل عامل يتبناها في عمله تقوى او طغوى؟ مع العلم انها ليست الشاكلة الصورية؟ الشاكلة صفة لموصوف محذوف فهل هي فطرته؟ وهي لا تختلف فيمن فطر عليها! ولا تتخلف عما هي عليها!

ولا تتبعها الأعمال إلا لمن لم يحجب عنها! ثم ولا تكفي حكما لكل صغيرة وكبيرة ، فان لها احكاما عامة يشترك فيها كل المفطورين عليها! ام هي العقلية والفكرة؟ وهما على اختلافهما بين العاملين ، لا تكفيان تبنيا للأعمال ، فكثير هؤلاء الذين يعملون اعمالا خلاف فكرهم وعقلياتهم!

ام هي مطلق العقيدة التي تتبناها العقلية والفكرة؟ ورب معتقد بشيء يخالفه في قوله او عمله ام فيهما؟!

ام هي النية التي تتبنى العقيدة ، ان صالحة فصالحة وإن طالحة فطالحة؟ وكأنها هي «فالنية هي العمل» حيث العامل الأخير لكل عمل هو النية التي تستتبع الإرادة ثم العمل!

ثم ترى النية الحاصلة من عقيدة وهي حصيلة العقلية والفكرة ، هل تنتهي الى سجية علينية او سجينية هي لزام كل انسان ، إذا فهل الشاكلة الأصلية لكل عامل ، والنية وعواملها هي كلها حصيلة تلك السجية ، دون تدخل لإرادة العامل؟ وهو جبر في الأعمال التكليفية ويخالف العقل والنقل وحديث «الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه» مفسرا بعلم الله ، فانه يعلم من سوف يشقى ويسعد وهو في بطن امه ،

فليست السجية المسيّرة هي الشاكلة ، وإنما النية الميسرة وهي حصيلة شاكلة العقيدة الحاصلة عن العقلية والفكرة ، فان ابتدأت هذه من الفطرة غير المحجوبة وتمشت مع الوحي أنتجت الأعمال الصالحة ، وإن تخلّفت بداية في سيرها أنتجت الطالحة ، وإن كانت بين ذلك عوانا خلطت عملا صالحا وآخر سيئا.

فالنية الصالحة هي التي تنبع من الإيمان وتوافق سنة الله كما يروى : «لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بالنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابة السنة»^(١).

فنية كل إنسان على جذورها وفروعها هي شاكلة الإنسان وماهيته حيث تشاكل عمله ويشاكلها عمله ، فانها حصيلة فعلية لطاقاته الروحية كلها ، إذا فالإنسان هو النية كما «ان النية هي العمل»^(٢) ف «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وقد عبرت عنها بالشاكلة لكي تشملها وكل ما تتبناه النية وتتناها في العمل.

ولان النية هي النبعة الأصلية فالحق يقال «نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله» فللإنسان سبيلان سبيل الهدى وسبيل الردى ﴿فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ : شاكلة ، فالسبيل هي الطريقة الشاكلة هدى أو ضلالة ، وما العمل إلا صورة بينة عن سيرة وسريرة خفية ، وهي هي الصورة الانسانية او البهيمية! كما النية هي شاكلة العمل.

(١) الكافي باسناده الى الامام الصادق (عليه السلام).

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢١٤ ح ٢١٧ في اصول الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : النية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عز وجل : «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ». يعني على نيته.

وليست الجزاء إلا بالعمل اللهم إلا في النية الحسنة ولما تصل الى العمل ام لا يصل
عذرا ، فلا عقوبة على النية السيئة خلاف ما يروى ^(١) اللهم إلا على العقائد السيئة فانها
من اعمال القلوب.

ولان الآية تأتي بعد الايمان والظلم اللإيمان المختلفان فيمن وجه إليهم القرآن ،
فليكونا عملا يستتبع الشفاء والرحمة او الشقاء والخسار والرحمة ، عملا يتبنى السريرة النية.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

نجد الروح في سائر القرآن . اي روح كان . تذكر في واحد وعشرين موضعا ، يجمعها
معنويا : ما به الحياة ، على مختلف درجات الحياة ومجالاتها ، من روح الإنسان : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ
وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (٣٢ : ٩٠) ^(٢)
وروح الايمان : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (٥٨ : ٢٢)

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٤ ح ٤١٨ علي بن ابراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن احمد بن
يونس عن أبي هاشم قال : قال ابو عبد الله (عليه السلام) : انما خلد اهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا
ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان
يطيعوا الله ابدا فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

أقول : قد فصلنا البحث عن الخلود وحدوده في بابه أوائل هذه السورة وفي النبأ ، وهنا أقول ليس
المخلدون في النار كلهم على هذه النية ولا المخلدون في الجنة ، والآيات الحاصرة الجزاء بالعمل تنافي العقوبة على
النية ، وإما الثواب على النية فمن فضل الله!.

(٢) كما وفي : «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» (١٥ : ٢٩ و ٣٨ : ٧٢).

وروح الوحي أيا كان : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٤٠ : ١٥) ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١٦ : ٢) من كتاب سماوي وروح قدسي وقد يخص روح القرآن والروح القدسي لرسول القرآن : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (٤٢ : ٥٢) ام روح القدس بوجه عام : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ (١٠٢ : ١٦) ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٢ : ٨٧) والروح المنزل مع الملائكة ليلة القدر والقائم والعارج معهم يوم القيامة : ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ...﴾ (٩٧ : ٤) ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ...﴾ (٧٨ : ٣٨) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ...﴾ (٧٠ : ٤).

فالروح . إذا . هو ما به حياة انسانية . ايمانية . حياة الوحي والروح القدسي ، ام حياة منفصلة كالروح الأمين والروح زعيم الملائكة ، فالروح القدسي والوحي هما روح الأرواح المتصلة كما الأخيران همان روح الأرواح المنفصلة ، مهما كان قبل الخمسة روح النبات وروح الحيوان.

وآية الروح . هذه . أعم آياتها تجردا عن قيود ، وأهمها جوابا عن كيانه أيا كان ، فهي الآية الأم دلالة ومدلولا ، وإن كان الروح القدسي وروح القرآن هما القدر المعلوم المتيقن هنا حيث احتفت ب ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ...﴾ و : ﴿لَعَنَ شَيْئًا لَنُذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾! ولكنه لا يخص روح القرآن حيث الفصيح إذا «عن روح القرآن . او عن وحي القرآن» وإنما عناه كما عنى سائر الأرواح من نباتية وإلى قدسية في القمة ، متصلة ومنفصلة! ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ المضارع ، رغم مضي السؤال تلمح بالاسئلة المستقبلية

طول سني الرسالة الإسلامية ، إضافة الى الاسئلة الماضية ^(١) ، من اي كان في اي زمان وعن اي من الأرواح ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ كجنس يستغرق الأرواح كلها ، ومن أية ناحية حول الروح . فكل سؤال في العهدين : المكي والمدني حول الروح أيا كان في الفترة الرسالية زمن الرسول ، وكل سؤال يطرح في عهد الإمامة او يطرح زمن الغيبة الكبرى والى يوم الدين ، تشمله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ كما و ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ تشمل الأرواح بجنبتها ، اسئلة تضرب إلى اعماق الماضي الرسالي ومستقبله ، فليكن الجواب : ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ جوابا عن كل سؤال طرح او يطرح حول اي من الأرواح : هل هي مادية ام مجردة؟ أزلية أم حادثه؟ وعلى حدوثها فمن ذا الذي أحدثها وما هي ذاتها وكنهها؟

و ﴿أَمْرٍ رَبِّي﴾ هو بين الشيء والفعل ومقابل النهي تكوينيا او تشريعا ، ولا معنى ل «من شيء ربي»! فهل شيء ذاته؟ فإشراك! ام من شيء غيره؟ فلما ذا الشيء بدل الفعل!

ولا يعني «من فعل ربي» حيث الفعل قد يكون بحاجة الى تدريج

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩٩ . اخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : كنت امشي مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا : يا محمد! ما الروح؟ فما زال يتوكأ على العسيب وطننت انه يوحى اليه فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأخرجه مثله جماعة من هؤلاء عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزيادة قالوا : أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فأنزل الله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

ومعدات قد لا تحصل وليس هكذا فعل ربي ، ولا من أمره التشريعي وان كان هو الوحي ، إذ يصدر بأمر تكويني مهما حمل تشريعا أم سواه ، إذا فهو الأمر التكويني بمجرد الإرادة بتدرّج ام دون تدرج ، فمن أفعاله تعالى ما فيه تدرّج لحكمة تتطلبه كتبديل مادة الى اخرى ، ومنها ما لا تدرّج فيه كخلق المادة الأولية لا من شيء ، ولا يتصور في إبداعها التدرج ، وخلق الروح الانساني إذ يخلق بعد كمال البدن حصيلة وسلسلة عن البدن دون تدرج ، مهما كان من الأرواح الأخرى ما فيها التدرج كروح القرآن المفصل ، واما روح العصمة القدسية وروح الايمان فلا تدرج فيها إلّا في مراتبها ، و ﴿أَمْرٍ رَبِّي﴾ الارادة التكوينية تشمل المتدرجة وغيرها سواء ، فبأمره وإرادته تحصل الأرواح نباتية وحيوانية وانسانية وإيمانية وقدسية متصلة ومنفصلة وروح الوحي ، دون ان يكون للخلق شأن فيها إلا ظرفا يقبل منزلا لهذا الأمر ، دون ان يكون الأمر لازمه إلّا ﴿مِنْ أَمْرٍ رَبِّي﴾!

فالروح أيا كان هو من شؤون ربوبيته الخاصة ، مهما كان الجسم متطورا بفعل الخلق حسب طاقته!

وتلكم الأسئلة الاربعة مضروبة في الأرواح السبعة تصبح ثمانية وعشرين سؤالاً ثم و ﴿مِنْ أَمْرٍ رَبِّي﴾ اجابة جازمة عما سوى اسئلة الكنه والذات ، ﴿مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعمها وعدم الاجابة عن الذات.

فعن روح القرآن : الوحي . هل إن كلام الله حادث او قديم؟ انه ﴿مِنْ أَمْرٍ رَبِّي﴾ وكل امر ربي حادث فإنّه فعله دون ذاته وصفاته.

وهل إنه نتيجة تكامل العقل ، فهو . إذا . يوحى الى صاحبه؟ ام هو عند تمامه وكماله يوحى اليه من ربه ، فهو هناك «من أمرنا» وهنا نتيجة حاصلة عن «أمرنا» وفيهما هو من امر الإنسان مهما اختلفا ، والجواب ﴿مِنْ﴾

أَمْرٍ رَبِّي ﴿ من فعله واراادته مهما يطلب ظرفا يناسبه هو كمال العقل وتخلص القلب عن كل كدرة وظلمة ، فهو من فضل ربي بداية وعلى كدح مني ، ثم ﴿مَنْ أَمْرٍ رَبِّي﴾ نهاية :
ثم وروح الإنسان حادث بارادة ربي . إذا . فمادية ، حيث الأمر الفعل من ربي . وهو خلقه . لا يشبهه تجردا إلهيا ، فليس إلّا ماديا مهما كان رقيقا كأنه تجردى .

الروح مخلوق كما الجسم مخلوق وهما من أصل المادة على اختلافها في الشفافية والكدر ، ولكنما الجسم في غير المادة الأولية يخلق تبدّلا على تدرّج اللهم إلّا في خوارق العادات كقلب العصى حية تسعى ، وأما الروح فهو مخلوق كلمح البصر ، اللهم إلّا في روح الوحي المفصل كتفصيل الكتاب ، وسائر الأرواح مخلوقة لمح البصر أو هو أقرب ، ولذلك يقيد إلقاءه ب «من أمره» ووحيه كروح القدس المتصل بقلوب المعصومين «من أمرنا» .

لا يعني الأمر في الروح إيجاد المجرد مقابل الخلق إيجادا للمادة وكما تقولوا في ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧ : ٥٤) فانه أمر التدبير بعد الخلق ، فكما له خلق الكون بروحه وجسمه ، كذلك أمر الكون بتدبيره ، ويشهد لذلك الآية نفسها ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فان استواءه على عرش الخلق بروحه وجسمه هو أمر التدبير ، فكما له امر التكوين كذلك له التدبير دوغما ندّ له في اي الأمرين .

ولو كان الأمر هو إيجاد المجردات لم يخص تدبيره بالأمر في ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (١٠ : ٣) ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾

(١٠ : ٣١) بل عمّه والخلق!.

ثم ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَحٍ بِالبَصَرِ﴾ (٥٤) (٥٠) قد يعني أمر القيامة ﴿وَمَا أَمَرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَحٍ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (١٦ : ٧٧) أم إذا شملت الإرادات التكوينية الإلهية ف «واحدة» تفسرها على سبيل البديل ، فكل خلق لنا واحد حقيقي دونما حاجة إلى معدات مركبات ، وانما كلمة «كن» التكوينية!

لنا ادلة من القرآن والسنة والعقل على ان الروح مادية الحدوث والبقاء ، فلا هو مجرد حدوثا وبقاء ، ولا مجرد بقاء على ماديته في الحدوث ، واما القرآن.

فقد توحى لكون الروح الانساني من عالم المادة ، مهما لطفت لحد لا تبصر ولن . آية الإنشاء : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢٣ : ١٤).

ف «الإنسان» لا جسمه فقط او روحه فقط . تلمح كتصريحه أنه مجموعة الإنسان ، وأحرى بروحه ان يعنيه فانه ما به الإنسان انسان!

هذا الإنسان مخلوق بجزئيه من سلالة من طين كأصل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ في أنساله ، وكما بدء في أصله الاول . آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (٣٢ : ٨) ومفترق الطريق بين الإنسان الاول ونسله ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ و ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ تبيننا لمراتب خلقه التكاملي في جسمه لائحا ، وأما الروح المزيج في أصله مع جسمه فلا يلوح منه شيء حتى الآن وإلى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

هنا خلق أول مجزئيه من طين ثم نطفة فعلقه فمضغة فعظام مجردة ، فكسونا العظام لحما وفي كل هذه المراحل هو في خلقه الأول ، مهما كان روحه باجزاءه الأولية مندغما في جسمه ولما يظهر ويتبلور بآثاره ، فهناك في مراحل الأربع قبل كمال البدن ، ليس البدن والروح إلا بالقوة ومع اكتمال البدن يصبح البدن بالفعل والروح فيه بالقوة القريبة الى الفعل ، و ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ إظهار للروح الى الفعلية! ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ ليس هو الأول وإلا فلما ذا الإنشاء بعد خلقه ، ولماذا الآخر بعد وجود الاول!

هذا الخلق الآخر ليس هو الاول بعينه ، ولكنه من الاول تبديلا له بعضا لا كلا الى خلق آخر ، حيث البدن الظاهر هو البدن ، فليكن الآخر شيئا منه غير مرئي ، كان كالأول ثم تبدل بذلك الإنشاء سلالة لطيفة منه غير مرئية ، وكما انه في جسمه سلالة السلالات ، ترى وما هو الدليل أنه منه رغم أنه آخر؟.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾ تصريح بإنشاء مركب ، فلم يقل «ثم انشأنا له خلقا آخر» حتى يكون الروح خلقا آخر يختلف عن البدن تماما ، بانفصال مطلق دون اتصال ذاتي ام ولادي ، حتى يحتمل كونه مجردا عن مادة!

ولا أن ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بمعنى خلق البدن كما هو مرة اخرى تحصيلا للحاصل! وإنما إنشاء للبدن بعد تمامه ، خلقا آخر منه بعضا لا كلا ، فالخلق الآخر الروح او المركب منه والجسم ، منشأ بعد كمال البدن ، انتشاء كسلالة خاصة من البدن ، حتى يصح القول ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ ، فكما البدن هو سلالة السلالات ، كذلك الروح سلالة لطيفة من أجزاء بدنية لها صلاحية الإنشاء روحا دون سواها ، ولعله يعنيه الحديث «انه من الملكوت» : حقيقة غير مرئية وسلالة خفية من الجسم فهو من الملك والروح من الملكوت! حيث الملكوت هي حقيقة الملك ، ومنها ما

هي مع الملك كونا وكيانا ، وهو كل خلق لا يرى ومنه الروح أيا كان ، ومنها ما ينفصل عن الملك كونا وكيانا وهي ما عند الله من حقيقة الإرادة التكوينية ومنها.

فكما تتسلل سلالة من الوردية هي العطر ثم تمزج بالوردية غير المزج الاول ، فالعطر كان مع الوردية ما كانت وردة ، ثم أخذ عصرا عنها كسلالة ، ثم مزج بالوردية ، فالعطر أولا هو الوردية كجزء منها مزيجة ، وثانيا هو خلق آخر مزج في الوردية ، وهنا يصح القول في عطر الوردية : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وإن كان بين الوردية وعطرها ، والبدن وروحه بون ، حيث البدن ظاهرا هو البدن قبل تسلل الروح منه وبعده ، دون الوردية!

فآية الإنشاء تجعل الروح سلالة لطيفة من البدن بعد اكتماله ، كما تجعل النطفة سلالة من طين ، وبينهما عوان في السلالات التكاملات ، والروح بأصله مخلوق مع سلالة النطفة من طين ، ولكننا الفعلية الروحية الحية ليست إلا بعد ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ بتراخ كما توحى به «ثم».

فكما «ثم» في تسلل النطفة من طين تتطلب تراخيا ، كذلك «ثم» في تسلل الروح من البدن ، ومن ثم التكاملات العوان بين ذلك متفرعة على بعض بالفاء ، لا للفصل الزمني فحسب ، بل والفصل في المكانة ، فأين طين ومني بمعنى سلالة من طين ، ونطفة تجعل في قرار مكين ، ومن ثم أين الخلق الاول من الإنسان المكتمل في الهيكل البدني واين الخلق الآخر : روحه المتسلل من ذلك الهيكل؟

ومحتملات إنشاء الروح بعد اكتمال البدن كالتالي :

١ . انشأه الله لا من شيء كما المادة الاولية؟ ولا يناسبه «أنشأناه» فإنه إنشاء ثان

للبدن ، وليس إنشاء بسيطا للروح لا من شيء!

٢ . أنشأه الله من شيء غير البدن ، مجردا ام مادة؟ وكذلك الأمر! ٣ . أنشأه الله من شيء ذاته سبحانه؟ فكذلك! إضافة الى استحالته الذاتية وان ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا «من شيءه الذاتي»!.

٤ . أنشأه الله من شيء بدنه ، إنشاء مركبا يعني تبديل البدن بعد خلقه الاول خلقا آخر بتمامه؟ والبدن هو البدن فأين الآخر؟!

هكذا ولكنه تبديل لأجزاء لا نعلمها من البدن الى روح ، ثم نفخه فيه لا ككونه قبل إنشاءه الثاني فانه الخلق الاول ، وإنما تبديلا لألطف اجزاءه ، ام تلطيفا لما يصلح إنشاءه روحا ، ثم نفخه فيه ، فهو الإنسان المنشأ خلقا آخر حيا يعقل ، بعد ما انشأ خلقا اول ميتا لا يعقل ، اللهم إلا في حياة نباتية وحيوانية جرثومية هما مع النطفة الى العظام وكسوها لحما ، فميزة الخلق الآخر ليست بذلك البدن بروحيه حيوانا جرثوميا ونباتيا ، وإنما بالروح الإنساني عقلا والروح الحيواني للإنسان.

هذه آية محكمة بيانا مكينا متينا كما نفهم لكيان الروح ، أنه منشأ من البدن بعد اكتماله : فمنفوخ فيه بعد انفصاله ، كما تدل عليه آيات النفخ ، إذ يتطلب كونه خارج البدن حتى يصح نفخه فيه ، وآية الإنشاء تحكم بخلقه من البدن ، ونتيجة التجاوب بينا هي إنشاء من البدن ثم نفخه فيه!

هذا ومن ثم آيات النفخ ^(١) والبعض من روايات الروح «انه جسم

(١). فالتى تقول «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» «وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» تدلنا على ان الروح تمكن في البدن ، لا خارجه ولا دون مكان ، والمجرد عن الجسم ليس له مكان ، حيث المكان أيا كان محدود والمجرد لا محدود ، ثم الروح الماكن في البدن له حدود وابعاد مثل ما للبدن ام اقل ولا حدود وابعاد للمجرد عن المادة.

رفيق قد ألبس قالباً كثيفاً»^(١) «مادته من الدم» ... «ليس لها ثقل ولا وزن»^(٢) : ودليل العقل^(٣) شهود ثلاثة على عدم التجرد المطلق للروح الإنساني ، وإنما تجرد نسبي يعني انه طاقة عاقلة تنبثق من الهيكل الانساني بعد اكتماله فهو مادي دون تجرد ، سلاله من البدن تدبره وهي حياته كسائر الحياة في نشأته البرزخ والقيامة ، ثم لا نجد ولا إشارة او تلميح عن عقل او كتاب او سنة أنه مجرد عن المادة إطلاقاً ، بل هو طاقة مادية

(١) نور الثقلين ج ٣ : ٢١٧ ح ٤٣٣ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل : اخبرني عن السراج . الى قوله . : والروح جسم رفيق قد البس قالباً كثيفاً ... قال : فأين الروح؟ قال : في بطن الأرض حيث مصرع البدن الى وقت البعث قال : فمن صلب اين روحه؟ قال : في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض ، قال : فاخبرني عن الروح أغير الدم؟ قال : نعم الروح على ما وصفت لك مادته من الدم ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك ، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن ، قال : فهل توصف بخفة وثقل ووزن؟ قال : الروح بمنزلة الريح في الزق إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ولا ينقصها خروجها منه كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن» .

(٢) . المجرد في ذاته غني عن موجد او محوّل ومبدّل فلا يخلق وإنما يخلق ، فلو أن الله خلق الروح مجرداً عن المادة ، جاز ان يكون هو ايضاً مخلوقاً ، وعدم جواز الحدوث لذات الله ليس إلّا لتجرده عن مطلق المادة فأزلي غني عما سواه ، فحدوث الروح إذا يعني كونه مادياً ، كما أزيلته تعني تجرده ، وتجرده يعني أزيلته! ...

وضرورة مجانسة العلة والمعلول ليست الا في العلة الوالدة حيث تلد المعلول ، اما بتحوّلها تماماً الى المعلول ام بعضاً أما ذا ، واما العلة الخالقة فالضرورة فيها عدم المجانسة حتى يمكن إيجادها الشيء لا من شيء ، والضابطة القائلة «الفاقد للشيء لا يعطيه» ليست الا في العلة الوالدة ، واما الضابطة في العلة الخالقة فهي «ان تجد العلة القدرة على إيجاد المعلول لا من شيء او من شيء هو خلقه» واما ان تجد ذات المعلول في ذاتها فذلك يحيل خالقها الى الوالدية!

تساكن بدنا ما وبها حياته ، مادي الولادة ، ومادي البقاء ، ومادي التعلق في مثلث الحياة : وترى هل للروح ثقل وأبعاد ولون أم ماذا كما للجسم؟ لا ريب في أن له كلما للجسم كجسم لا كأجسام خاصة ، فالروح تشارك سائر المادة في أصل المادية الطاقة ، وتحالفها في الحياة والتعقل أماذا من شؤون فلا هي مادة كسائر المواد ، ولا طاقة كسائر الطاقات ، بل هي طاقة خاصة حية شاعرة عاقلة ، وطبعاً لها أبعاد وثقل وإن لم توزن بما عندنا من ميزان ، ولا تحدّ بما عندنا من مقاييسات ، ولأنها لا تحس ولا تلمس ولا تدرك بالحواس الخمس .

وما في الحديث ان «ليس لها ثقل ولا وزن» نفى لما عندنا من موازين الثقل والوزن ، فكما ان الريح في الزق لها وزن ، كذلك الروح في الجسم ، مهما لم نستطع على وزنه!.

وفي حديث مجانسة الروح للريح تصريح انهما مثالان في الطاقة المادية واللطافة ، مهما اختلفا في الطاقة العقلية والحيوية ككل! كما وتؤيده آيات النفخ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٦ ح ٤٢٩ في كتاب التوحيد بإسناده الى عبد الحميد الطائي عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال : ان الروح متحرك كالريح وانما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح وانما أخرجت على لفظ الروح لان الروح مجانس للريح ، وانما اضافته الى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح. كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال : «بيتي» وقال لرسول من الرسل : «خليلي» وأشبهه ذلك وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر .
وفيه ح (٢٣٤) في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن محمد بن علي الثاني (الامام الجواد عليه السلام)) قال : اقبل امير المؤمنين ذات يوم ومعه الحسن بن .

فالتجرد المطلق للروح هرطقة مطلقة ، ان تكون مجردة الذات ولادة او بقاء ومجردة التعلق ، كذلك وان الروح هي الهيكل الجسماني او الدم ام ماذا مما يرى ، ويتلوها تجرده في كونه وتعلقه في كيانه ، بل هو طاقة عاقلة متسللة عن البدن ، يدبر البدن ولا يعيش إلا في بدن أيا كان من الثلاثة ، اللهم إلا أرواح عالية لا تحتاج الى بدن إلا تجربة وامتحانا.

و ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ بيان لكيان الروح أنه من فعل الله وإرادته في كلمة التكوين «كن» فهو حادث دون تجرد مطلق ، وأما ما هي حقيقته وملكوته فلا جواب إلا انه «من الملكوت» فليس الروح إذا تجرد الحدوث والبقاء ، ولا مادي الحدوث تجردي البقاء ولا عكسه بل هو مادي

. علي وسلمان الفارسي وامير المؤمنين (عليه السلام) شك على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على امير المؤمنين (عليه السلام) فرد عليه السلام فجلس ثم قال : يا امير المؤمنين (عليه السلام)! أسألك مسائل الى ان قال في جواب السؤال : اخبرني عن الرجل إذا نام اين تذهب روحه . والمكلف في الجواب الحسن (عليه السلام) : اما ما سألت عنه من امر الإنسان إذا نام اين تذهب روحه؟ فان روحه معلقة بالريح والريح معلقة في الهوى الى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة فإذا اذن الله برد تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهوى فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها وان لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها جذب الهوى الريح وجذبت الروح فلم ترد الى صاحبها إلا الى وقت ما يبعث ...».

وفي الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل : فاخبرني ما جوهر الريح؟ قال : الريح هواء إذا تحرك سمي ريحا فإذا سكن سمي هواء وبه قوام الدنيا ولو كفت الريح ثلاثة ايام لفسد كل شيء على وجه الأرض ونتن وذلك ان الريح بمنزلة المروحة تذب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطيبه فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن وتغير تبارك الله احسن الخالقين».

الحدوث والبقاء^(١).

فالقول ان لا جواب في الآية إلا اللآجواب ، فلأنكم ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، إذ لا تتحملونه إلا قليلا فلا جواب إذا عن الروح ، إنه ليس في شيء من الصواب ، فاللآجواب يكفيه ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾ و ﴿مَنْ أَمَرَ رَبِّي﴾ جواب ، حيث ينفي كونه امرا مستقلا دون الرب فأزليا مجردا ، ام حادثا بغير امر الرب!.

كما القول : إنها جواب بتجرد الروح ، حيث الأمر يقابل الخلق ، كما ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (٧ : ٥٤) فالأمر هو كلمة «كن» في إيجاد المجردات دون تدرج ، والخلق في إيجاد الماديات بتدرج ... ذلك ايضا تأويل عليل خال عن الدليل.

فالقرآن يعبر عن كل حادث بالخلق ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٢٥ : ٢) فهل الروح لا شيء ، ام شيء ازلي إلهي ، ام شيء حادث ، والشئئية الحادثة مخلوقة دونما استثناء : ﴿وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦ : ١٠٢) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ فكل شيء مخلوق لله ، وما أمره في خلق كل شيء إلا واحدة. ارادة واحدة . كلمح بالبصر^(٢) خلاف

(١). في الاحتمال الثاني وعكسه تناقض ، فمادية الحدوث تجعل كيانه طاقة مادية سلاله عن البدن ، فكيف إذا بالإمكان انتقاله عن ماديته الى مجرد ، تحولا لنقيض الى نقيض آخر ، ام ولأقل تقدير الآن المشترك بين المادية والتجرد وهو أن التحول هو مجمع النقيضين ، فمهما تكامل الروح ولا يصل الى حد التجرد وانما يرقى ويتلطف أكثر مما كان تقدما في العلم والمعرفة دون طفرة وقفزة من نقيض الى نقيض!.

(٢) راجع ج ٢٧ ص ٥٠٣ تفسير الآية «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ».

كل أمر ومريد سوى الله ، حيث يحتاج في تحقيق مراده الى مقدمات قد لا يقدر عليها ، او تحتاج الى مضي زمن ام ماذا ، ولكن الله ليس أمره إذا يأمر إلا واحدة. ارادة واحدة لكل وحدة خلقية ، دون حاجة الى معدات اخرى.

ف ﴿أَمْرٍ رَبِّي﴾ يعني فيما يعني : أن الروح «خلق من خلق الله ، وانه يزيد في الخلق ما يشاء»^(١).

وآية الخلق والأمر لا تعني الا إيجاد الكون وتدبيره انهما من الله ، لا أنه الخالق والمدبر غيره ، او انه المدبر والخالق غيره وكما تبينه الآية نفسها.

فعالم الخلق هو الارادة التكوينية لاي شيء مكوّن ، وعالم الأمر هو الإرادة التدبيرية لاي مكوّن ، دون تفلت وتخلف هنا وهناك.

ان تفسير الأمر بإيجاد المجردات تنافي اللغة والآيات ، فالأمر شيء وفعل ومقابل النهي ، ف ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا يعني انه من شيء ربي ، انه جزء من الشيئية الربوبية ، وانما من فعل ربي وارادته ، كما ان العالم كله من فعله وارادته ، سواء كان متدرج الكون ام دفعي الكون ، فالمادة الاولى دفعية الوجود ، وغير الاولى منها دفعية ومنها تدريجية ، وتفسير الأمر التكوين لله بانه كلمح البصر او اقرب لا يعني إيجاد المجردات ، وانما الإيجاد اي إيجاد فلا تدرج في حصول مرادات الله ، مهما نرى تدرجا في خلق الله! ف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ : فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٦ : ٨٣).

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٥ ح ٤٢٥ في تفسير العياشي عن زرارة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قال : خلق ...

هنا ملك وهنا لك ملكوت ، والملك هو الظاهر من كل شيء ، والملكوت هي حقيقة ملكه وتعلقه بالله وهي كلمة «كن» التكوينية ، فكما ان لكل شيء ملكا كذلك له ملكوت ، ملكه ظاهر وملكوته باطن :

او ان الكون ينقسم الى ملك هو الظاهر كالجسم ، والى ملكوت هو الباطن كالروح. ام ان المعنيين هما معنيان فالروح من عالم الملكوت أيا كان ، ولها ملكوت هو حقيقة التعلق بالله.

وهنا ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ تفسير «من روعي» في آياتها ^(١) أن «من» هنا لك نشوية لا جنسية ، فليست الروح جزء من ذات الرب ولا متولدة منها إذ ليس للرب روح وجسم حتى يكون الروح من روحه ، وانما ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ : فعله وإنشاءه! هذا روح الإنسان ومن ثم روح الايمان ^(٢) فإن كتبه وتأيدته من الله مهما

(١) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (٣٢ : ٩) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٣٨ : ٧٢) و (١٥ : ٢٩) ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٤ : ١٧١). فالروح أيا كان هو من امر الرب وليس من ذاته.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢١٦ و ٤٢٦ تفسير العياشي حمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) عن قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال : ان الله تبارك وتعالى احد صمد والصمد الشيء الذي ليس له جوف ، فانما الروح خلق من خلقه بصر وقوة وتأيد يجعله في قلوب المؤمنين والرسول.

وفيه عن اصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال : خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مع الائمة يسددهم وليس كلما طلب وجد.

كانت عقيدته وعمله في البداية من الإنسان : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (٥١ : ٢٢).

كذلك وروح العصمة القدسية ^(١) وروح الوحي : «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١٦ : ٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٤٠ : ١٥) ^(٢).

وكذلك الروح الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٢٦ : ١٩٤) وهو روح القدس ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ (١٠٢ : ١٦) ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٩ : ١٧) ومن ثم «الروح» زعيم الملائكة وليس منهم : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٩٧ : ١٤) ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٧٨ : ٣٧) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (٧٠ : ٤). وكل هذه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

ففي وحي الرسالة المحمدية يتنزل الروح الأمين من أمر الله بأمر الله ، وعلى روح الرسول الأمين من أمر الله بأمر الله ، بالروح القدسي الرسالي من أمر الله بأمر الله ، وبالروح الوحي القرآني من أمر الله بأمر الله ، أرواح اربع كلها «من امر ربي وبأمر ربي» كونا وكيانا ونزولا ونازلا ومنزلا :

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع لتفصيل آخر عن الروحين وسواهما الى سورة الشورى عند الآية «وَكَذَلِكَ. أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» وكذلك سورة القدر.

فالروح القدسي الرسالي المحمدي بوحيتها هي روح الأرواح كلها ، وسائر الأرواح أبدان لها ، من سفلي هو روح الإنسان ومن علوي هو روح الرسالات غيرها وبينهما متوسطات عوان.

تلكم الروح القدسية في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمحمديين من عترته أعظم من جبريل وميكال ومن الروح زعيم الملائكة وهي كسائر الأرواح من أمر الله دون سواه.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

هنا مثلث من الاحتمالات في مخاطب ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ انهم هم المشركون ام السائلون عن الروح أم العقلاء اجمع ، ثم العلم قد يعني العلم المطلق ، واخرى مطلق العلم وحيا او سواه. وثالثة العلم بحقائق الأشياء ، ثم قليلا قد يعني قليلا من العلم واخرى قليلا منكم ، فمجموعة المحتملات ثمانية عشر ، قد تعنيها الآية كلها ، على مراتبها في درجاتها ادبيا ومعنويا! وقد تصدق بعضها روائيا.

فهم «الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمشابهة فيما جهلوا به فلذلك قال ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس له شبه ولا مثل ولا عدل» ^(١) فتعالى ان تكون الروح شيئا من ذاته المقدسة كما يهرفه الخارقون ويكذبه العارفون.

وهم الخلق أجمعون ف «لم يؤت من العلم إلا أناس يسير فقال ﴿وَمَا

(١) نور الثقلين ح ٤٣٩ كتاب التوحيد باسناده الى حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) حديث طويل يقول فيه «ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم منهم.

أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا^(١).

ف «قليلًا» من العلم قلة في قلة في قلة أوتيها العالمون اجمع مهما كان نصيب اصحاب الوحي على مراتبهم أوفر ثم من يليهم ، و «قليل» أوتوا قلة واحدة هي «من العلم المطلق» هم رجالات الوحي وأضرابهم ، إذ لم يؤتوا على علاقتهم إلا قليلا من علم الغيب ، مهما كان كثيرا وجاه الآخرين ، فانه قليل وجاه رب العالمين «وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله»^(٢).

فأين هذه القلة القليلة من العلم والنيل من حقيقة الروح كما الله يعلم ، وقد يعلم من حقيقتها أوليائه الخصوص بعضا لا كلا ، حيث العلم المطلق بحقيقة شيء هو القدرة المطلقة على إبداعها ، و ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾؟ ثم لا يعلم هذه القلة سائر الخلق ، وإنما يعلمون بما

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٩ ح ٤٣٨ تفسير العياشي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (ع) في قول الله ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال : تفسيرها في الباطن انه لم يؤت العلم الا أناس يسير فقال : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ «منكم» أقول وقليلًا في نصبها استثناء عن العلم ورفعها استثناء عن ضمير الجمع في ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ ويجوز ان يراد معا واللفظ منصوب لرجاحة احتماله على الآخر.

(٢) المصدر ح ٤٣٧ تفسير القمي ان اليهود سألوا رسول الله (ص) عن الروح فقال ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا : نحن خاصة؟ قال : بل الناس عامة ، قالوا : فكيف يجتمع هذان يا محمد! تزعم انك لم تؤت من العلم الا قليلا ولقد أوتيت القرآن وأوتيت التوراة وقد قرأت ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ وهي التورات ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يقول : علم الله اكبر من ذلك وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله.

أوحى الله مثلثا من علم الروح كما تفيدته ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حدوثا ومادية في كونه وانه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ في كيانه.

فإذ لا علم بالروح إلا قليلا للأقلين ثم القليلين فبأحرى لا طاقة لخلقه وتحصيله لأحد من العالمين! فما الروح أيا كان ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾! ويروى «لقد قبض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يعلم الروح»^(١) بحقيقته أيا كان ، اللهم إلا قليلا ، وله في وحيه مثلث الروح : منزلا هو روح العصمة في قلبه ، ومنزلا به هو روح القدس جبريل ام الروح عظيم الملائكة ، ونازلا هو روح الوحي قرآنا وسواه من وحي.

وكمثال على عدم استقلاله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مكانته العليا ، في تحصيل الروح أيا كان ، من وحي وروح العصمة القدسية ، يتهدده ربّه خطابا بإياك اعني واسمعي يا جارة ، ان ليس الوحي ومثيله حصيلة كمال العقل ونبوغه (وحي العقل) ولا ان ذلك علة تامة في حصوله لكي تقتضي بقاءه على اية حال ، وإنما هو أمر من أمر الرب يهبه لمن يشاء ويصرفه عمن يشاء : ولئن ...

﴿وَلَيْنُ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا. إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٦).

لو ان هذه الروح او تلك كان من أمرك ككل أمر منك ، فلا تذهب إذا عنك ، حيث الاستقلال في الحصول على شيء يمنع الاستغلال في الذهاب به دون خيره المستقل . رغم أننا ﴿وَلَيْنُ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من روح قدسية ومن وحي ...
لقد شاء الله ان يحتبس الوحي عن رسوله لفترة قصيرة لحكم شتى ،

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٠٠ . اخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال .

منها التبيين انه من امر الله لا من أمره دون ودع ولا قلى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى...﴾ ولئن شاء لذهب بكل الذي اوحى اليه من روح النبوة والوحي ولكنه لا يشاء حيث اصطفاه برسالته على علم.

فربه هو يقرؤه وحيه وهو الذي يقيه ولا ينسيه ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ وهو الذي يسدده دوما حتى لا يكاد يركن الى غيره ولو شيئا قليلا ﴿وَلَوْ لَا أَنَّ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ إذا ف ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا أمري فضلا عن غيري!

إن الروح الأمين هو من أمره وينزل بالروح إليك من أمره ، فليس هنا وهناك في امر الوحي إلا أمره لا سواه.

إنه تعالى لا يريد ولن ان يذهب بالذي أوحى اليه «وقد يعلم ما لا يريد ابدأ»^(١) «وان كان قادرا على ما لا يريد ابدأ»^(٢).

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٩ ح ٤٤٠ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا (ع) مع سليمان المروزي حديث طويل وفيه قال الرضا (ع): يا جاهل فإذا علم الشيء فقد اراده؟ قال سليمان : اجل . قال : فإذا لم يرد له يعلمه؟ قال سليمان : اجل ، قال : من اين قلت ذاك وما الدليل ان ارادته علمه وقد يعلم ما لا يريد ابدأ وذلك قوله : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو يعلم كيف يذهب ولا يذهب به ابدأ؟ قال سليمان : لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئا ، قال الرضا (ع) : هذا قول اليهود فكيف قال : ادعوني استجب لكم «قال سليمان : انما عني بذلك انه قادر عليه ، قال : أفبعد ما لا يفي به؟ قال ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وقال عز وجل : يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده علم الكتاب وقد فرغ من الأمر؟ فلم يجر جوابا وفي كتاب التوحيد مثله سواء.

(٢) المصدر ح ٤٤١ في كتاب الاجتماع للطبرسي عن الرضا (ع) حديث طويل وفي آخره قال سليمان ان الارادة هي القدرة ، قال الرضا (ع) وهو يقدر على ما لا يريد ابدأ لا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فلو كانت الارادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به بقدرته ، فانقطع سليمان ...

وفيما لو ذهب بالذي اوحى اليه من روح النبوة او روح الوحي ﴿لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ توكله او يتوكل عنك في استرجاعه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هي الوكيل لك لا سواها ف «إن الله غالب على امره» والروح من أمره! ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ كما استمر في وحيه عليك بعد انقطاعه ردحا من الزمن دون ودع ولا قلى .

واما انقطاعه لودع او قلى حيث هما في خيانة الرسالة لا سواها : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ فانه انقطاع دائم لا رجوع فيه ولا رحمة تعتريه : ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفُتَيْنِ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ...﴾ (٦٩ : ٤٦) !
ولكنه ليس بالذي يخون في رسالته او يزيغ ^(١) او يخطر بخلده ، وليس الله ليبعث من يخون.

وحين يتهدد ربنا رسوله بذهاب ما اوحى إليه لو زاغ ، فهل يشمل ذلك التهديد الأمة الاسلامية ان يذهب بالقرآن من بينهم وحتى من صدورهم إذا خانوا وزاغوا وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٠٠ . اخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس قال لما قدم وفد اليمن على رسول الله (ص) فقالوا : أبيت اللعن؟ فقال رسول الله (ص) سبحان الله انما يقال هذا للملك ولست ملكا أنا محمد بن عبد الله! فقالوا : انا لا ندعوك باسمك . قال : فانا ابو القاسم ، فقالوا : يا أبا القاسم انا قد خبأنا لك خبيثا . فقال : سبحان الله انما يفعل هذا بالكاهن والكاهن والمكتهن والكهانة في النار فقال أحدهم فمن يشهد لك انك رسول الله فضرب بيده الى حفنته حصا فأخذها فقال : هذا يشهد اني رسول الله ، فسبحن في يده فقلن نشهد انك رسول الله فقالوا : أسمعنا بعض ما انزل عليك فقرأ والصافات صفا حتى انتهى الى قوله : فاتبعه شهاب ثاقب ، فانه لساكن ما ينبض منه عرق وان دموعه لتسبقه الى لحيته فقالوا : انا نراك تبكي امن خوف الذي بعثك تبكي؟ قال : بل من خوف الذي بعثني ابكي ، انه بعثني على طريق مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم قرأ ﴿وَلَيْنُ شِمْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ .

وسلم): «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك ، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا اله إلا الله. فنحن نقولها»^(١). او يأتي «على الناس زمان يرسل الى القرآن ويرفع من الأرض»^(٢) او «ينسج من القلوب والمصاحف»^(٣) «فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية»^(٤) او «لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن»^(٥).

وترى ما هو الذنب الذي به يرفع القرآن؟ هل هو الكتب التي يكتبونها مع كتاب الله^(٦) ومؤيد القرآن منه وشارحه من سنة ام ماذا يسانده ، ومخالفه منه يعرض على الحائط وكما في أحاديث العرض ، اللهم إلا ان يعنى الكتب التي تجعل القرآن منسيا!

(١) المصدر ٢٠١ . اخرج الحاكم وصححه البيهقي عن حذيفة قال قال رسول الله (ص) ...

(٢) المصدر اخرج ابن عدي عن أبي هريرة عن النبي (ص) ...

(٣) المصدر . اخرج الديلمي في مسند الفردوس عن معاذ بن جبل قال : خرج علينا رسول الله (ص) فقال : اطيعوني ما دمت بين أظهركم فإذا ذهبتم فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه فانه سيأتي على الناس زمان ...

(٤) المصدر . اخرج ابو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن حذيفة وأبي هريرة قالا قال رسول الله (ص) يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح.

(٥) المصدر اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) لا تقوم الساعة.

(٦) المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر قالا خطب رسول الله (ص) فقال : ايها الناس ما هذه الكتب التي بلغني انكم تكتبونها مع كتاب الله يوشك ان يغضب الله لكتابه فيسري عليه ليلا لا يترك في قلب لا ورق منه حرفا الا ذهب به فقليل يا رسول الله (ص) فكيف بالمؤمنين والمؤمنات قال : من أراد الله به خيرا أبقي في قلبه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

أم إن رفعه يعني رفع علومه وتطبيق احكامه؟^(١) وهو واقع في امة اتخذت هذا القرآن مهجورا ، وقد يعنيه انسباخه عن القلوب حيث تنقلب عنه وعن المصاحف حين تهجر تفقها وتعلما أم وقراءة.

وفي الحق ان القرآن منذ بعيد زمن منسبخ مرفوع عن ارض الإسلام وعن القلوب وحتى عن الحوزات العلمية ، فدرسه مندرس ، وآياته لا تدرس ، ومن أقبل الى درسه يرفض او يتهم بالجهالة والباطلة وإلا فلما ذا القرآن؟ وهنا لك كتب علمية عميقة هي التي تشكل علوم الحوزات وتنصب أعلامها! كما يهرفه الهارفون!

وأما ان يرفع القرآن عن بكرته. فلا يوجد لمتحري الحق ، فهذا رفع للحجة عن المؤمنين به والكافرين ، وثم إذا استحق العصاة رفعه فما ذنب المؤمنين ألا يبقى لهم منه إلا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؟! ولا تتهدد الآية برفع القرآن إلا الرسول تدليلا على ان الروح : القرآن وسواه ، إنما هو من امر الله لا سواه ، وفي التي تتهدد الرسول أخذا باليمين لو تقول على الله بعض الأقاويل ، تدليل على عصمة القرآن وانه حجة بالغة على المكلفين ، ثم لا تجد تصريحاً ولا تلويحة تهدد العصاة برفع القرآن. إلا ان هذه الشفاء والرحمة للمؤمنين لا تزيد الظالمين إلا خسارا ، ومن ثم فالفضل الكبير للرسول هو للمؤمنين دونما انقطاع : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٣٣ : ٤٧) او يعقل انقسام القرآن في كونه بين المؤمنين فكائن وبين غير المؤمنين فغير كائن ، اللهم إلا في شفاءه ورحمته.

ذلك الروح القرآن كسواه من أرواح «من امر بي» لا سواه ، فلو تعاضد الانس والجن . وأنت معهم دون وحي . لن يأتوا بمثل هذا القرآن!

(١) كما أخرجه محمد بن نصر عن الليث بن سعد قال : انما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب ويكتبون عليها ويتركون القرآن.

كما لن يحيط بعلمه روحا ظاهرة كالقرآن ام خفية كروح الإنسان او القدسي الرسالي ام ماذا؟ :

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١). (٨٨)

والمثل المتحدى فيه ليس فقط القرآن كله ، وإن كان أعضله ، بل وبأبعاضه ما يسمى قرآنا كسورة مثل الكوثر ، ام وآية تامة ، حيث الآية الإلهية هي الدالة بنفسها على أنها إلهية ، وكل جملة من القرآن آية فالتحدي بإتيان المثل تشمله كما تشمل سورة وعشرا والى كله. كما المماثلة المتحدى فيها تعم جانبي اللفظ والمعنى ، فانه القرآن فيهما ، وليس كلهم عربا يتحدثون به لفظيا!.

وطالما حاول الناكرون ان يأتوا بمثله فرجعوا خاسرين ، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ بعض من الإنس مع أنسه^(٢) ، وبعض من الجن مع جنه ، ام انس مع جن ، ولو تظاهروا طول الزمان وعرض

(١) راجع تفسير الآية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾ في البقرة. تجد فيه بحثا فصلا عن اعجاز القرآن.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٢٠ ح ٤٤٤ في الخرائج والجرائح في أعلام أبي عبد الله (ع) ان ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على ان يعارض كل واحد منهم ربع القرآن وكانوا بمكة وعاهدوا على ان يجيئوا بمعارضة في العام القابل فلما حال الحول واجتمعوا في مقام ابراهيم قال أحدهم : اني لما رأيت قوله : ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ كنفت عن المعارضة ، وقال الآخر : وكذا انا لما وجدت قوله : فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا «أيسست من المعارضة ، وكانوا يسترون ذلك إذ مر عليهم الصادق (ع) فالتفت إليهم وقرأ عليهم ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ فبهتوا.

المكان ، ولو كرسوا طاقاتهم كلها ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أفليس إذا الروح القرآن من امر الله لا سواه ^(١).

وقد تلمح الآية بامكانية اجتماع الانس والجن ، وإن أحالت ان يأتوا بنتيجة الاجتماع بمثله ، فلو استحال الاجتماع لم يكن هناك تحدّ ، وإنما تحيل ما بالإمكان توفر وسائله لا المستحيل بداية ونهاية!

وترى هذا الانس عرفنا عيهم عن الإتيان بمثله حتى الآن ، فكيف لنا التعرف الى عي الجن في هكذا إتيان؟.

نقول : لأن الإنسان مخلوق في احسن تقويم فلا احسن منه أيا كان ، فعدم إتيانه بمثله دليل على عدم الإتيان ممن في مستواه ، فضلا عن الجن الذي هو ادنى من الإنسان! ثم لو كان للجن مثله لعارضوا القرآن بواسطة إخوانهم من الانس ولما ولن! ثم والحكمة الهداية الإلهية قاضية ان لو كان بإمكان الجن الإتيان بمثله لوجب إظهاره للإنسان كما للجان حتى يتبين التدجيل في هذا القيل ، ولما ولن!

ان معجزة القرآن كافية لكل انس وجان في اي حقل من الحقول واي عقل من العقول لمن القى السمع وهو شهيد ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٩ : ٥٢) والشهادة الإلهية ظاهرة في

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٣ . اخرج ابن إسحاق وابن جريرة ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال أتى رسول الله (ص) محمود بن سيحان ونعيمان بن اصماد ومجزي بن عمرو سلام بن مشكم فقالوا : يا محمد! هذا الذي جئت به حق من عند الله فانا لا نراه متناسقا كما تتناسق التوراة فقال لهم : اما والله لتعرفون انه من عند الله قالوا : انا نجيتك بمثل ما تأتي به فانزل الله ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجُنُّ﴾ الآية»

آياته ، باهرة في بيناته ، دون حاجة ضرورية الى غيرها وهم يطالبون الرسول غيرها وهو دونها خلوا من الخلود في حجتها ، ام خلوا من حجة :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩).

التصريف هو التكرار والمثل هو مواصفة المقصود بما يمثله ويقربه من الأفهام ، والله يكرر الأمثال في ضربها دون تضارب ، يضرب الأمثال تصريفا لمزيد الانتباه ، دون إبقاء على مثل لتمثيل الحق المرام تقريبا للأفهام إلا وهو ضاربها مصرفا إياها ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ : كفرانا بالأمثال وكفرا بالمثلات ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ ! والاكثرية الكفور في مثلث الكفران بعد إيمان في ترك من شروط الإيمان ، ام نكران بعد ايقان ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ وهو اعمق الكفر ، أم تباعد عن آيات الإيمان كمن ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ كيلا يثبت لهم الحق مخافة ان يؤمنوا به وهو أحمق الكفر ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عن اتجاه الى الحقائق القرآنية بأمثالها «إلا كفورا» في زاوية من هذه الثلاث : هكذا قصروا في إدراكهم فقصرت عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنية تعندا وتعنتا. فأخذوا يتطلبون خوارق مادية في حساباتهم ، متعنتين في اقتراحاتهم بكل طفولة ما لا يعنيههم. ام ويغويهم ، او يتبجحون في ذات الألوهية دون ادب ولا تحرج ، لم ينفعهم او يكفهم تصريف القرآن من كل الأمثال . :

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا** (٩١) **أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا** (٩٢). **أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكِ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ**

سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩﴾.

اربعة عشر شخصا من صناديد قريش يطالبون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبع من المعجزات في زعمهم ^(١). بعد معجزة القرآن . وان هي إلا هرطقات هارفة ، خلوا عن اية حجة لو جاء بها ، ام فيها حجة ضئيلة أمام القرآن ، هؤلاء الجهنميون يتطلبون في تعنت وتزمت هذه السبعة من أبواب الجحيم ، والقرآن فاتح للعالمين أبواب الجنة والنعيم!

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٠٣ . اخرج ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني اسد والأسود بن عبد المطلب وزعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن بني أمية وأميرة بن خلف والعاص بن وائل ونيبها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فجاءهم رسول الله (ص) سريعا وهو يظن انهم قد بدا لهم في امره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد انا قد بعثنا إليك لنعذك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيل الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وان تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمعون التابع من الجن الرئي فرما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطلب حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال رسول الله (ص). ما بي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به اطلب أموالكم ولا فيئكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله إليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . : أقول : ولما وصل امره معه الى هنا اقترحوا عليه مطالب لمادية تحسبونها معجزات ، تذكر الآيات أمهاتها السبع كالسبع أبواب الجحيم.

وفي الحق ان هؤلاء الحمائي الطغاة ما تطلّبوا هذه السبعة وأضرابها طلبا للحجة ووصولاً الى المحجة ، وانما إفحاماً على الرسول فيما تعنتوا حيث يقول قادّهم «لقد استفحم أمر محمد وعظم خطبه فتعالوا نبداً بتقريره وتبكيته وتوبيخه والإحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره فلعله ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه ، فان انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر»^(١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٢١ ح ٤٤٦ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) قال : قلت لأبي علي بن محمد (ع) هل كان رسول الله (ص) يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال : مرارا كثيرة . ان رسول الله (ص) كان قاعدا ذات يوم بمكة بفضاء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وابو البختري بن هشام وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي وعبد الله بن امية المخزومي وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ورسول الله (ص) في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله امره ونهيه فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحم امر محمد ... قال ابو جهل : فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن امية المخزومي ، انا الى ذلك ، أما ترضاني له قرنا حسيبا ومجادلا كفييا؟ قال ابو جهل : بلى . فاتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن امية المخزومي فقال : يا محمد! لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالا هائلا! زعمت انك رسول رب العالمين وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين ان يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا يأكل كما نأكل ويمشي في الأسواق كما نمشي ، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولا الا كثير مال عظيم حال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام ، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده ، ولو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك ونشاهده ، بل لو أراد الله ان يبعث إلينا لكان انما يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا ، ما أنت يا محمد الا مسحور ولست بنبي.

فقال رسول الله (ص) هل بقي من كلامك شيء؟ قال : بلى . لو أراد الله ان يبعث إلينا رسولا لبعث اجل من فيما بيننا مالا وأحسنه حالا ، فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم ان الله أنزله عليك وابتعثك به رسولا على رجل من القرينتين عظيم : اما الوليد بن المغيرة بمكة واما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال رسول الله (ص) هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله! فقال : بلى : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ...

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠).

باب اولى من سبعمهم «تفجير ينبوع لهم من الأرض» ... و «لن» تصريح قاطعة منهم ان ايمانهم للرسول مستحيل على ضوء القرآن العظيم وهو الشهيد الكافي إلهيا على رسالته ، فاستحالة الايمان على هذه الأضواء والبصائر الكافية لمتحري الحق تحيله في تحقيق متطلباتهم لو أمكنت وصلحت أكثر من بصائر القرآن!

فلو ان الشمس لا تضيء لهم عن ظلماتهم ، فهل ان القمر وأخفى منه نورا او ما لا نور له ، هل ان هذه تضيء لهم؟

انهم في قوله «لن» أحالوا ايمانهم له على اية حال ، فلو لم يكن في متطلباتهم محال ، ام استجيبوا في التي تمكن على اية حال ، ما كانوا ليؤمنوا كما بدأوا به المقال ﴿وَقَالُوا لَنْ ...﴾!

إذا فإجابتهم في هذه السبع غلطة رسالية فيما أمكنت ، إغراء بجهلهم في غير الخارقة المعجزة ، وإبقاء على كفرهم في إجابة الخارقة حيث هي ادنى من معجزة القرآن التي أحالوا ايمانهم على ضوءه ... ومن ثم يبقى المستحيل رادعا عن ايمانهم حيث الإجابة فيه مستحيلة ، حتى ولو استجيبوا في ممكناته خارقة وغير خارقة.

إذا فهذه السبع في مجموعاتها هرطقات هراء وربنا في رسالته منها براء! حيث تركوا وتغافلوا عن آمد بعيدة من معجزة القرآن الخالدة ، واخلدوا الى أهوائهم المتطفلة الباردة الماردة ، طلبا لآجن ماجن^(١) بعد ما أضاء عليهم معجز ماكن.

(١). فانك اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته ورسول الله يرتفع من ان يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه. ومنها ما لو جاءك به لكان معه هلاكك. وانما يوفى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الايمان بها لا .

ترى وما هو المعني من تفجر الأرض ينبوعا؟ أينبوعا بمكة هذه ، فانها ذات أحجار وعرة وجبال ، تكسح ارضها وتحفرها وتجري منها العيون فإننا الى ذلك محتاجون؟
فانك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله ، لو فعلت هذا كنت من اجل هذا نبيا؟
لا! .

أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين ، اما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها
وذلتها وكسحتها وأجريت فيها عيوننا استنبطتها؟ بلى! وهل لك فيها نظراء؟ بلى! ...
فصرت بذلك أنت وهم أنبياء؟ لا! ... فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد (صلى الله عليه
 وآله وسلم) لو فعلت على نبوته ، فما هو إلا كقولك : لن نؤمن لك حتى تقوم وتمشي على
 الأرض او حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس! ^(١).

فتفجير الأرض ينبوعا ، إظهارا لما خفي تحته من ماء لا يحتاج الى معجزة رسالية ،
 وإنما عمارة ارضية ، ام هندسة تحت الأرضية ، أفكل معمار او مهندس . إذا . هو من
 الأنبياء؟.

وإذا يعنى منه تفجرا بتفجير الإرادة الخارقة ، دون أية وسائل ظاهرة ، فترى ان تفجير
 القلوب الميتة بمياه المعرفة القرآنية أرقى خارقة وأنبى ، ام

. ليهلكوا بها ، فانما اقترحت هلاكك ورب العالمين ارحم بعباده واعلم بمصالحهم من ان يهلكهم كما يقترحون ،
 ومنها المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل
 مخالفته ويلجئك بحجج الله الى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص ، ومنها ما قد اعترفت على نفسك
 انك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ولا تصغي الى برهان ومن كان كذلك فدواءه عذاب النار النازل من سماءه او
 في حميمه او بسيوف أولياءه.

(١). من حجج الرسول (ص) في هذه المناظرة الطويلة البالغة.

تفجر الأرض بهذه المياه؟ و «لن» البادئة في هذه الافتراحات تحيل الايمان ولو فجرت الأرض كما تطلبون ، حيث أحلتم الايمان بالقرآن لنبي القرآن وهو أهم المعجزات وأتمها! .
ان التفجر الأول من فعلي ولا حجة فيه ، والثاني من فعل ربي ولا تؤمنون به حيث «لن» فيه ، أخرى منها في حجة القرآن ألا تصدقوها!

٢ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٩١).

فان كان كالأول فكالأول ، او كالثاني فكالثاني! ... «او ليس لأصحابك ولك جنان من نخيل وعنب بالطائف فتأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً؟ أفصرتم أنبياء بهذا؟ لا! فما بال اقتراحكم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه ، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنه يحتاج بما لا حجة فيه ويخضع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم ، ورسول رب العالمين يحل ويرتفع عن هذا! (١).

٣ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ ... في قوله ﴿وَأِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ

السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (ان في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم ، فانما تريد بهذا من رسول الله ان تهلك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك ، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله ، وليس حجج الله لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه ومن الفساد ، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه والله لا يجيء تدبيره على ما يلزمه بالحال ..

وهل رأيت يا عبد الله طيبا كان دوائه للمرضى على حسب اقتراحهم وانما

(١). من حججه (ص) في نفس المناظرة.

يفعل به ما يعلم صلاحه فيه ، أحبه العليل او كرهه ، فأنتم المرضى والله طبيبيكم فان أنفذتم لدواءه شفاكم وإن تمردتم أسقمكم ..

وبعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكاهم فيما مضى بيته على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ إذا ما كانت تثبت لأحد على احد دعوى ولا حق ، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

٤ ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (٩٢) يقابلوننا ونعائنه! فان هذا من المحال الذي لا خفاء به ، لأن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب ويتحرك ويقابل حتى يؤتى به ، فقد سألتهم بهذا المحال الذي دعوتهم اليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن احد .

يا عبد الله! او ليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها؟ بلى! أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك او بسفراء بينك وبين معامليك؟ بسفراء! أرايت لو قال معاملوك وأكرتك وخدمك لسفرائك لا نصدقكم في هذه السفارة إلا ان تأتوا بعبد الله بن أبي امية نشاهده فنسمع منه ما تقولون عنه شفاها كنت تسوِّغهم هذا؟ او كان يجوز لهم عند ذلك؟ لا! . فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس ان يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم ان يصدقهم؟ بلى! . أرايت سفيرك لو انه لما سمع منهم عاد إليك وقال : قم معي فإنهم اقترحوا عليّ مجيئك معي أكون لك ان تقول له : انما أنت رسول مبشر وأمر؟ بلى!

فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوِّغ لأكرتك ومعامليك ان يقترحوه على رسولك إليهم ، وكيف أردت من رسول رب العالمين ان يستندم الى ربه بان يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوِّغ مثل هذا

على رسولك الى أكرتك وقوامك؟ هذه حجة قاطعة لابطال كل ما ذكرته في كل ما اقترحته
يا عبد الله! .

٥ ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾ وهو الذهب «أما بلغك ان لعظيم مصر بيوتا؟
بلى! أفصار بذلك نبيا؟ لا! فكذلك لا توجب بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لو كانت
له نبوة ، ومحمد لا يغتنم جهلك بحجج الله .

ام تعني تكوّن بيت من زخرف دون اسباب ظاهرة؟ فالرسول لا يبيت في بيت من
زخرف! ولو كان له لم تكونوا لتؤمنوا إذ لم تؤمنوا و «لن» بآية القرآن وهي أكبر الآيات وأتمها
، ثم لا تقف اقتراحاتكم لحد!

٦ ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ ٧ ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ ... يا
عبد الله! الصعود الى السماء أصعب من النزول منها ، وإذا اعترفت على نفسك انك لا
تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ثم قلت ﴿حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ من بعد
ذلك ، ثم لا ادري أؤمن بك او لا أؤمن ، فانك يا عبد الله! مقرر أنك تعاند حجج الله
عليك ، فلا دواء لك إلا تأديبه على يد أوليائه البشر او ملائكته الزبانية ، وقد انزل الله عليّ
حكمة جامعة لبطلان كلما اقترحه :

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ما ابعد ربي عن ان يفعل الأشياء على
ما يقترحه الجهال بما يجوز وبما لا يجوز ، و ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ لا يلزمي إلا اقامة
حجة الله التي أعطاني ، فليس لي ان آمر على ربي ولا انهي ولا أشير فأكون كالرسول الذي
بعثه ملك الى قوم مخالفه

فرجع اليه يأمره ان يفعل بهم ما اقترحوه عليه ^(١).

وثم إذا رقى في السماء بمحاولة بشرية او معجزة إلهية فهل ان الله في السماء حتى تنزل منه كتابا يقرءونه؟ ومجرد الرقي إليها دون وسائل آية إلهية لا تفسح مجالا لتنزل كتاب يقرءونه! فهل من خط الله فيصدقونه ، وكيف هم عارفون خطه؟ وهل هو كخط البشر فما هي ميزته التي تجعله خط الله ، وإن لا فكيف يقرءونه ، وهنالك خطه التكويني «رقبه في السماء» لو رقى يقرء وليسوا بمصدقيه ، وهناك خطة التدويني «القرآن» وفيه الكفاية معجزة كاملة تقرأ ولا يصدقونه ، ومن ثم لو نزل بخط من السماء يقرءونه فكيف يعرفون انه نزل من السماء ولم يأخذه معه في رقيه؟

الرسول هنا يؤمر ان يغلق الأبواب السبع من جحيم المعارضات بكلمة مختصرة مختصرة تحوي كل هذه التفاصيل ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟
﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ ان يغريكم بجهلكم مواضع الحجة فيحتج بما لا حجة فيه ، ام فيه حجة الإهلاك ، ام هو من المحال ، ام جائز فيه حجة ادنى من حجة القرآن ، واستحالة الايمان فيها أقوى منها في القرآن ، ثم لا تقف هذه المقترحات لحد!
﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟ والخرافة ليست من صنع الرسول ، انما هي من امر الله وفق تقديره وحكمته ، ولا ان طلبها من شأن الرسول فان الله يعلم بماذا يرسل رسوله حتى تصدق رسالته ، فشأن الرسالة وأدبها يمنعانه ان يفعل ما يقترحون ، او يسأل ربه بما يقترحون.

(١). هذه الحجج كلها ننقلها عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري عن أبيه علي بن محمد (ع) عن رسول الله (ص).

انني بشر ولست إلها ، رسول من الله ولست إلها ، وسبحان ربي ان يتخلى في إرساله عن ألوهيته ، وسبحانه ان يتابع اقتراحات عباده او رسوله فيها سبحانه سبحانه هل كنت إلا بشرا رسولا؟

وأنتم تطلبون مني ان افعل هذه الخارقات ام غيرها من محالات ام سواها ، وي كأنني إله اقدر على ما تطلبون ، وهم لم يطلبوا إلا منه ، لا ان يطالب ربه ^(١) او انني فوق الإله اتحكم عليه ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ وي كأن الله وملائكته تحت إمري ، ان لو أمكن إتيانهم فانا الآتي بهم دون استدعاء!

فلا ان بشرتي تقتضي هذه او تلك ولا رسالتي ، حيث الرسول مؤمّر وليس أمرا ، رسول فليس مرسلا لمن أرسله : ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ...﴾! ولا تقتضي الرسالة إلا حمل آيتين من آيات الله : آية الوحي ، والآية التي تثبت الوحي ، آية ظاهرة تدل على آية غير ظاهرة ، ثم لا يرسل بآية اخرى إلا إذا اقتضت الضرورة الرسالية ، فضلا ان يأتي هو بآية او يأتي بالله والملائكة قبيلا! ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟ لا شأن لبشر إلا كسائر البشر ، ولا لرسول إلا حمل ما حمل من رسالة ، لا تقلد القدرة الغيبية المطلقة ذاتيا ولا رساليا ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ من رباني عبودية ورسالة ، من أن أكون له شريكا ، او ان أكون له ربا فأحكم عليه ، وعليه إجابتي! ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟ جوابا جامعا يستأصل متطلباتهم الخاوية كلها!.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤).

(١). حيث قالوا : حتى تفجر ... فتفجر خلالها ... ترقى في السماء.

﴿وَلَيْنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (٢٣ : ٣٤) ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَاحِدًا^(١) نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٥٤ : ٢٤) ﴿فَقَالُوا أُنْزِلْ لَنَا بَشِيرًا مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٢٣ : ٤٧).

فلا تهم لم يدركوا قيمة البشر وانه في احسن تقويم ، فاستكثرنا على بشر ان يكون رسولا الى بشر! وهذه سنة الله الدائبة التي لا تتبدل : ضرورة المجانسة بين الرسول والمرسل اليهم ، إتماما للحجة وقطعا للمعاذير ، فهي رحمة ومنة إلهية ان بعث الله الى البشر بشرا كما الى الجن جنا ام من ذا؟ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٦ : ١٣٠). فانما رسول الإنسان انسان ورسول الجن جان كما رسول الملك ملك.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥).

ومع غض النظر عن ضرورة المجانسة فالملك الرسول الى بشر يجب ان يباشر البشر ، والملك على كونه ملكا لا يرى فالواجب إذا ان يظهر بمظهر البشر ، فأنتم ترونه بشرا وليس ببشر! فما ذا أفادكم هذا المظهر إلا ضررا في عدم المجانسة : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا جَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (٦ : ٩) فعادت النتيجة الى ضرورة المجانسة رؤية وإتماما للحجة.

وترى هذه ضرورة ، فلما ذا الجن يرسل له بشر ، أليس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولا الى الجن والبشر وسواهما من العاملين؟
ان رسالة الرسول الى غير بشر ثانوية وبواسطة غير بشر ، فكما ان الرسول الى الرسول البشر ملك لا بشر ، كذلك الرسول الى رسول الجن

بشر ، كما الآيات في الجن والحاقة تحقق هذه الرسالة : ان رسل الجن مرسلون من جانب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وان لم يكونوا رسل الوحي حيث انقطع به الوحي ، ولكنهم قبل الرسالة المحمدية كان يوحى إليهم على هامش الوحي الى بشر! .
إن رسالة ملك الى جن قد تصح وتصلح لو لا مانع عدم المجانسة ^(١) ام ان الملك يرسل الى رسول الجن كما الى رسول الانس ، اللهم الا في الرسالة الاسلامية! .

وقد تلمح الآية ان الحياة المطمئنة الأرضية تتطلب رسالة سماوية ، ف ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ اطمئنانا في مشيهم بقاء عليها لا نزولا مؤقتا لإبلاغ أمركما في رسل الوحي ام من ذا؟ واطمئنانا على الحياة الأرضية ، فهناك ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لا من نفس الأرض ﴿مَلَكًا رَسُولًا﴾ ولكننا الماشون المطمئنون في الأرض ليسوا ملائكة ، إنما هم انس وجان ، فليبعث إليهم بشر رسولا ، مهما يتلقى هو وحيه من ملك رسول.

هنا لك فرق بين الرسول الى الرسل ، والى سائر المكلفين ، فالمجانسة لازمة في الرسالة الثانية دون الاولى ، ولتتم حجة الرسالة ويعيش المرسل

(١) فالرسول الأول انما هو حامل رسالة كالبريد دون اي مزيد من إنذار وتبشير فلا ضرورة ولا رجاحة في مجانسته للمرسل إليهم الرسل ، ولكن الرسول الثاني بشير ونذير وحجة في رسالته بتطبيقه ما أرسل به ولا تطبيق على الرسول الأول الا في الواجبات الأولية لاختلاف الجنس. فالملائكة لهم عقل بلا شهوة ، والانس والجن يجمعانها فالتكليف إذا غير التكليف الا ما يعم عامة العالمين.

إليهم رسولهم لكي يستطيعوا التلقي عنه دون وحي ، بل برؤية وسماع^(١).

﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمُبَاءً وَنُكْمًا وَصُمًّا مَّاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ

(١) ولكن ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ تصريحاً أو تلميحاً ان المجانسة بينهما رحمة ومنة إلهية ، وما يرويه العياشي في تفسيره عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله (ع) ﴿قَالُوا أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ قالوا : ان الجن كانوا في الأرض قبلنا فبعث الله إليهم ملكا ، فلو أراد الله ان يبعث إلينا لبعث ملكا من الملائكة وهو قول الله ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾.

هذه الرواية لا تدل على عدم المجانسة الا قبل هذا النسل الانساني ان بعث ملك الى جن ، ولكنه من كلام هؤلاء الناكرين ينقله عنهم الامام (ع) وجوابه أولاً ألا دليل عليه ولو كان فرسالة الملك الى رسول الجن لا إلى المرسل إليهم.

سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ
لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا
لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
فَسْتَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا
(١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرِضْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

الْآخِرَةِ جَنَّا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
 (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا
 تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ
 سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا
 (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا
 تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
 فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا (١١١)

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦).

إنه لا بد من شهادة الهية لإثبات رسالة إلهية ، ولا تخلوا عن احدى

زوايا ثلاث : ١ ان يريهم الله نفسه ليشهد برسالة رسوله ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾؟
وهذه المقابلة مستحيلة حتى للرسل أنفسهم! ٢ ام يوحى إليهم فيشهد كما يوحى الى الرسل؟
ولو كانوا يستحقون وحيا لما احتاجوا الى رسل! ولا تنحصر الشهادة الإلهية بوحى!
فهل ان دلالة الكون الحادث على المكوّن المحدث هي دلالة الوحي ، ام دلالة الفطرة
والعقل بمساندة الحس ، فهلا تكفي هذه الشهادة الإلهية على حدوث الكون إلا ان يظهر
الله بنفسه او يوحى بهذه الشهادة؟!

٣ أن يشهد لرسالة بأفعال تخصه دون سواه ، حيث الأفعال الخاصة الإلهية باهرة لا
تخفى على ذي حجب!

ثم قد تكون هذه الشهادة حسية بآيات حسية عابرة كسائر المعجزات المحسوسة كشق
البحر والقمر ام ماذا ، وهي آيات غير خالدة لا تناسب بوحدتها شريعة خالدة!
ام شهادة علمية . عقلية . فطرية . فكرية ، لفظية . معنوية اماهيه والقرآن يجمعها كلها
وهذه شهادة الله الكافية بين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين العالمين : ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ماذا تكفيهم وتغنيهم من شهادة خالدة
تعيشهم وتعيشهم عبر الأجيال والزمن ، ولا يزداد في خلوده إلا ظهورا وبهورا كلما تقدمت
العقول والعلوم في كافة الحقول.

فتلك إذا شهادة إلهية خالدة كافية تعم الشهادات كلها وتطم ، وسائر الشهادات
هامشية تعبد الطريق لهذا الشهادة الكبرى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (٦ : ١٩) ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا
أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ

يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤ : ١٦٦﴾ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤ : ١٥٩﴾.

إن القرآن هو أكبر الشهادات الإلهية لهذه الرسالة السامية ، ثم الرسول نفسه ، ثم كتابات الوحي المبشرة برسالاته ، ثم صنيعه وفصيله علي (عليه السلام) فهو إذا في مربع من الشهادات متصلة ومنفصلة : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١ : ١٧).

ف ﴿بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هو قرآنه ونفسه المقدسة و ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ علي (عليه السلام) ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ كأم الكتابات الرسالية قبل القرآن.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧).

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ هداية ثانية بعد الأولى ، فمن يتقبل هدى الله دلالة واستدلالا يهديه الله إيصالا الى حق الهدى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادْهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٤٧ : ١٧) ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (١٩ : ٧٦) ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ حيث لا يضل بعد هدى الله.

﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ حيث لم يتقبل الهداية الأولى فعارضها وأنكرها ، فانه يحرم بعد عن هذه الهداية الاولى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٦١ : ٥) إذا ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونه ، إذ لا هادي ولا ضال إلا الله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٦ : ٩٣) كل بما قدمه المهتدي والضال من هدى اولى او ضلال! : ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ (١٣ : ٢٧) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (١٦ : ٣٧)

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٠ : ٢٩)!

ولان الناس يحشرون كما عاشوا فليحشر هؤلاء العمي البكم الصم ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ كما عموا تعاميا عن بصائر الله ، وابكموا خرسا لا يتكلمون عن آيات الله ، وإنما لإبطالها وفصلها عن عباد الله ، وصموا عن الاستماع الى كلمات الله ، فهم أولاء يحشرون كما عاشوا ولا يظلمون نقيرا!.

ان الوجه ببصره ولسانه واذنه مخلوق لحكمة المواجهة للحقائق ان يمشي به الإنسان سويا على صراط مستقيم ، فمن يمشي في حياته مكبا على وجهه في الاولى سوف يحشر مكبا على وجهه في الاخرى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧ : ٢٢) ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ...﴾ كما حشروا أنفسهم يوم الدنيا على وجوههم! ف «الذي أمشاهم على أرجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم»^(١)

وترى إذ يحشرون هكذا فكيف الترائي والتسامع والتلاسن بين اهل الجنة والنار ، وبين أهل النار أنفسهم مع بعض؟

إن حشرهم هكذا عذاب فوق العذاب ، ومن ثم بعد حشرهم يتبدل عذابهم هذا بآخر فيه يبصرون ويسمعون ويتكلمون كعذاب آخر فوق

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٠٣ اخرج ابو داود الترمذي وحسنة وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله (ص)! وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : ان الذي ... اما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أقول وأخرجه جماعات آخرون على اختلافات ولكنها متفقة فيما نقلناه في المتن.

العذاب ، ففقدتهم هذه الثلاث يوم حشرهم عذاب ، ووجدانهم لها بعد حشرهم في نارهم عذاب آخر فوق عذاب! وعلى اية حال ف :

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ : سكن لهبها وصار عليها خباء وغشاء من رمادها ام ماذا ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ كما الأول ، فان السعير بعد الخباء زيادة على الخباء ، لا زيادة للسعير على ما كان قبله ، زيادة العذاب! ولماذا يزيدهم سعيرا على سعيرهم؟ ألأنهم اخباءوها؟ وليس منهم ولن! ام انهم كانوا يستحقون هذه الزيادة من قبل؟ فلما ذا لم تحق لهم من قبل؟. فلتكن زيادة السعير زيادة بعد الخباء باعادة مثل السعير! ، وعله كما تعاد جلودهم التي نضجت لتتضج تلو الأخرى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٤ : ٥٦) ففاعلية كل سعير هي نضج الجلود ، ثم تبدل جلودا غيرها فزيدوا لنضجها سعيرا ، سعير تلو سعير لنضج تلو نضج دون ان يخفف عنهم العذاب او يفتروهم فيه مبلسون!

ولماذا تداوم السعير دون فتور في عذابهم؟ :

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨). أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٩).

هنا لك كفر بآيات الله وكبرها القرآن ، وقولة النكران للمعاد ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ خلوا عن لحوم «ورفاتا» حيث تتبدل العظام رفاتا ، فتصبح الأبدان رفاتا فوق رفات ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ كما كنا يوم الدنيا!

ذلك الكفر وهذا النكران جزاءه مأوى الجحيم ومزيد السعير بعد الخباء...!

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ضمن ما رأوا ، حيث الواو تعطف هنا لغير المذكور ، فهم يرون الخلق الجديد ويلمسونه ليل نهار بموت ثم حياة ثم موت ومن ثم حياة ، ثم رؤية عقلية تفوقها وتعمهم وان لم يروا هذه وتلك ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ لا «ان يخلقهم» فقد خلقهم وأفناهم وهم يتشككون في خلقهم الآخر الذي هو خلق لمثلهم ، مماثلة في الصورة الإنسانية وعينية للمادة التي زالت عنها تلك الصورة ، ويخلق لها مثلها مرة أخرى! ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٥٠ : ١٥) ولا يعني الخلق الجديد وخلق أمثالهم إلا الناحية البدنية من الإنسان حيث تفتى صوريا ثم تخلق صورة أخرى ، واما الروح فهو باق لا يفتى إلا صعقة حتى يخلق البدن خلقا جديدا ، وهو المتكفل للوحدة بين الإنسان في النشأتين في حقيقة الانسانية ، كما ان الأجزاء المعادة من بدنه يوم المعاد هي المتكفلة لوحدة البدنية ، فلا يعني المعاد إلا عود الروح الى مثل بدنه صورة والى عينه مادة!

ثم و «مثلهم» في اصل الخلقة و ﴿خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠ : ٥٧) فالمعنيان هنا معنيان من «مثلهم».

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ : أجلا فرادى موتا عن الحياة الدنيا الى البرزخ ، وجماعات : نقلة عن الحياة البرزخية الى الحياة الأخرى ، ولا ريب في اي منهما! ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم ، المتهتكون عقولهم ، المتغافلون عن ضمائرهم ، العمي الصم البكم عن آيات الله. أبوا عن كل حق ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ كفرا وكفرانا.

وهب ان اجل الموت لا ريب فيه عند احد ، ولكن اجل المعاد فيه مرتابون كثير فكيف ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مطلق الأجل؟

هنا نفي للريب لا نفي الشك ، فمهما شك في المعاد شاكون ، ليس لشكهم سناد مريب فلا يرتابون ، فكما القرآن لا ريب فيه وفيه شاكون كثير ، كذلك المعاد لا ريب فيه على شكه الكثير! ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (١٠٠).

ترى وما هي الصلة بين خشية الإنفاق هنا ، المحتفة بنكران الرسالة والمعاد مسبقا ، وبذكرى آيات الرسالة ملحقا ، والموضعان ليسا موضع إنفاق أو إقتار؟.

نجد الجواب في ﴿وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٤٣ : ٣٢).

فخزائن الرحمة المقصودة هناك هي الرحمة الروحية اصليا وسواها فرعيا ، وعلّها هنا هي الظاهرة فباحرى الباطنة ، فالخزائن هي المواضع التي جعلها الله تعالى جهات لدرور الرزق ومنافع الخلق ، ترفع الأيدي عند السؤال والرغبات واستدراك الخير والبركات ، ثم وأخرى منها بركات معنوية فلو ان هؤلاء المعترضين على الرسالة المحمدية وسواها كانوا يملكون ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ الرحمة الربانية الروحية الرسالية «لأمسكتكم» عن إنفاقه لمن يستحقها ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ الإفناء ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ممسكا بخيلا ، لا بما لنفسه فقط بل وبرحمة الله ، ولا بما يفنى فقط بل وربما لا يفنى من رحمة الله.

... ليست الآية الكافية القرآن تنكر لأنها غير حسية ، فمن قبل كفروا بآيات حسية
 أوتيت رسل الله رغم قولهم ، ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ...﴾ (٦١ : ١٢٤) ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ (٢٨ : ٤٨) ؟ :
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١).

ان فرعنة النكران لآيات الله لا تميز بين آية حسية يعرفها كل من له إحساس ، وبين
 آية معرفية يعرفها كل من له ادنى معرفة ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ .
 ترى وكيف تكون الآيات المرسل بها موسى تسعا وهي حسب القرآن خمسة عشر (١)
 فهل تعني الآيات هنا آيات سوى المعجزات كما يسند الى الرسول (صلى الله عليه
 وآله وسلم) ؟ (٢).

(١) وهي اليد البيضاء ٢ . عصاه صارت حية تسعى ٣ . عصاه حيث صارت ثعبانا مبينا تلقفت ما يا فكون ٤ .
 عصاه حيث شق بها البحر ٥ . عصاه حيث ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا . ومن ثم ٦ . الطوفان
 ٧ . والجراد ٨ . والقمل ٩ . والضفادع ١٠ . والدم ١١ . وإظلال الجبل فوقهم كأنه ظلة كأنه واقع بهم ١٢ . أخذهم
 بالسنين ١٣ . أخذهم بنقص من الأموال ١٤ . الطمس على أموالهم ١٥ . المن والسلوى .
 (٢) الدر المنثور ٤ : ٣٠٤ . اخرج الطيالسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة واحمد والترمذي وصححه والنسائي
 وابن ماجه وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن قانع والحاكم وصححه وابن مردويه وابو
 نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن صفوان بن عسال ان يهوديين قال أحدهما لصاحبه انطلق بنا الى هذا النبي
 نسأله فأتياه فسألاه عن قول الله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال رسول الله (ص) : ١ . لا تشركوا
 بالله شيئا ٢ . ولا تنزوا ٣ . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ٤ . ولا .

والآيات المذكورة في؟؟ شتات الآيات هي المعجزات الى فرعون وملئه أما ذا ، دون آيات؟؟ التوراة احكامية؟؟ أماهيه!

والحل ان التسع لا تستغرق كل ما أرسل به موسى من آيات ، وانما ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (٢٧ : ١٤) وهي التسع المذكورة في آيات ^(١) ثم اربعة اخرى هي خاصة ببني إسرائيل ^(٢).

وهنا لك روايات في تعديد التسع الآيات تتعارض بعضها البعض والكل تعارض القرآن ^(٣)!

. تسرقوا ٥ . ولا؟؟ تسحروا ٦ . ولا تمشوا برئى الى سلطان فيقتله ٧ . ولا تأكلوا الربا ٨ . ولا تقذفوا محصنه ٩ . وقال ولا تفروا من الزحف شك شعبة وعليكم يا يهود خاصة الا تعتدوا في السبت ، فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد انك نبي قال : فما يمنعكما ان تسلما؟ قالوا : ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف؟؟ ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود

(١) وهي اليد البيضاء ٢ . عصاه حية تسعى ٣ . عصاه ثعبان مبین ٤ . الطوفان ٥ . الجراد ٦ . القمل ٧ . الضفادع ٨ . الدم ٩ . ضرب الأموال بنقص وطمس وأخذهم بالسنين.

(٢) ١ . من نتق الجبل ٢ . والمن والسلوى وهما واحدة ٣ . وانفجار العيون من الحجر ٤ . وفلق البحر ، وهذه الرابعة لا تمت بصله الى فرعون وملئه حيث أغرقهم والآية تقول «وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» والعذاب هنا تحويفية الآيات ولا رجوع في آية الغرق.

(٣) نور الثقلين ٣ : ٢٢٩ ح ٤٥٧ في تفسير العياشي عن سلام عن أبي جعفر (ع) قال : سألتني نفر من اليهود عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران (ع) فقلت : العصا وإخراجه يده من جيبه بيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم ورفع الطور والمن والسلوى آية واحد وفلق البحر قالوا صدقت و ٤٥٨ في قرب الاسناد للحميري باسناده الى موسى بن جعفر (ع) في الآية قال : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والعصا ويده ورواه مثله في الخصال عن هارون بن حمزة الغنوي الصيرفي عن أبي عبد الله (ع). وبينهما اختلاف في رفع الطور والمن والسلوى المذكورة في الأولى دون الثانية وفي الحجر .

هذه الآيات من صغرها وكبرها الى فرعون وملئه كلها بينات ، ولكنما الفرعنة الحمقاء لا تبقى ولا تذر : ﴿... فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٧ : ١٤).

ومن ظلم فرعون وعلوه قولته الفاتكة ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ومجنونا ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٦ : ٢٧) ﴿فَتَوَلَّىٰ بُرْكُنَيْهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٥١ : ٣٩) ف ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ يفسر المسحور انه المجنون ، تعبيران عن حالة واحدة ثابتهما انه ساحر حيث الساحر ليس ليعني المسحور! فكلمة الحق وبصائر لا تصدر في عرف الطاغية إلا عن ساحر او مسحور : مجنون : لا يدري ما يقول او يسحر فيما يفعل او يقول!

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١٠٢).

انظر الى رب موسى في مناظرته مع اطعى الطغاة وأحقهم ، يستند لإبطال كونه مسحورا الى علم فرعون ان هؤلاء نازلة من رب السماوات والأرض بصائر ^(١) وإذا لا تبتصر أنت بهذه البصائر فلا بصر لك إذا ولا

. والطوفان المذكورين في الثانية دون الأولى ، ثم التوافق في سبعة اخرى. ومن ثم بعض الآيات الخاصة ببني إسرائيل ليست الى فرعون وملئه.

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٣٠ ح ٤٦٢ مجمع البيان وروي ان عليا (ع) قال في «علمت» والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال : لقد علمت أقول : هل كذب موسى او استند الى علم نفسه ف «علمت» بضم التاء ، واستناد المناظر على المناظر بعلمه نفسه جهل ، فهذه الرواية مختلفة مخالفة للقرآن كما وتعارضها اخرى في نفس المصدر ح ٤٦٣ في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله «فَارَادَ

بصيرة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكا في بعدين من الأبصار ، حيوانا في بصرك ، وإنسانا في بصيرتك!.

يقول : «لأظنك» حال انه متيقن معلوم ، رعاية لأدب المناظرة ألا يتجاوز الكلمة الفرعونية : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى﴾ ظنا بظن ، ولا يملك ظن فرعون حجة ، ولموسى الحجة البالغة في يقينه ولكنه يعبر عنه بالظن معارضة بالمثل!.

والمثبور هو الهالك المدمر بجهله وجهالته تقصيرا ، حيث غربت بصيرته وعزب عنه عقله ، بما أهلكه طغيانه ، وأنساه إنسانه.

وترى لماذا «هؤلاء» وهي لمن يعقل؟ علّه لأنها بصائر للعقول ، صادرة عن خالق العقول لمن يعقل.

ثم وسناد هؤلاء الى رب السماوات والأرض تنبيه انها ليست لتصدر عن غيره ، فأنت أنت يا فرعون تدعى ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ولا تقدر على أصغر آية منها او تدفع عنها ، فكيف تعطف بها الى سحر ام جنون ، في حين ان العقلاء بأجمعهم لا يستطيعونها ولا أصغر آية منها ، وحتى الأرضية فيها فضلا عن السماء!

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (١٠٣).

إرادة استفزازية فرعونية ، فرارا عن الحجج الموسوية بالبصائر الإلهية ، ولجوء إلى طغوى مادية هي سنة للطغات ، حيث يواجهون الحجة العقلية بالقوة المادية اللاعقلية ... فلانه ما استطاع استفزازا لحجته وصدا عاقلا

. «أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أراد ان يخرجهم من الأرض وقد علم فرعون وقومه ما انزل تلك الآيات الا الله عز وجل ، وتؤيده الآية : وجحدوا بها واستيقنها أنفسهم ... بعد الآية : فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين.

لمعجته ، أراد أن يستفزه من الأرض استئصالاً عن الأرض كلها بقتلهم ، أو إخراجاً عن أرض الفرعنة ﴿فَأَعْرِضْنَا عَنْهُ جَمِيعًا﴾ دون إبقاء! : ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. فَلَمَّا تَرَاءَ الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ. قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ. وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦ : ٦٧).

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (١٠٤).

الأرض هذه هي أرض مصر كما استضعفوا فيه : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢٨ : ٥) فالمستضعفون من بني إسرائيل سكنوا أرض مصر وراثاً عن فرعون وملئه ، ولو كانت هي الأرض المقدسة لصرح بها ، ثم ولا صلة بها لموقفهم إذ أغرق الله فرعون وجنوده في يَمِّ مصر ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ : (عذابها لمن عصى) ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ : (أنتم وآل فرعون) «لفيفا» : خلطاء مع بعض دون ميزة قومية إلا بأعمالكم.

وقد يعني ﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ هنا فيما يعنيه المرة الآخرة من مرتبتهم كما في مفتتح الأسرى : ﴿... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ والجيئة اللفيف . إذا . هي الجيئة السوداء لاسوداد في وجوههم أكثر وتبئيرهم بأيدي القائم المؤمل (عجل الله فرجه) وأصحابه.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥).

هنا لك إنزال للقرآن وهناك نزول له يختلفان فعلية وفاعلية مهما اتفقا

في الحق ، ففاعلية الحق هي ان الله أنزله في حالة الحق حيث الحق مادته وكيانه وقوامه ، وبسبب الحق وغايته ... فهل نزل كما انزل ، دونما اصطدامه حين انزل بصدامات الشياطين آمن ذا ، ودونما خطاء في منزله : قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا فيمن انزل به : الروح الأمين ، ولا في مقامه في منزله الاول وسائر منازل حتى القيامة الكبرى؟ اجل **﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾** وهنا لك فعليته فلا تجد فيه إلا الحق ، ولا في منازل إلا نزول الحق ، ولا في غايته إلا الحق : **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** (٤١) : (٤٢) **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾** به **﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾** ببشارته «ونذيرا» بنذارته دون ان تزيد فيه ولا ان تنقص عنه!

فالحق إنزالا ونزولا سداه ولحمته ، مادته وغايته ، صورته وسيرته ، قوامه واهتمامه ، ومكانه ومكانته بأحق ما يكون من معنى للحق ، دون شوب للباطل فيه او نقص ونسخ يعتريه!

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦).

هنا لك قرآن غير مفروق هو النازل عليه ليلة القدر ، وقرآن آخر مفروق هو النازل عليه طوال البعثة : **﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾**. فهذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعيه محكما دونما فرق ولا مكث ، ولكن الناس ليسوا ليعوه ويفهموه إلا على مكث ، بل وليثبت قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على آياته البينات تطورا وتنورا : **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾** (٣٥ : ٣٢).

فهنا لك فرق بين فرق القرآن للرسول تثبिता لفؤاده ما وعاه محكما ، وفرقه للمرسل إليهم ليعوه ومن ثم تثبت عليه افئدتهم!.

ثم ان فرق القرآن له بعدان ، بعد الألفاظ حيث فرقت في نجوم عدة عبر الرسالة ، فصلا له في سور وآيات وذلك بمنزلة فرق الشعر وهو تمييز بعضه عن بعض حتى يزول التباسه ويتخلص التفافه.

وفرقت المعاني اي بيناه للناس بنصوع مصباحه وشدوخ أوضاحه حتى صار كمفرق الفرس في وضوح مخطّه ، او كفرق الصبح في بيان منبلجه.

فمن واجب القراءة للقرآن ان يقرء على مكث ويرتل ترتيلا دونما استعجال ، ولقد كان اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعلمون القرآن على مهل خمسا خمسا اما زاد او نقص دون ان ينثروه نثر الدقل او يركموه ركم الركام!.

ثم من فرق اللفظ في القرآن كما أشرنا فرقه الصغير بالآيات ثم الكبير بالسور كما تذكر ان في عديد من الآيات ، وأما الفرق بالركوعات والسجودات والأجزاء اما ذا مما اصطلح عليه القراء فلا اثر عنهما في القرآن.

صيغة السورة والسور نجدها في عشر ، منزلة (٩ : ٦٤) تدريجيا ، او منزلة (٩ : ٨٦) دفعا ، والسور القرآنية لا تخلو عن إنزال او تنزيل وإن كان تنزيلها أكثر^(١).

ولأن السورة والآية من صنيع الوحي فعددهما كذلك وحدودهما ايضا من الوحي ، ومهما اختلفت القراء في عدد السور والآيات فلا اختلاف في ألفاظ القرآن الموجودة بين الدفتين ، والسور حسب الرسم المتواتر مائة

(١) فالتنزيل في موردين ثانيهما «لَوْ لَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ» (٤٧ : ٢٠) والانزال في خمسة ، والثلاثة الباقية إتيان لها «قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» (١٠ : ٣٨).

واربع عشرة ، ومهما اعتبرت سورتا الضحى والم نشرح وسورتا الفيل ولإيلاف سورة واحدة ، فهذه الوحدة حكيمية وليست واقعية.

ثم عديد الآيات ، رغم الاختلافات الستة فيها ^(١) لا تضر بالحفاظ على كلمات القرآن وحروفه وهي محدودة دونما اختلاف.

ومن أهم الخلافات بين الشيعة والسنة تحسب البسملات من السور وعدم تحسبها حيث البون بينهما يصبح في ١١٣ . آية وليس حسب الكتب القرآني إلا اختلافا صوريا ، وكون البسملة آية في النمل يحتم كونها آية أينما كانت من السور!.

ومما لا يريه شك ان ترتيب الآيات والسور كما الآن مثل تركيب السور والآيات كل

ذلك من الوحي دون تدخل من غير الوحي فان الكل من فرق القرآن ﴿قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾!

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨). وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩).

إن شرائط الايمان به لازما حاصلة ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أنتم الجدد في واجهة وحي الكتاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ : علم الوحي الكتاب والبيشارة فيه بحق القرآن ، أولئك يؤمنون به ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : ٢٠) يعرفونه في بعدين اثنين ، ١ فبالمقايضة بين الوحين وحي

(١) اختلفوا ان آياته ستة آلاف ام ومائتان واربع ام واربع عشرة ، ام وتسع عشرة ، ام وخمس وعشرون ام وست وثلاثون.

القرآن يفوق سائر الوحي ام لا يقل عنه ٢ وبما بشر بنزول القرآن كما في كتاب اشعياء ^(١).
وكما يعرفون محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ١٤٦) بنفس
البعدين.

﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ : تخضعا له وتواضعا واحتراما ، ليس في
آيات السجدة فحسب ، بل والقرآن كله ، وهذه قضية الايمان الصادق.

وهذه ثلاثة الآيات الدالة على وجوب الاستماع للقرآن ثانيها كهذه : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٨٤ : ٢١) وأولها : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٧ : ٢٠٤) وقل السجود للقرآن استماعه إذا قرئ ،
وأكثره السجود للأذقان في استماع سائر القرآن ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾
وأوسطه واجب السجود عند استماع آيات السجود وهذه منها.

ولأن الخرور للأذقان سجود ، فهو سائغ في الصلاة لمن لا يمكنه سواه ^(٢) ولعل
«يخرون» الأول خرور الخضوع بالجوارح والثاني خرور الخشوع بالجوانح ، تدرجا من الجارح
الى الجانح ، حيث البكاء من مظاهر

(١) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٣١ ح ٤٧٠ في تفسير علي بن ابراهيم حدثني أبي عن الصباح عن إسحاق بن عمار عن
أبي عبد الله (ع) قال : قلت له : رجل بين عينيه قرحة لا يستطيع ان يسجد عليها ، قال : يسجد ما بين طرف
شعره ، فان لم يقدر سجد على حاجبه الأيمن فان لم يقدر فعلى حاجبه الأيسر فان لم يقدر فعلى ذقنه ، قلت :
على ذقنه؟ قال : نعم اما تقرأ كتاب الله عز وجل ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؟

خشوع الجارح كما الخشوع يختص بالجانح!

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧ : ١٨٠) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٢٠ : ٨) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٥٩ : ٢٤).

آيات اربع في سائر القرآن ان الله تعالى الأسماء الحسنی فادعوه بها لا سواء ، فهناك أسماء سيئة تحتلق ^(١) واخرى حسنة تخلط بين صالح وسواء ^(٢) لا تناسب أي من هذه او تلك الساحة المقدسة الإلهية ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ حيث يصفونه بالحسنى التي وصف بها.

وقد يلوح من ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أن أناسا كانوا معترضين على دعوة الرحمن كأنه غير الله فهذه ثنوية تنافي دين التوحيد وكما يروى ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بمكة ذات يوم فدعى الله فقال في دعائه «يا الله يا رحمن» فقال المشركون انظروا الى هذا الصابئ ينهانا ان ندعو إلهين؟ وهو يدعو إلهين؟ فانزل الله ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية» وكان رجل باليمن يسمى رحمن ^(٣).

(١) كالأسماء الخاصة بالمخلوقين مثل الأكل. الذهاب ، الماشي ، الخائف ، الراجي أما ذا؟

(٢) كالأسماء التي تجمع بين اللائق بذاته وغير اللائق ك «الواجب الوجود». الوجود المطلق مقابل الوجود المحدود حين يعنى منهما سنخ واحد في اعتقاد وحدة حقيقة الوجود.

(٣) الدر المنثور ٤ : ٣٠٦ . اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال : صلى .

ان هؤلاء الحماقى خيل إليهم بطبيعتهم الشركية ان عدد الاسم دليل لعديد المسمى ، على غفلة ان اسماء الله تعالى هي تحبيرات اللغات وتعبيرات شتى عن صفاته الذاتية والفعلية دون تعديد في الذات او في حقيقة صفات الذات ، او الذات وهذه الصفات ، فانما هذه الأسماء الحسنى التي تناسب ساحة الالهية تعبيرات حسنى عن ذات واحدة بحقيقة الوجدانية.

والاسم . أيا كان . ما يدل على مسمى ، فهو إذا غير المسمى ، سواء أكان لفظيا كأسماء الله الحسنى التي ندعوه بها ، ام عينيا كسائر الكون فانما بذواتها تدل على خالقها ، ام وخصوص الأولياء المكرمين ولا سيما اهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنهم من اسماء الله الحسنى ندعوه بها ، ثم لا يكون لعديد الأسماء اللفظية عديدة من معان في ذات الله ، اللهم إلا اسماء الأفعال الدالة على عديد الأفعال ، وهي حادثة بارادة الله تعالى ، منفصلة عن ذاته وليست في ذاته او عينها. واما اسماء الصفات الذاتية كالعلم والحياة والقدرة فهي تدل على حقيقة واحدة مجردة عن اي تركيب دون حقائق هي عين الذات او عارضة على الذات! وهذه الثلاثة اركان لسائر أسمائه الحسنى^(١).

. رسول الله (ص) ... وفيه اخرج ابن جرير عن مكحول ان النبي (ص) كان يتعبد بمكة ذات ليلة يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه انظروا ما قال ابن أبي كبشة يزعم الليلة الرحمن الذي باليمن وكان باليمن رجل يقال له رحمن فنزلت الآية.

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٣٣ ح ٢٧١ عن الكافي باسناده عن أبي عبد الله (ع) قال : ان الله تبارك وتعالى خلق اسما بالحروف غير مصوت وباللفظ غير منطبق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار ، مبعد عنه الحدود ، محبوب عنه حس كل متوهم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معا ليس .

وترى «هل كان الله عز وجل عارفا بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟ نعم! فهل يراها ويسمعها؟ ما كان محتاجا الى ذلك ، لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها ، هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة ، فليس يحتاج ان يسمي نفسه ، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأول ما اختاره لنفسه ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول أسمائه علا على كل شيء»! ^(١).

فأسماء الله الحسنى بثلاثتها الأركان وسائر الفروع ، انما ليست الا الحاجة الخلق لا لحاجته ، ولا انما تحكي عن عديد من الحقائق المختلفة في ذاته وحتى الثلاثة الأركان ، اللهم إلا ذاتا واحدة بحقيقة الوحدة ، مجردة عن اي تركيب بأي معنى!

. واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون والمخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء اربعة اركان ، فذلك اثني عشر ركنا ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسما ، فعلا منسوباً إليها فهو : الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . الباري . الخالق . المصور . الحي . القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . العليم . الخبير . السميع . البصير . الحكيم . العزيز . الجبار . المتكبر . العلي . العظيم . المقتدر . القادر . السلام . المؤمن . المهيمن . المنشئ . البديع . الرفيع . الجليل . الكريم . الرازق . المحيى . المميت . الباعث . الوارث : فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلثمائة وستين اسما فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة اركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٣٣ ح ٤٧٢ عن اصول الكافي بإسناده عن ابن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا (ع) هل كان الله ... أقول : فالسائل ابن سنان والمحجب الامام الرضا (ع) كما في المتن.

ف «من عبد الله بالتهوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلايته فأولئك هم المؤمنون حقا»^(١).

فذاًت الله تعالى غير هذه الأسماء وهي غيرها^(٢) وانما هي تحبير اللغات عن الذات المقدسة بصفاته الذاتية والفعلية.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ﴾ الاسم الأعظم الظاهر للذات المقدسة ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أعم الأسماء الشاملة للرحمة الإلهية ﴿أَيَّا مَا تَدْعُوا﴾ من أسماء التي تعنيه وحده ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التي يدعى بها ... ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ إلحاد النكران أو الشرك بالله ، إلحاداً في مثلث الأسماء ، ففي اللفظية كأن تخلق ما يعني معنى تحيد عنه ذاته أو صفاته وأفعاله ، من اسم ذات أو صفة ذاتية أو فعلية ، وفي العينية ان تتخذ آلهة من دون الله أو تشرك بها الله كالملائكة والنبیین آمن ذا من المقربين اليه ، ام من الطواغيت.

وكذلك اعتبار صفاته . وحتى الذاتية . معاني زائدة على ذاته ، أو تعني منها مثل ما تعنيه من صفات غيره.

لله أسماء لذاته تعالى فمن ظاهرها «الله» ومن باطنها «هو» وأسماء

(١) في التوحيد للصدوق عن ابن رثاب عن غير واحد عن أبي عبد الله (ع) قال ...

(٢) في التوحيد مسنداً وفي الاحتجاج مرسلًا عن هشام بن الحكم قال : سألت أبا عبد الله عن أسماء الله عن ذكره واشتقاقها فقلت : الله مما هو مشتق؟ قال يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مأدّها والاسم غير المسمى . وذكر مثل ما عن ابن رثاب الى ان قال . : فقلت زدني فقال : ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره.

لصفات ذاته وهي الحياة والعلم والقدرة ، ثم أسماء لصفات فعله كسائر أسمائه الحسنى ، والإلحاد في شيء منها لفظيا أو معنويا ، كما في الإلحاد في الأسماء العينية المنفصلة كسائر الموجودات ، او التي يوصف هو بها ، فالإلحاد في كل ذلك محذور محذور! ^(١)

ومن الإلحاد في أسمائه تعالى المنهي عنه في آيته (٧ : ١٨٠) ان تتخذ معاني زائدة على ذاته ، ام ولها مظاهر من خلقه هي مواليد تلکم الأسماء فتعبد من دون الله ، والمناهي المؤكدة عن عبادة الاسم او مع المسمى أنها كفرا وشرك ، لا تعني الأسماء اللفظية حيث لا يعبد لها احد ، وإنما تعني المعاني الزائدة على ذاته سبحانه ان تعبد هي او مظاهرها إلحادا او إشراكا . يجمعها ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾! إلحادا لفظيا او معنويا او عينيا ^(٢).

فلا أن أسمائه معاني زائدة على ذاته سواء في ذلك الصفات الذاتية والفعلية ، ولا ان لها مظاهر تعبد ، كل ما هنا لك تجير اللغات كما أسلفناه ، او أسماء عينية هم أفاضل خلقه من رسله وأوليائه حيث يدعى الله بهم كما امر : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ دونما استقلال لهم في دعاءهم ، ولا عبادتهم من دون الله!.

فاختلاق اسماء له تعالى قد يعني إلحادا في اسماء او اشراكا ، فما التوحيد في أسمائه إلا التي سمى بها نفسه المقدسة ، ولأن أسمائه صفاته و ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فإنهم لا يصفونه إلا

(١ ، ٢). من اللفظي ان تسميه بأسماء خاصة لخلقه سواء في اسم الذات أو صفة الذات أو صفة الفعل. ومن العيني ان تظن أحد من خلقه انه إله في شريكه أو جزئه ، ومن المعنوي ان تعني مثلا من «العالم» علما كعلم خلقه ، او تتصور له معنى أيا كان ، او تنزهه عن ان تعلم معنى علمه ولكنك تظن أنه زائد على ذاته!

بما وصف به نفسه ، فأمثال العلة والواجب وأضرابهما من أسماء فلسفية أمّا هيه؟ من أسماء غير مقتبسة من مشكاة الوحي كلها أسماء إلحادية مهما اختلفت دركاتهما! ولسنا نعرف من أسمائه معاني إيجابية كالتّي نألفها ونعرفها لأنه باين عن خلقه وخلقه باين منه ، وانما نعني نفي مقابلاتها وهو تسبيح بالحمد فلا الحمد والتوصيف فقط ، ولا التسبيح فقط ، وانما تسبيح بالحمد يعني نفي المقابلات للصفات الثبوتية ، وإذا فالصفات الإلهية كلها سلبية مهما اختلفت سلبية سالبة عن سلبية موجبة في تحيير اللغات.

﴿... وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

الجهر والإخفات وصفان متضايقان ، أترى بعدهما مطلقا منهيان ، والنتيجة ألاّ تصلي أصلا ، حيث القراءة لا تخلوا عن جهر ما أو إخفاف! ام المنهي عنه من الجهر أعلاه ومن الإخفات أدناه؟ وهذا هو السبيل الوسط المأمور به ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾! فلا سبيل وسطا في قراءة الصلاة إلّا عوانا بين عالي الجهر وداني الإخفات.

فالجهر المأمور به في جهرية الصلوات ، والإخفات المأمور به في إخفاتيتها هما في السبيل الوسط ، جهر دون العال وإخفات فوق الدان ، فقد يخفت لحدّ لا يسمع نفسه بأدنى اذن؟ فلا! او يجهر لحد يسمع البعيدين عنه في أعلى الجهر؟ فكذلك لا ^(١) ، بل ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ و «المخافة ما دون سمعك والجهر ان ترفع صوتك شديدا» ^(٢).

ولماذا الجهر العال في صلاتك؟ ألتسمع ربك؟ وهو اقرب إليك من

(١) العياشي عن سليمان عن أبي عبد الله (ع) في الآية قال : الجهر بما رفع الصوت والمخافة ما لم تسمع اذناك.
(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٣٣ ح ٤٧٦ في الكافي عن سماعة قال سألته عن قوله الله عز وجل «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا» قال

حبل الوريد : و ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ام تسمع المؤمنين معك؟ فلا عليك إلا السبيل الوسط ^(١). ام ولتسمع الكافرين؟ وهم بسماعهم أو استماعهم يؤذونك! ^(٢).

ثم ولماذا الإخفات الدان ، لحد تحرم نفسك عن سماعه ، واقل السماع في صلاتك ان تسمع نفسك ، ام تحرم الذين معك؟ فلما ذا وهم في صلاتك صامتون لا يقرءون ، أفرمانا لهم عن قراءتهم وعن قراءتك؟ ، ف ﴿إِنَّمَا يَنْبَغُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ وإن كانت تختلف السبيل في جهريتها وأقلها إسماع من بجنبك ، وفي إخفاتها فلتسمع فيه نفسك دون جهورية لصوتك لتسمع ، وانما همس سمعه غيرك ام لم يسمع ، وكما ثبت في السنة المقدسة الاسلامية.

وترى ان الحكمة في ترك الجهر العال هي فقط التقية عن أذى

(١) المصدر ح ٤٧٧ القمي عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله (ع) : أعلى الامام ان يسمع من خلفه ، وان كثروا؟ قال : ليقراء قراءة وسطا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾.

(٢) تضافرت الرواية عن طريق الفريقين انه «كان رسول الله (ص) إذا كان بمكة جهر بصوته فيعلم بمكانه المشركون فكانوا يؤذونه فأنزلت هذه الآية «نور الثقلين عن العياشي عن أبي جعفر وابن عبد الله (ع).

وفي الدر المنثور ٤ : ٢٠٦ . اخرج سعيد بن منصور واحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية قال : نزلت ورسول الله (ص) بمكة متوار فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن . ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه (ص) : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ...﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابتغ بين ذلك سبيلا» يقول : بين الجهر والمخافة واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان النبي (ص) يجهر بالقراءة بمكة فيؤذي فانزل الله ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾.

المشركين ، فلا نهي إذا فيما لا تقية ، بل وفيه تعظيم شعائر الله ، ولا سيما إذا أسمعت الصلاة بالسماعات والإذاعات؟ علّه نعم! حيث الوارد في الروايات هو هي لا سواها! إذا فلا محذور في الجهر العال.

أو ترى ان هناك حكمة اخرى على من يجهر علّ الله يسمعه أكثر واوفى ، فقضي على سنة الجهر العال لهذه وتلك لا وحدها ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٧ : ٣٠) ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٦٧ : ١٣) ، ولكنهما تلمحان بالتنديد لمن يجهر عاليا أم غير عال إسماعا لربه وهو في حد الكفر بالله! واما الجهر أيا كان لغرض إسماع المؤمنين دون تقية عن الكافرين ، ولتعلوا كلمة الله وتعظم شعائر الله فلا منعة فيه حسب الآيات! اللهم إلّا ما تلمحه آية الأعراف : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٧ : ٢٠٥) ولكنما الأمر بمكذا ذكر ليس نهيًا عن الجهر ، والمنهي عنه في آيتنا هو الجهر العال لا مطلق الجهر ، إذا فالجهر الذي لا يخرج المصلّى عن حالة الصلاة ممنوح ، اللهم إلّا الطوارئ تقية إمّا إذا فممنوع.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (١١١).

«وقل» في نفسك وجهرا ، إظهارا لهذه الحقيقية واجهارا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد مني ومن كل حامد ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بأي معنى من الولادة ، حقيقية وتشريفية. لا فقط انه ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بعد الأزل ، بل ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ منذ الأزل اللّاول ، ولدا وغير ولد ، ولماذا شريك في الملك؟ ألعجز عن ملكه ، ام ذلك في وحدته؟ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ﴾ منذ الأزل اللّاول ﴿وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ في نفسك توحيدا ناصعا

خالصا ، وفي الآخرين الذين صغروه باتخاذ ولد ام شريك في الملك او ولي من الذل «تكبيرا»
يجتث جذور الإشراف عن بكرتها ، ويلور التوحيد عن كل شائبة آفة من مختلفيها.

«سورة الأسرى» اسراء الرسول الى المسجد الأقصى . هل هو القدس او السدرة المنتهى؟ ٧ .

٢٥

كيف انحصرت الدعوة التواتي في «الا تتخذوا من دوبي وكيا»؟ ٢٥ . ٣١
 إفسادان اسرائيليان عالميان . يقضي على كلّ بثوار مسلمين . هذه هي المرة الأولى منهما وقد
 يقضي عليها بالثورة البادئة من ايران . ليس «عباداً لنا» بخت النصر وإنما هم من أصلح
 ثائري التاريخ . هءلاء يدخلون المسجد الأقصى مرتين ثانيتهما قيام المهدي عليه السلام .
 الفصل بين الإفسادين . أنباء الدولة الألهية وابناءها . تصريحات كتابية . بهذا الصدد . القائم في
 العهدين . احاديث اسلامية تشير الى هاتين الثورتين او تصرح ٣١ . ٧٤
 هدي القرآن للتي هي اقوم؟ آية الليل وآية النهار؟ ٧٥ . ٩٣
 انعكاس الاقوال والاعمال في اعضاء المكلفين . كتاب الاعمال؟ ٩١ . ١٠١
 حجة البعثات الرسالية وسائر الحجج ١٠٣ . ١١٢
 قول فصل «في اذا اردنا ان نهلك قرية ..» وكيف هي هذه الإرادة ١١٢ . ١٢٠
 معجلات مريد العاجلة ومؤجلاته . والسعي المشكور لمريد الآخرة ١٢٢ . ١٣٠

مشكلة الخلود اللانهائي في النار بقول فصل . فناء النار بمن في النار ١٣٠ - ١٤٠
 مسؤوليات الاولاد تجاه الوالدين ١٤٣ - ١٥٩
 حق ذي القربى في قول فصل وانهم هم قربي الرسول (ص) ١٦٠ - ١٦٥
 كلام فصل حول التبذير . اليد المغلولة الى العنق والمبسوطة كل البسط في قول مبسوط ١٦٥ .
 ١٧٦

قتل الاولاد خشية إملاق . مساويء الزنا في قول فصل ١٧٦ - ١٨٤
 قتل النفس المحرن وسلطان ولي المقتول؟ ١٨٤ - ١٨٩
 «لا تقربوا مال اليتيم .. واوفو بالعهد ..» وايفاء الكيل والوزن ١٨٩ - ١٩٤
 اتباع غير العلم محذور . مسجد الكون بتسييح شامل كل الكائنات» «ولكن لا تفقهون
 تسييحهم»! ١٩٤ - ٢١٨
 ابتقاء الوسيلة الى الرب ٢٣٦ - ٢٣٩
 القرى المهلكة والمعذبة قبل يوم القيامة؟ «وما منعنا أن نرسل بالآيات»؟ ٢٣٩ - ٢٤٤
 ما هي الشجرة الملعونة في القرآن؟ «ءاسجد لمن خلقت طيناً من دلائل القفزة الطينية في
 خلق آدم دون التكاملة الدارونية! ٢٤٤ - ٢٥٣
 استفزازات شيطانية ٢٥٨ - ٢٦٥
 بنو آدم مفضلون على كثير فمن هم القليل ٢٧٨ - ٢٧٤
 كتاب كل اناس وامامهم؟ «لولا ان ثبتناك لقد كدت ..»؟ ٢٧٤ - ٢٨٧
 الصلوات الخمس باوقاتها . ما هو غسق الليل وقرآن الفجر ٢٩٠ - ٢٩٧
 كيف التهجد «نافلة لك» وهو واجب عليه (ص)؟ ٢٩٥ - ٢٩٩
 «مدخل صدق .. ومخرج صدق»؟ شفاء القرآن ورحته ٣٠٠ - ٣٠٩

- ما هي شاكلة كل إنسان؟ ٣١٤ - ٣٠٩
- «يسألونك عن الروح» قول فصل في المسؤول عنه وعدم مجرد الروح ٣٣٠ - ٣١٤
- انسباخ القرآن من القلوب ام ؟! ٣٣٧ - ٣٣٢
- تحدي الجن والإنس بالإتيان بمثل القرآن . اقتراحات المعجزات غير الدالة على الرسالة! «قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً؟!؟» ٣٤٨ - ٣٣٧
- الشهادة الإلهية في القرآن ٣٥٥ - ٣٥٣
- كيف «آتيننا موسى تسع آيات» وهي خمس عشر؟! ٣٦٢ - ٣٦٠
- حكمة فرق القرآن دون نزوله دفعة واحدة ٣٦٧ - ٣٦٥
- الأسماء الحسنى؟ ٣٧٤ - ٣٦٩